الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة المرقب

كلية الآداب والعلوم / ترهونة

قسم التاريخ

((شعبة القديم))

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية الماجستير

بعنوان

إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقلديانوس) وأآثرها السلبية والايجابية على الإمبراطورية الرومانية فيما بين ٢٨٤ / ٣٠٥ م

إعداد الطالب:- سالم اللافي محمد

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:- محمد علي عيسى

٢٠٠٨ ف

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ

وهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

سورة الروم الآيتان ١، ٢

الأهـــــــداء

إلى

روح أبـــــــــي رحمه الله. وأمــــــــي حفظها الله.

إخـــــوتي و أخـــــواتي .

رفيقة دربي إعترافاً منى بتضحيتها وتشجيعها

زوجتي الغاليــــة .

إلى زهرات حياتي بناتي

دعـــــاء إبتهــــال آيـــات .

كلمــة شكـــر

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من قدم لنا حرفاً على طريق العلم والمعرفة، وأخص بالذكر أستاذنا الفاضل الذي كان له الأثر الأكبر في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود الأستاذ الدكتور **محمد على عيسى** وندعو الله أن يكون هذا العمل في ميزان حسناته.

كما لايفوتنى أن أشكر الأساتذة الكرام الذين تشرفوا بمناقشة هذه الرسالة، وأشكر كل من ساهم ولو بكلمة طيبه أثناء الدراسة والبحث.

كما أشكر مكتباتنا العامة والعاملين عليها، وعلى رأسها مكتبة مركز جهاد الليبيين، ومكتبة المدينة القديمة، والمركز الثقافي الليبي التونسي، ومكتبة إبراهيم قدري، على إتاحة الفرصة لنا لكي نرتاد هذه المكتبات ومساعدتهم ومد يد العون لنا.

وأخيراً أرجو أن تنال هذه الدراسة رضا الجميع، وهذا من الله وبالله التوفيق.

فهرس المحتويـــات

الموضوع **رقم الصفحة**

الفصـــــــل الأول

أحوال الإمبراطورية الرومانية الداخلية والخارجية فيما بين ٢٣٥-٢٨٤م

الفصـــل الثـــاني

إصلاحات دقلديانوس

الفصـــــل الثــالث

أثر إصلاحات دقلديانوس على المجتمع الرومانى

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعه ووالاه إلى يوم الدين، أما بعد .

إن تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي، والتي بدأت منذ نهاية الأسرة السفيرية ومقتل أخر أباطرتها سيفيروس اسكندر Severus Alcxander سنة٢٣٥م حتى تولى دقلديانوس الحكم سنة ٢٨٤م، هي النواة التي أدت في النهاية إلى سقوط روما في يد القوط سنة ٤١٠م، وسقوط الإمبراطورية الغربية سنة ٤٧٦م .

وقد قام العديد من الأباطرة بعدة إصلاحات لاقتلاع الفساد، بداية من أغسطس Augstus إلا أنه أهمل الشعب واهتم بالسناتو Senato، وأصبحت السلطة ثنائية بينه وبين السناتو، وهذا الحكم الثنائي الذي أقامه أدى إلى الحروب بين السناتو والأباطرة بسبب الإختلاف حول اختيار الإمبراطور.

واستمر الصراع حول العرش الإمبراطوري حتى تولى الحكم سبتيموس سفيروس Septimus severus الذي كون أسرة اعتمدت على الجيش، حيث أصبحت القوة التي أعتمد عليها الأباطرة في الدولة الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، الذي تميز بسيطرة الجنود الأجانب على الجيش الروماني وفرض قيادتهم بالقوة، بالإضافة إلى تحسين أوضاع الجند في هذا القرن من زيادة الرواتب وحق الزواج، مما أدى إلى تسلط الجيش وقاد إلى تكريس الدكتاتورية العسكرية بكل جبروتها وغرورها فبدأ في عزل وتعيين الأباطرة .

ونتيجة لتولى الجيوش تعيين وعزل الأباطرة حكم في هذه الفترة من سنة ٢٣٥م حتى سنة ٢٨٤م أكثر من ثلاثين إمبراطوراً قتل معظمهم قبل تولى العرش.

كما أن القرن الثالث شهد الدمار الاقتصادي الذي حل بالإمبراطورية حيث أهملت الزراعة وارتفعت الأسعار، ونقصت الأيدي العاملة في الزراعة بسبب الضرائب الفادحة التي عجز الفلاحون عن دفعها، ولتفادى العجز في ميزانية الدولة قامت باستغلال النقص في الذهب والفضة، فزادت من نسبة النحاس في العملة الفضية مما أدى إلى تدهور أحوال العمالة والعودة إلى نظام المقايضة بدلاً من النقد.

بالإضافة إلى هذا كان للفقر والعاطلين عن العمل دوراً في زيادة مشاكل الإمبراطورية، وأصبح الفقراء يقومون بإعمال السخرة التي تحتاجها الدولة خاصة إعداد وتسليح الجيوش.

وكان للفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية أثر في الفوضى الفكرية والدينية فانتشرت العبادات الشرقية والسحر والتنجيم ، ولكن التحدي الكبير جاء من المسيحية التي أعتنقها الفقراء والثوار كديانة لمقاومة الظالمين . وما أن حل القرن الثالث الميلادي حتى أصبحت الكنيسة مزدهرة وزاد عدد المسيحيين، ولهذا نظرت الدولة إلى المسيحية على أنها من أعداء الدولة مما دفع بعض الأباطرة إلى اضطهاد المسيحيين وتطبيق سياسة الإبادة الجماعية وصدور قرار التشهير بالناس الذين لا يقدمون القرابين للآلهة الوثنية. كما أن الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي تعرضت للغزو الخارجي من قبل القبائل القوطية، والفرس الذين استطاعوا السيطرة على بلاد الشام في سنة ٢٥٣م .

ونتيجة لهذه الأسباب مجتمعة، اضطر بعض الأباطرة إلى القيام بإصلاحات لحماية الامبراطورية من التدهور والسقوط واستعادة هيبتها في الخارج ، ومن الأباطرة الذين حاولوا الإصلاح الإمبراطور جالينوس Callienus الذي كانت اصلاحاتة النواة الأولى التي ارتكزت عليها إصلاحات دقلديانوس وقسطنطين(Diocletian and Constantine) فيما بعد ،فقام بإصلاحات في مجال الدفاع وطور نظام الخطوط الدفاعية القديمة ، بالإضافة إلى

الإمبراطـور أورليـان (Aurelien) الـذى قـام بإصـلاح الاقتصـاد وأعـاد النقد إلـى وضـعه الطبيعي .

وقد اعتمدت على الكثير من الكتب الأجنبية والعربية في هذه الدراسة منها: السيد أحمـد الناصـري، تـاريخ الامبراطوريـة الرومانيـة السياسـي والحضـاري. ورسـتوفتزف التـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي للإمبراطوريـة الرومانيـة. رومنقـتن، تـاريخ ولايـات شـمال أفريقيـا الرومانية. ول ديورنت، قصة الحضارة . أسد رستم ، الروم تاريخهم وحضارتهم. أحمد انديشة ،التاريخ السياسى والأقتصادى للمدن الثلاث. اندرية ايمار ،تاريخ الحضارات العام. وغيرها من الكتب التي لايسعنى الوقت والمجال لذكرها هنا .

وقد اتبـع الباحـث فـي هذه الدراسـة المنهج التـاريخي وأدواتـه مـن سـرد وتحليـل منطقـي وعلمي لبعض الأحداث التاريخية، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات وتنسيقها لإثبات أو نفى تسأولات الدراسة. وتنطلق الدراسة حول هذا الموضوع من خلال عدة تسأولات وضعها الباحث أهمها تتمثل في .

ماهى المشاكل السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها الإمبراطورية في القرن الثالـث المـيلادي ؟ لمـاذا قسـمت الإمبراطوريـة إلـى قسـمين ؟ كيـف تعامـل مـع الانهيـار الإقتصادى وتدهور النقد ؟ لماذا اضطهد المسيحيين ؟ هل هذه الإصلاحات لاقت الترحيب مـن الشـعب الرومـاني، وكيـف أصـبح وضـع الإمبراطوريـة بعـد هـذه الإصـلاحات ؟ كيـف أصبحت علاقة الإمبراطورية مع جيرانها من قبائل أوروبية وعربية، والدولة الفارسية ؟

ومن هنا وتسهيلاً للدراسة قسم الباحث هذا الموضوع إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمه مع بعض الصور والملاحق ذات الصلة بالموضوع .

تناول في الفصل الأول الظروف والعوامل والأحداث التي عصفت بالإمبراطورية الرومانية منذ نهاية الأسرة السفيرية حتى تولى دقلديانوس الحكم، وقد قسم إلى ثلاث مباحث، تناول

المبحث الأول، العوامل السياسية التي تولى فيها الحكم أكثر من ٣٠ إمبراطورا في فترة زمنية تقدر بخمسين سنه وهى فترة الفوضى السياسية التي أصبح فيها الجنود يولون ويعزلون من أرادو ويعزلون من شأوا تلك الفوضى السياسية نتج عنها الفوضى الاقتصادية حيث أرتفعت الأسعار، وقلة الأيدي العاملة في الزراعة لهروبها نتيجة لفداحة الضرائب. والمبحث الثاني تناول العوامل الخارجية المتمثلة في هجمات القبائل من جرمان وفرس، بالإضافة إلى القبائل العربية في أفريقيا واسيأ.

أما المبحث الثالث فتضمن حياة هذا الإمبراطور وأصله ونشأته وماهى المراتب والوظائف التي تولاها حتى تولى العرش الإمبراطوري.

والفصل الثاني خصص للحديث عن إصلاحات دقلديانوس داخل الإمبراطورية، وقد قسم إلى أربع مباحث، تناول الأول الجانب الاداري والسياسي، مبيناً الأسباب التي دفعتة إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين. وتحدث الباحث في المبحث الثاني كيف تعامل مع الحياة العسكرية ؟ وماهى الخطوات التي أتخذها في تقسيم الجيش ؟ والثالث اقتصر على الحديث عن الإجراءات التي اتخذها لسد العجز الذي أصاب اقتصاد الدولة !والرابع يستعرض الباحث بالدراسة أكبر عملية اضطهاد عرفها المسيحيون في ظل الإمبراطورية الرومانية .

وفى الفصل الثالث ستناقش الدراسة أثر هذه الإصلاحات على المجتمع الروماني في من جميع النواحى والأوضاع التى عانت منها الإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادى وقام دقلديانوس فى محاولة منه لإصلاح هذه الأوضاع، ولكن هل استمرت هذه الإصلاحات بعد استقالة دقلديانوس أم إن ذلك كان لفترة زمنية محدودة ؟ تناول المبحث الاول أثرها من الناحية الادارية والسياسية، والمبحث الثانى تناول الاثر العسكرى، والثالث الحياة الاجتماعية والدينية .

وفى النهاية أتمنى أن أكون قد وفقت في إعطاء هذا الموضوع حقه والذي يعتبر حلقة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية التي ضمت بين جوانبها معظم الشعوب المحيطة بها وحاولت أن تبسط سلطانها ونفوذها عليها إلا أنها فشلت في ذلك، على الرغم من أنها حققت السلام الروماني الذي عم معظم أرجائها. ونرجو أن نكون قد وفقنا في أعطاء صورة عن محاربة هذه الشعوب للهيمنة الرومانية وكفاحها من أجل استرداد أراضيها وطرد المستعمر الروماني منها، الأمر الذي أرغم الرومان على التنازل عن بعض المقاطعات نتيجة لشدة هذه المقاومة .

الفصـــــل الأول

أحوال الإمبراطورية الرومانية الداخلية والخارجية فيما بين ٢٣٥م_٢٨٤م

المبحث الاول: الأحوال الداخلية للإمبراطورية الرومانية.

١-*الأوضاع السياسية والعسكرية.*

٢-*الأحوال الإقتصادية والإجتماعية.*

٣-*الحياة الدينية والثقافية.*

المبحث الثانى:علاقة الإمبراطورية الرومانية مع جيرانها.

١- *القوط ، الوندال .*

٢- *الفرس.*

٣- *القبائل العربية :*

أ- **في المغرب العربى القديم .**

ب- **في المشرق العربى القديم .**

المبحث الثالث: دقلديانوس وظروف توليه الحكم

١- *أصله ونشأته .*

٢- *تقلبه في المراتب .*

٣- *وصوله للحكم .*

٤- *طريقته في الحكم .*

٥- *الإعتزال وأيامه الأخيرة .*

المبحث الاول:-الأحوال الداخلية للإمبراطورية الرومانية .

إن الذى يُلقى نظرة فاحصة على تاريخ الأمم متتبعا نشأتها وتطورها وإضمحلالها، لا يسعه إلا أن يقف مذهولاً أمام عظمة الإمبراطورية الرومانية ، تلك الإمبراطورية التي استطاعت أن تحقق السلام الروماني ، ولكن رغم ذلك كانت المحنة السياسية والإقتصادية والفكرية ،التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي من بين العوامل التي أدت إلى سقوط روما سنة ٤١٠م، ومن ثم سقوط الإمبراطورية الغربية نهائياً سنة ٤٧٦م[١]، وذلك عندما قامت على أنقاضها دويلات جرمانية صغيرة، وبذلك ظهر فى الغرب ماعرف بالإمبراطورية الرومانية الغربية، وفى الشرق ظهر ماعرف بالإمبراطورية الرومانية الشرقية[٢] .ولكن رغم ذلك كان للفوضى السياسية، والتدهور الاقتصادى والاجتماعى الذى مرت به الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي قد شجع الشعوب المحيطة بها مثل الفرس والقوط والقبائل العربية فى الشمال الأفريقى بالإغارة على حدودها، مما دفع بعض الأباطرة بالسماح لبعض هذه الشعوب بالإستقرار داخل حدود الإمبراطورية، وقد سمح الإمبراطور أورليان Aurelian على سبيل المثال لمجموعات كثيرة من الوندال والقوط بالاستقرار داخل حدود الإمبراطورية لتعويض النقص فى الأيدى العاملة فى الزراعة بسبب فرار الأيدى العاملة لتردى الأوضاع فى الإمبراطورية، بل أُستخدم البعض منها كفرق في الجيش الروماني[٣].

وفى القرن الثالث الميلادى أصبح الجيش هو صاحب السلطة العليا لضعف

[١] محمد محفل، محمد الزين، بحث فى تاريخ الرومان ط١٢، جامعة دمشق ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص١٤٣

[٢] السيد احمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨، ص٤٧٣

[٣] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د ت،ص١٨

بعض الأباطرة وعدم وجود الحنكة السياسية للبعض منهم[١]، حيث أصبح يعين ويعزل من أراد من الأباطرة بل قام بسفك دماء بعض الأباطرة ،ولا أدل على سوء حالة الإمبراطورية من

تـولى سـتة وعشـرون إمبراطـوراً فـى فتـرة وجيـزة لاتزيـد عـن خمسـين سـنة تمتـد مـن ٢٣٥ /٢٨٤م[٢]، ونتج عن ذلك نتائج سيئة، فثارت عدة ولايات وخرجت عن حكم الدولـة ،وعبث المتبربرون بالحدود وعاثوا في أرضها فساداً[٣]، وذلك عندما هاجم القوط ولايتى مواشيا واقليم داشيا سـنة ٢٥١م، والجرمـان لـوادى الـراين ، وتشـجعت القبائـل العربيـة فـى شـمال افريقيـا وهاجمت المدن الرومانية ودمرت مزارعها[٤]. ويرى بعض الباحثين أن الإمبراطورية الرومانية حملت بـوادر ضـعفها منـذ عصـر الجمهوريـة ،حيث أدى أتسـاع حـدودها إلـى تباعـد خطـوط المواصـلات، وعـدم مراقبـة كافـة الأقـاليم الأمـر الـذى سـاعد ولـو بشـكل جزئـى فـى تشـجيع الشعوب بالإغارة على الحدود من الخارج ، أو قيام بعض الحركات الإنفصالية من الداخل. كما يلقي بعض الباحثين اللوم على الأمبراطور أغسطس نفسه لإنشائه دولة مترامية الأطراف مختلفة الثقافات والأجناس، ومحاولة حكمها عن طريق حكومة مركزية واحدة[٥]

ومما زاد في حالة الإمبراطورية سوءً تفاقم الأخطار الخارجية من هجمات الفرس والقبائل الأوروبية على الإمبراطورية بعد أن فشل نظام الاستحكامات الدفاعية الثابتة الذى طُبق أثناء القرن الثاني الميلادي فى صد هذه الهجمات، ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية

---

[١] ول ديورنت، قصة الحضارة: الحضارة الرومانية، ت محمد بدران ج٣م٣ الجزء١١، دار الجبل، بيروت، تونس، ص٣٣٥

[٢] محمد مرسى الشيخ، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى، مكتبة الجمهورية، الإسكندرية ١٩٨٨، ص١٦

[٣] ج– ادجار، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم ط٤، مطبعة المعارف الحديثة، القاهرة د ت، ص١٥٥

[٤] سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق، ص١٧ ص١٨

[٥] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٤٧٨

والاجتماعيـة، سـاد الحقـد والحسـد فـي كـل مكـان وأصـبح الجـيش بغيضـاً لـدى كافـة شـرائح المجتمع، وخاصة الفلاحين لإستخدامه القسوة والسلب والنهب ضدهم بعد أن عجزوا عن دفع الضرائب الباهضة، وأبغض الوثنيين والمسيحيين وأضطهدهم، ونظر إليهم على أنهم مجموعة

من الأشرار تريد تدمير الدولة لأنهم رفضوا الإشتراك فى عبادة الإمبراطورية التى اعتبرها الرومان أساس وحدة الإمبراطورية[1] .

ويعتبر القرن الثالث إجمالاً مليئاً ببوادر أزمة متعددة الأشكال من سياسية وعسكرية اقتصادية واجتماعية و دينية وفكرية .

١-الاوضاع السسياسية والعسكرية.

إن اتساع الإمبراطورية وبُعد ولاياتها عن العاصمة "روما" جعل من الصعب على الحكومة مراقبة الأقاليم التابعة لها، وتطبيق النظام الروماني في كافة المقاطعات والإقاليم وحاصة البعيدة عنها، وقد حاولت بعض الأقاليم الاستقلال عن الدولة، ولهذا كانت أولى المشاكل التي عانت منها الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي هي كيفية المحافظة على وحدتها سليمة كاملة بعد أن حدثت فيها العديد من الثورات والحركات الإنفصالية في الشرق والغرب ،وكان السبب المباشر وراء هذه الثورات هو روح الاستياء والغضب التي كان لتردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ،والعنصرية دوراً بارزاً في ظهورها لدى شعوب الإمبراطورية[2] ، كما تدخل الجيش فى الشئون السياسية فاصبح يعزل ويعين من الأباطرة من يشأ ، ولذا اهتمت بالمحافظة على مكانة الإمبراطور حتى لا يصبح بعد ذلك

---

(1) م رستو فتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الأجتماعى والأقتصادى ج٢، ت زكى على، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية،د ت، ص٦٠٤

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص١٤

ألعوبة في أيدى الجنود [1] .

ولا يهمنا في هذه الفترة أسماء الأباطرة الذين جلسوا على العرش الامبراطورى بقدر ما تهمنا وقائعهم الحربية ومماتهم ،فمنهم من قامت ضده ثورة وتم خلعه وعُين غيره إمبراطوراً

ومعظم الأباطرة انتهوا نهاية وحشية إما على أيدي الجنود الذين نصبوهم على رأس الدولة ،أو على يد الأعداء في إحدى المعارك، لدرجة أنه لم ينجُ من القتل سوى إمبراطوراً واحداً فقط . إن إعتلاء العرش في القرن الثاني الميلادي كان يتم بالتعيين من قبل الإمبراطور السابق إلا أن هذا النظام انهار فى القرن الثالث الميلادي، كما أن معظم الأباطرة الذين تولوا الحكم لم يكونوا من الرومان، وإنما كان هناك الإمبراطور السورى والإمبراطور الإفريقي [٢]، وهذا أدى بدوره إلى صراع مرير لعب فية الجيش دوراً كبيراً وتسبب في الاضطرابات وعدم الاستقرار، فعلى سبيل المثال بعد مقتل ماركوس الأسكندر سفيروس* سنة ٢٣٥م(الذى قام بعدة أعمال جليلة ساهمت فى وجود نوع من الاستقرار لدى الرومانى، منها تخفيف الضرائب وأستكمال الدفاعات فى شمال أفريقيا، وبمقتله انتهت الأسرة السفيرية)، عين مكسيمينوس التراقى إمبراطوراً من بعده وامتازت فترة حكمه بأنتشار الفوضى وقد استمرت حتى تولى دقلديانوس الحكم، وإفلاس الخزينة مما دفعه الى استصدار الاوامر لجمع الضرائب قهراً فقامت ضده ثورة، وقُتل نائبه في أفريقيا، وتم خلعه وتعيين جورديانوس الثالث مكانه الذى خاض في سنة ٢٣٨م عدة حروب لإخضاع

[١] رستو فتزف، المرجع السابق، ص٦٠٧

[٢] محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص١٦

* كان الإسكندر يسمى الكسيانوس Alcxianus وقد اتصف بالاخلاق الحسنة، والمعاملة الكريمة ومن اهم الاعمال التى قام بها حروبه ضد الفرس سنة٢٣٠، واثناء استعداداته لحرب القبائل الأوروبية قُتل على يد جنوده وعُين بدلاً منه مكسيمينوس التراقى.

المواطنين الذين رفضوا تقديم الضرائب[١]، ومن أعمال جورديانوس الثالث في أفريقيا حل الفرقة الأوغسطية الثالثة الأمر الذى شجع هجمات القبائل العربية ضد الوجود الرومانى[٢]، وقد قتله جنوده وهو يحارب فى أفريقيا ضد القبائل العربية سنة ٢٤٤م[٣]. كما قتل فيليب

العربي بالقرب من فيرونا Verona على يد جيش ديسيوس Decius، الذى فى عهده هاجم القوط بقيادة كنيفيا Kniva التحصينات الرومانية فى سهل الدانوب[٤]، وقد أصبحت كل فرقة تسعى بأن يصل قائدها إلى العرش الإمبراطوري ، أو تقوم بتعيين الذى سيدفع لها أعلى ثمن في العرش الإمبراطورى ، أو حسب قدرة الطامع في العرش على رشوة الجند، بالإضافة إلى أن الإمبراطورية فقدت في تلك الفترة حكومة مركزية قوية تدير شئونها، فجلُّ الأباطرة كان اهتمامهم هو المحافظة على ولاء الجيش لهم ليضمن استمرار جلوسه على العرش، بالإضافة إلى فرض الضرائب لجمع الأموال ليدفعوا رواتب الجنود .

وفى عام ٢٥٥م أغار القوط على مقدونيا ودلماشيا، وفى سنة ٢٥٧م سيطروا على مملكة بسيورس، كما أغار الفرس على سوريا وتمكنوا من هزيمة فاليريان Valerian في الرها سنة ٢٦٠م ومات فاليريان أسيراً[٥] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الجيش الروماني وانشغاله في تعيين وعزل الأباطرة .وقد قال ابنه جالينوس " **لقد عرفت أن أبى فانِِ وليس مخلداً ،ولقد فعل كما يليق بالشجعان أن يفعلوا، ومن**

---

[١] احمد محمد انديشة، التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاثط٣، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراتة ١٩٩٣، ص١٠١

[٢] محمد الطاهر الجرارى ، موقف القبائل الليبية من الحكم الرومانى خلال القرن الثالث الميلادى، البحوث التاريخية، العدد٢، مركز جهاد الليبيين ١٩٨٩،ص٧

[3] Collection Latomus((Rome et les berberes)) revue d,etudes latines,Bruxelles1937,p236

[٤] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٤٩٦

[٥] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٣٨

ثم فإني راضِ كل الرضا "[١] .وقد قام جالينوس بجانب انتصاراته العسكرية بحركة إصلاح شاملة كانت النواة الأولى لإصلاحات دقلديانوس ،وقد تمثلت فى سيطرة الإمبراطور على القوات العسكرية ، وقطع الطريق أمام قادة الجيش دون الوصول الى الحكم ، بالإضافة

الى حماية الإمبراطورية من هجمات الشعوب المحيطة بها ،ومن أهم إصلاحاته فى مجال الجيش والدفاع هى إبعاد مجلس الشيوخ والسناتو عن القيادة لتدخلهم فى تعيين وعزل الآباطرة ، وعين بدلاً عنهم قادة من الفرسان الذين أصبحوا يتولون القيادات العسكرية فى ولايات الإمبراطورية ،وأصبحت رتبة قائد الفرسان أهم مرتبة فى الدولة بعد الإمبراطور،كما قام بتطوير خطوط الدفاع والتحصين ، وذلك بإنشائه خط دفاعى ثانى بعد خط الدفاع الأول الذى طبقه الأباطرة قبل ذلك من أمثال هادريان ، وذلك إذا تمكن العدو من التسلل عبر الخط الأول يصده الخط الثانى، كما أنشأ فرقة عسكرية خفيفة سريعة متحركة ،وألغى نظام المشاة نتيجة لبطئه فى الوصول الى المناطق التى يتهددها الخطر وأنشأ فرقة أخرى على الطريقة الفارسية يتسلح الرجل والحصان بالدروع وقد عرفت بالمدرعة [٢] .

بعد جالينوس تولى العرش أباطرة أقوياء قال عنهم جيبون بالنص" إنهم يستحقون اللقب المجيد معيدو بناء العالم الروماني "[٣] ، وأول هؤلاء الأباطرة الذين امتازوا بالقوة اورليان Aurelian ،الذى أنهى الحرب مع القوط وتوجه مسرعاً نحو زنوبيا

---

[١] ادوارد جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ط٢ ج١، ت محمد ابودرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧،ص١٧٩

[٢] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٥٠٩ص٥١٠

[٣] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص١٨٩

ملكة (بالميرا)* Palmyra تدمر، واستطاع الإنتصار عليها ، وقد قام اورليان أيضاً بمحاولة إصلاحية، وهى إصلاح الإقتصاد المنهار وذلك بإعادة النقد إلى الوضع الطبيعي[١] .

بالإضافة إلى ذلك كان حكام الولايات قد فقدوا القدرة على إدارة شئون ولاياتهم مما أفقدهم ثقة الحكومة ، وجعلها تتبع السياسة المركزية ،وكثيراً ما كانت الحكومة تتدخل لمحاولة إصلاح الأوضاع الإدارية في الولايات ،وذلك بتصغير مساحات الولايات بتقسيمها إلى

وحدات إدارية صغيرة، فبعد إن كانت ٤٦ ولاية سنة ٤١م أصبحت ١١٩ولاية سنة ٣٢٧م [٢]
.

وهكذا انتاب الإمبراطورية صراع مرير شبيه بالصراع الذى دار عام الفتنة سنة ٦٨ –٦٩م ، وفترة الصراع على السلطة سنة ١٩٣–١٩٧م،وذلك عندما حدث النزاع بين قوات الحرس البرايتورى المتحكمة فى العاصمة روما مع قوات الإمبراطور المتواجدة على الحدود، وكذلك تولى قائد القوات المتمرده مكسيمينوس إمبراطوراً بعد إغتيال سفيروس إسكندر، وبالتالي تحطم السلام الروماني أعظم ماحققه أغسطس والأباطرة الصالحون[٣]، وخلال هذه الفترة بدأ التسلط العسكري بسيطرة قوات الحرس البرايتورى على القصر وقتلها لبعض الأباطرة ،وتعيين من تراهم يدفعون لها ثمن الجلوس على العرش .

وبهذا أصبح الجيش الروماني هو الذى ينعم بثمار الإمبراطورية في القرن الثالث

* بالميرا كلمة يونانية تعنى واحة النخيل، ينظر السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٥٠٤

(١) المرجع نفسه، ص٥١٧

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص١٤

(٣) السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق٤٧٧ص٤٧٨

الميلادي ، بل أصبح هو المتحكم الفعلي ،فزيدت عدد الفرق العسكرية وضوعفت الرواتب،ومنح الجنود حق الزواج أثناء الخدمة وأصبح للدكتاتورية العسكرية وتسلط القوات على الحكام مضار ومنافع، فمن ناحية ألزم الجيش بحماية الإمبراطورية، ولكن هذا الدفاع عن الإمبراطورية دفعه إلى الغرور والتسلط وتكريس الدكتاتورية العسكرية بكل جبروتها ،كما تميز القرن الثالث بسيطرة الجنود الأجانب من أليريين وأسيويين وأفريقيين على الجيش الروماني ، بل وفرض الجرمان قيادتهم عليه بالقوة ،وقد زودوا البلاد بأكثر من إمبراطور ،وكان الإمبراطور الذى يتولى العرش من بين جنود الولايات لا يشعر برابطة قوية نحو روما،

وهكذا أصبح الجيش في هذه المرحلة الجديدة ذا قوة ويتزايد نفوذه، وبدلاً من أن يحكم الامبراطور بواسطة الجيش أصبح الجيش هو الذى يحكم بواسطة الإمبراطور، وقد أدت سيطرة القادة العسكريين على الحكم إلى عدم الإستقرار داخليا[1] ، بعد أن كان الجيش خادماً مخلصاً للإمبراطور الأمر الذى جعل الأباطرة وأعضاء السناتو ألعوبة في أيدى رجال الجيش ،وهذا أدى إلى زيادة الضرائب، بل والتعسف في جبايتها وإصدار ضريبة جديدة عرفت بضريبة التجنيد لمساعدة الأباطرة في رفع ودفع رواتب هؤلاء الجنود، لكي يضمنوا سلامتهم وحماية الجنود لهم[2]

ونتيجة للفوضى التي حلت بالجيش بسبب إنشغاله فى الأمور السياسية وطموح بعض قادته فى الوصول الى العرش وإهماله المناطق الحدودية ، وأصبح هم الاباطرة الجلوس على العرش وتوفير الأموال للجيش، والخطر الخارجي يشتد والشعوب المحيطة بالإمبراطورية تتشجع وتهاجم الحدود ،واختل الأمن في كافة أرجاء الإمبراطورية فقام

(1) عمركمال توفبق، تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية ١٩٧٧،ص٢٧

(2) السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق٥٢٩

الساكسون بأعمال القرصنة في بحر المانش[1]، واجتاز القوط مراراً نهر الدانوب ،وأفقرت الأرياف واضطرت المدن إلى الانعزال داخل أسوارها المحصنة التي أسرعت لبنائها[2]، وأحاطت روما نفسها بالإسوار في عهد اورليان[3]. وهكذا كان للفوضى السياسية والعسكرية الدور الفعال في الإضطرابات الإقتصادية والإجتماعية خلال القرن الثالث الميلادي .

٢-الأحوال الإقتصادية والإجتماعية .

عجلت الفوضى السياسية التى عاشتها الإمبراطورية إلى تدهور أحوالها من الناحية الإقتصادية.وكان السبب المباشر في الضعف الإقتصادي أن الأباطرة لم يقيموا في ايطاليا حياة اقتصادية سليمة تستطيع من خلالها تعويض النقص الناتج عن الزراعة والتجارة، كما

كان للحبوب التى تجلبها روما من ولاياتها مثل صقلية وأفريقيا ومصر دور في قلة الإنتاج ، والتى أدت إلى زيادة الفقر في روما، كما أن روما فشلت في إنجاز ثورة صناعية حيث بقيت الأساليب الصناعية على حالها بمعنى أنها ظلت معتمدة على الصناعة المحلية، بالإضافة الى عدم وجود دوافع تحث على اكتشاف مصادر جديدة للصناعة. وبهذا يمكن القول أن الخطأ الجوهري في النظام الإقتصادي لدى الرومان كان متمثلا في الاعتماد على الأيدى العاملة ، فكان لزاماً على الدولة أن تشجع العمال للإشتغال فى المصانع والمزارع وعدم استخدام القسوة معهم وخاصة جباية الضرائب، التى كانت من أهم الاسباب التى أدت

[١] أندريه ايمار، جانين أبويه، تاريخ الحضارات العام ،روما وإمبراطوريتها م٢، ت يوسف داغر ،فريد داغر، منشورات عويدات ، بيروت، باريس،د ت،ص٥٢٩

[٢] المرجع نفسه، ص٥٣٠

[٣] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٤١

الى هجرة السكان ومنهم الفلاحين خارج الدولة[١]. كما توقفت التجارة وأصبحت الطرق التجارية البحرية تتعرض لغارات القراصنة، فى حين أن التجارة الداخلية كانت تتعرض لقطاع الطرق[٢]، ولم تكن هناك سياسة حكومية رسمية خاصة بالتجارة، وإنما كان الإعتماد على أيدى الطبقة الأرستقراطية وأرباب السفن المشتغلين بالتجارة[٣]. وقد تأثرت الصناعة بكساد التجارة حيث نقصت صادرات إيطاليا، نتيجة لنقص المواد الأولية الخاصة بالصناعة، واقتصرت الصناعة الإيطالية على الأسواق المحلية، كما أن الصناعة لم تجد حافزاً يدفعها إلى توزيع منتجاتها على نطاق أوسع[٤]. وحتى وقت متأخر من القرن الثالث الميلادي لم توجد مصانع أو مشروعات تتبع الحكومة. كما شهد القرن الثالث نمو الإقطاعيات والضياع الكبيرة التى انتشرت على حساب الملاك الصغار[٥]. ومن أموال الطبقة البرجوازية انتشرت عمليات البناء والتعمير ،وأقيمت مهرجانات الصيد والترفيه، ولكن سرعان ماحل الدمار بهذه

المنشآت، لعدم اهتمام الدولة بإعادة ترميم هذه المنشأت أو إنشأ غيرها بإستثناء بعض المبانى الحكومية مثل القصور الإمبراطورية، كما أهملت الزراعة لقلة العناية بالرى ،وعدم تحسين وضع المزارعين، فارتفعت الأسعار وقلت الأيدي العاملة في الزراعة نتيجة لإرتفاع نسبة الوفيات بسبب الأوبئة والحروب المتعاقبة. ومما زاد الوضع سوءً ضخامة الضرائب سواء تلك التي فرضتها الحكومة أو التي أمرت السلطات المحلية بجمعها، وقد فرضت الضرائب على جميع السلع التجارية بنسبة تتراوح

---

(١) إبراهيم خميس، حسن عبد الوهاب، سهيلا نعنيع، معالم التاريخ الأوروبى الوسيط، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية٢٠٠٤ ،ص١٨

(٢) ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٤٣

(٣) م،ت ، تشارلز روث، الإمبراطورية الرومانية، ت رمزي عبدة جرجس، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٩ ،ص٨٥.

(٤) ر.هـ. بارو، الرومان ،ت عبد الرزاق يسرى م سهير القلماوى ،دار النهضة المصرية ١٩٦٨،ص١٧٥.

(٥) محمد حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٣،ص١٤.

مابين ٢%- ١٢% بالإضافة إلى الضرائب التي فرضتها الدولة على المدن مثل ضرائب المأكولات التي ترد إليها من الأقاليم المجاورة[١].

ونتيجة للصراع الداخلي والخارجي انكمشت المدن خاصة بعد تدهور الزراعة والتجارة والصناعة، بالإضافة إلى النهب وقطاع الطرق . وقد انعكس التدهور الاقتصادي في فوضى نظام النقد ، فمند أيام جالينوس لم يعد الدينار يحتوى إلا على٢% من نسبة الفضة والباقي كان برونزاً ،وقد حاولت الحكومة سك نقود جديدة لحفظ التوازن بين السيولة والأسعار، وقد استغلت حكومة الإمبراطورية النقص فى الذهب والفضة، فرفعت من نسبة النحاس فى العملة الفضية. ونتيجة لإنخفاض قيمة العملة فى الإمبراطورية ارتفعت أسعار العملات القديمة ذات النسب العالية من الفضة . وقد ظهرت عدة محاولات لتزييف العملة حيث سُكت نقود من الرصاص .وقد بلغت الفوضى الإقتصادية والنقدية مرحلة خطيرة حتى أن الناس رفضوا

وفى النهاية أتمنى أن أكون قد وفقت في إعطاء هذا الموضوع حقه والذي يعتبر حلقة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية التي ضمت بين جوانبها معظم الشعوب المحيطة بها وحاولت أن تبسط سلطانها ونفوذها عليها إلا أنها فشلت في ذلك، على الرغم من أنها حققت السلام الروماني الذي عم معظم أرجائها. ونرجو أن نكون قد وفقنا في أعطاء صورة عن محاربة هذه الشعوب للهيمنة الرومانية وكفاحها من أجل استرداد أراضيها وطرد المستعمر الروماني منها، الأمر الذي أرغم الرومان على التنازل عن بعض المقاطعات نتيجة لشدة هذه المقاومة .

الفصـــــل الأول

أحوال الإمبراطورية الرومانية الداخلية والخارجية فيما بين ٢٣٥م_٢٨٤م

المبحث الاول: الأحوال الداخلية للإمبراطورية الرومانية.

١-*الأوضاع السياسية والعسكرية.*

٢-*الأحوال الإقتصادية والإجتماعية.*

٣-*الحياة الدينية والثقافية.*

المبحث الثانى:علاقة الإمبراطورية الرومانية مع جيرانها.

١- *القوط ، الوندال .*

٢- *الفرس.*

٣- *القبائل العربية :*

أ- **في المغرب العربى القديم .**

ب- **في المشرق العربى القديم .**

المبحث الثالث: دقلديانوس وظروف توليه الحكم

١- *أصله ونشأته .*

٢- *تقلبه في المراتب .*

٣- *وصوله للحكم .*

٤- *طريقته في الحكم .*

٥- *الإعتزال وأيامه الأخيرة .*

المبحث الاول:-الأحوال الداخلية للإمبراطورية الرومانية .

إن الذى يُلقى نظرة فاحصة على تاريخ الأمم متتبعا نشأتها وتطورها وإضمحلالها، لا يسعه إلا أن يقف مذهولاً أمام عظمة الإمبراطورية الرومانية ، تلك الإمبراطورية التي استطاعت أن تحقق السلام الروماني ، ولكن رغم ذلك كانت المحنة السياسية والإقتصادية والفكرية ،التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي من بين العوامل التي أدت إلى سقوط روما سنة ٤١٠م، ومن ثم سقوط الإمبراطورية الغربية نهائياً سنة ٤٧٦م[١]، وذلك عندما قامت على أنقاضها دويلات جرمانية صغيرة، وبذلك ظهر فى الغرب ماعرف بالإمبراطورية الرومانية الغربية، وفى الشرق ظهر ماعرف بالإمبراطورية الرومانية الشرقية[٢] .ولكن رغم ذلك كان للفوضى السياسية، والتدهور الاقتصادى والاجتماعى الذى مرت به الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي قد شجع الشعوب المحيطة بها مثل الفرس والقوط والقبائل العربية فى الشمال الأفريقى بالإغارة على حدودها، مما دفع بعض الأباطرة بالسماح لبعض هذه الشعوب بالإستقرار داخل حدود الإمبراطورية، وقد سمح الإمبراطور أورليان Aurelian على سبيل المثال لمجموعات كثيرة من الوندال والقوط بالاستقرار داخل حدود الإمبراطورية لتعويض النقص فى الأيدى العاملة فى الزراعة بسبب فرار الأيدى العاملة لتردى الأوضاع فى الإمبراطورية، بل أُستخدم البعض منها كفرق في الجيش الروماني[٣].

وفي القرن الثالث الميلادى أصبح الجيش هو صاحب السلطة العليا لضعف

[١] محمد محفل، محمد الزين، بحث فى تاريخ الرومان ط١٢، جامعة دمشق ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص١٤٣

[٢] السيد احمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨، ص٤٧٣

[٣] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د ت،ص١٨

بعض الأباطرة وعدم وجود الحنكة السياسية للبعض منهم[١]، حيث أصبح يعين ويعزل من أراد من الأباطرة بل قام بسفك دماء بعض الأباطرة ،ولا أدل على سوء حالة الإمبراطورية من

تـولى سـتة وعشـرون إمبراطـوراً فـى فتـرة وجيـزة لاتزيـد عـن خمسـين سـنـة تمتـد مـن ٢٣٥ /٢٨٤م[٢]، ونتج عن ذلك نتائج سيئة، فثارت عدة ولايات وخرجت عن حكم الدولـة ،وعبث المتبربرون بالحدود وعاثوا في أرضها فساداً[٣]، وذلك عندما هاجم القوط ولايتى مواشيا واقليم داشيا سـنة ٢٥١م، والجرمـان لـوادى الـراين ، وتشـجعت القبائـل العربيـة فـى شـمال افريقيـا وهاجمت المدن الرومانية ودمرت مزارعها[٤]. ويرى بعض الباحثين أن الإمبراطورية الرومانية حملت بوادر ضعفها منذ عصر الجمهورية ،حيث أدى أتسـاع حدودها إلى تباعد خطوط المواصـلات، وعدم مراقبـة كافـة الأقـاليم الأمـر الـذى سـاعد ولـو بشـكل جزئـى فـى تشـجيع الشعوب بالإغارة على الحدود من الخارج ، أو قيام بعض الحركات الإنفصالية من الداخل. كما يلقي بعض الباحثين اللوم على الأمبراطور أغسطس نفسه لإنشائه دولة مترامية الأطراف مختلفة الثقافات والأجناس، ومحاولة حكمها عن طريق حكومة مركزية واحدة[٥]

ومما زاد في حالة الإمبراطورية سوءً تفاقم الأخطار الخارجية من هجمات الفرس والقبائل الأوروبية على الإمبراطورية بعد أن فشل نظام الاستحكامات الدفاعية الثابتة الذى طُبق أثناء القرن الثاني الميلادي فى صد هذه الهجمات، ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية

[١] ول ديورنت، قصة الحضارة: الحضارة الرومانية، ت محمد بدران ج٣م٣ الجزء١١، دار الجبل، بيروت، تونس، ص٣٣٥

[٢] محمد مرسى الشيخ، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى، مكتبة الجمهورية، الإسكندرية ١٩٨٨، ص١٦

[٣] ج– ادجار، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم ط٤، مطبعة المعارف الحديثة، القاهرة د ت، ص١٥٥

[٤] سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق، ص١٧ ص١٨

[٥] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٤٧٨

والاجتماعيـة، سـاد الحقد والحسـد فـي كـل مكـان وأصـبح الجـيش بغيضـاً لـدى كافـة شـرائح المجتمع، وخاصة الفلاحين لإستخدامه القسوة والسلب والنهب ضدهم بعد أن عجزوا عن دفع الضرائب الباهضة، وأبغض الوثنيين والمسيحيين وأضطهدهم، ونظر إليهم على أنهم مجموعة

من الأشرار تريد تدمير الدولة لأنهم رفضوا الإشتراك فى عبادة الإمبراطورية التى اعتبرها الرومان أساس وحدة الإمبراطورية[١] .

ويعتبر القرن الثالث إجمالاً مليئاً ببوادر أزمة متعددة الأشكال من سياسية وعسكرية اقتصادية واجتماعية و دينية وفكرية .

١-الاوضاع السسياسية والعسكرية.

إن اتساع الإمبراطورية وبُعد ولاياتها عن العاصمة "روما" جعل من الصعب على الحكومة مراقبة الأقاليم التابعة لها، وتطبيق النظام الروماني في كافة المقاطعات والإقاليم وحاصة البعيدة عنها، وقد حاولت بعض الأقاليم الاستقلال عن الدولة، ولهذا كانت أولى المشاكل التي عانت منها الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي هي كيفية المحافظة على وحدتها سليمة كاملة بعد أن حدثت فيها العديد من الثورات والحركات الإنفصالية في الشرق والغرب ،وكان السبب المباشر وراء هذه الثورات هو روح الاستياء والغضب التي كان لتردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ،والعنصرية دوراً بارزاً في ظهورها لدى شعوب الإمبراطورية[٢] ، كما تدخل الجيش فى الشئون السياسية فاصبح يعزل ويعين من الأباطرة من يشأ ، ولذا اهتمت بالمحافظة على مكانة الإمبراطور حتى لا يصبح بعد ذلك

(١) م رستو فتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الأجتماعى والأقتصادى ج٢، ت زكى على، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية،د ت، ص٦٠٤

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص١٤

ألعوبة في أيدى الجنود [١] .

ولا يهمنا في هذه الفترة أسماء الأباطرة الذين جلسوا على العرش الامبراطورى بقدر ما تهمنا وقائعهم الحربية ومماتهم ،فمنهم من قامت ضده ثورة وتم خلعه وعُين غيره إمبراطوراً

ومعظم الأباطرة انتهوا نهاية وحشية إما على أيدي الجنود الذين نصبوهم على رأس الدولة ،أو على يد الأعداء في إحدى المعارك، لدرجة أنه لم ينجُ من القتل سوى إمبراطوراً واحداً فقط . إن إعتلاء العرش في القرن الثاني الميلادي كان يتم بالتعيين من قبل الإمبراطور السابق إلا أن هذا النظام انهار فى القرن الثالث الميلادي، كما أن معظم الأباطرة الذين تولوا الحكم لم يكونوا من الرومان، وإنما كان هناك الإمبراطور السورى والإمبراطور الإفريقي [٢]، وهذا أدى بدوره إلى صراع مرير لعب فية الجيش دوراً كبيراً وتسبب في الاضطرابات وعدم الاستقرار، فعلى سبيل المثال بعد مقتل ماركوس الأسكندر سفيروس* سنة ٢٣٥م(الذى قام بعدة أعمال جليلة ساهمت فى وجود نوع من الاستقرار لدى الرومانى، منها تخفيف الضرائب وأستكمال الدفاعات فى شمال أفريقيا، وبمقتله انتهت الأسرة السفيرية)، عين مكسيمينوس التراقى إمبراطوراً من بعده وامتازت فترة حكمه بأنتشار الفوضى وقد استمرت حتى تولى دقلديانوس الحكم، وإفلاس الخزينة مما دفعه الى استصدار الاوامر لجمع الضرائب قهراً فقامت ضده ثورة، وقُتل نائبه في أفريقيا، وتم خلعه وتعيين جورديانوس الثالث مكانه الذى خاض في سنة ٢٣٨م عدة حروب لإخضاع

---

[١] رستو فتزف، المرجع السابق، ص٦٠٧

[٢] محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص١٦

* كان الإسكندر يسمى الكسيانوس Alcxianus وقد اتصف بالاخلاق الحسنة، والمعاملة الكريمة ومن اهم الاعمال التى قام بها حروبه ضد الفرس سنة٢٣٠، واثناء استعداداته لحرب القبائل الأوروبية قُتل على يد جنوده وعُين بدلاً منه مكسيمينوس التراقى.

المواطنين الذين رفضوا تقديم الضرائب[١]، ومن أعمال جورديانوس الثالث في أفريقيا حل الفرقة الأوغسطية الثالثة الأمر الذى شجع هجمات القبائل العربية ضد الوجود الرومانى[٢]، وقد قتله جنوده وهو يحارب فى أفريقيا ضد القبائل العربية سنة ٢٤٤م[٣]. كما قتل فيليب

العربي بالقرب من فيرونا Verona على يد جيش ديسيوس Decius، الذى فى عهده هاجم القوط بقيادة كنيفيا Kniva التحصينات الرومانية فى سهل الدانوب[٤]، وقد أصبحت كل فرقة تسعى بأن يصل قائدها إلى العرش الإمبراطوري ، أو تقوم بتعيين الذى سيدفع لها أعلى ثمن في العرش الإمبراطورى ، أو حسب قدرة الطامع في العرش على رشوة الجند، بالإضافة إلى أن الإمبراطورية فقدت في تلك الفترة حكومة مركزية قوية تدير شئونها، فجلُّ الأباطرة كان اهتمامهم هو المحافظة على ولاء الجيش لهم ليضمن استمرار جلوسه على العرش، بالإضافة إلى فرض الضرائب لجمع الأموال ليدفعوا رواتب الجنود .

وفى عام ٢٥٥م أغار القوط على مقدونيا ودلماشيا، وفى سنة ٢٥٧م سيطروا على مملكة بسيورس، كما أغار الفرس على سوريا وتمكنوا من هزيمة فاليريان Valerian في الرها سنة ٢٦٠م ومات فاليريان أسيراً[٥] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الجيش الروماني وانشغاله في تعيين وعزل الأباطرة .وقد قال ابنه جالينوس " **لقد عرفت أن أبى فانٍ وليس مخلداً ،ولقد فعل كما يليق بالشجعان أن يفعلوا، ومن**

[١] احمد محمد انديشة، التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاثط٣، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراتة ١٩٩٣، ص١٠١

[٢] محمد الطاهر الجرارى ، موقف القبائل الليبية من الحكم الرومانى خلال القرن الثالث الميلادى، البحوث التاريخية، العدد٢، مركز جهاد الليبيين ١٩٨٩،ص٧

[3] Collection Latomus((Rome et les berberes)) revue d,etudes latines,Bruxelles1937,p236

[٤] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٤٩٦

[٥] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٣٨

ثم فإني راضٍ كل الرضا "[١] .وقد قام جالينوس بجانب انتصاراته العسكرية بحركة إصلاح شاملة كانت النواة الأولى لإصلاحات دقلديانوس ،وقد تمثلت فى سيطرة الإمبراطور على القوات العسكرية ، وقطع الطريق أمام قادة الجيش دون الوصول الى الحكم ، بالإضافة

الى حماية الإمبراطورية من هجمات الشعوب المحيطة بها ،ومن أهم إصلاحاته فى مجال الجيش والدفاع هى إبعاد مجلس الشيوخ والسناتو عن القيادة لتدخلهم فى تعيين وعزل الآباطرة ، وعين بدلاً عنهم قادة من الفرسان الذين أصبحوا يتولون القيادات العسكرية فى ولايات الإمبراطورية ،وأصبحت رتبة قائد الفرسان أهم مرتبة فى الدولة بعد الإمبراطور،كما قام بتطوير خطوط الدفاع والتحصين ، وذلك بإنشائه خط دفاعى ثانى بعد خط الدفاع الأول الذى طبقه الأباطرة قبل ذلك من أمثال هادريان ، وذلك إذا تمكن العدو من التسلل عبر الخط الأول يصده الخط الثانى، كما أنشأ فرقة عسكرية خفيفة سريعة متحركة ،وألغى نظام المشاة نتيجة لبطئه فى الوصول الى المناطق التى يتهددها الخطر وأنشأ فرقة أخرى على الطريقة الفارسية يتسلح الرجل والحصان بالدروع وقد عرفت بالمدرعة [٢] .

بعد جالينوس تولى العرش أباطرة أقوياء قال عنهم جيبون بالنص" إنهم يستحقون اللقب المجيد معيدو بناء العالم الروماني "[٣] ، وأول هؤلاء الأباطرة الذين امتازوا بالقوة اورليان Aurelian ،الذى أنهى الحرب مع القوط وتوجه مسرعاً نحو زنوبيا

---

[١] ادوارد جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ط٢ ج١، ت محمد ابودرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧،ص١٧٩

[٢] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٥٠٩ص٥١٠

[٣] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص١٨٩

ملكة (بالميرا)* Palmyra تدمر، واستطاع الإنتصار عليها ، وقد قام اورليان أيضاً بمحاولة إصلاحية، وهى إصلاح الإقتصاد المنهار وذلك بإعادة النقد إلى الوضع الطبيعي[١] .

بالإضافة إلى ذلك كان حكام الولايات قد فقدوا القدرة على إدارة شئون ولاياتهم مما أفقدهم ثقة الحكومة ، وجعلها تتبع السياسة المركزية ،وكثيراً ما كانت الحكومة تتدخل لمحاولة إصلاح الأوضاع الإدارية في الولايات ،وذلك بتصغير مساحات الولايات بتقسيمها إلى

وحدات إدارية صغيرة، فبعد إن كانت ٤٦ ولاية سنة ٤١م أصبحت ١١٩ولاية سنة ٣٢٧م [٢]

.

وهكذا انتاب الإمبراطورية صراع مرير شبيه بالصراع الذى دار عام الفتنة سنة ٦٨ –٦٩م ، وفترة الصراع على السلطة سنة ١٩٣–١٩٧م،وذلك عندما حدث النزاع بين قوات الحرس البرايتورى المتحكمة فى العاصمة روما مع قوات الإمبراطور المتواجدة على الحدود، وكذلك تولى قائد القوات المتمرده مكسيمينوس إمبراطوراً بعد إغتيال سفيروس إسكندر، وبالتالي تحطم السلام الروماني أعظم ماحققه أغسطس والأباطرة الصالحون[٣]، وخلال هذه الفترة بدأ التسلط العسكري بسيطرة قوات الحرس البرايتورى على القصر وقتلها لبعض الأباطرة ،وتعيين من تراهم يدفعون لها ثمن الجلوس على العرش .

وبهذا أصبح الجيش الروماني هو الذى ينعم بثمار الإمبراطورية في القرن الثالث

---

* بالميرا كلمة يونانية تعنى واحة النخيل، ينظر السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٥٠٤

[١] المرجع نفسه، ص٥١٧

[٢] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص١٤

[٣] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق٤٧٧ص٤٧٨

الميلادي ، بل أصبح هو المتحكم الفعلي ،فزيدت عدد الفرق العسكرية وضوعفت الرواتب،ومنح الجنود حق الزواج أثناء الخدمة وأصبح للدكتاتورية العسكرية وتسلط القوات على الحكام مضار ومنافع، فمن ناحية ألزم الجيش بحماية الإمبراطورية، ولكن هذا الدفاع عن الإمبراطورية دفعه إلى الغرور والتسلط وتكريس الدكتاتورية العسكرية بكل جبروتها ،كما تميز القرن الثالث بسيطرة الجنود الأجانب من أليريين وأسيويين وأفريقيين على الجيش الروماني ، بل وفرض الجرمان قيادتهم عليه بالقوة ،وقد زودوا البلاد بأكثر من إمبراطور ،وكان الإمبراطور الذى يتولى العرش من بين جنود الولايات لا يشعر برابطة قوية نحو روما،

وهكذا أصبح الجيش في هذه المرحلة الجديدة ذا قوة ويتزايد نفوذه، وبدلاً من أن يحكم الامبراطور بواسطة الجيش أصبح الجيش هو الذى يحكم بواسطة الإمبراطور، وقد أدت سيطرة القادة العسكريين على الحكم إلى عدم الإستقرار داخليا[1] ، بعد أن كان الجيش خادماً مخلصاً للإمبراطور الأمر الذى جعل الأباطرة وأعضاء السناتو ألعوبة في أيدى رجال الجيش ،وهذا أدى إلى زيادة الضرائب، بل والتعسف في جبايتها وإصدار ضريبة جديدة عرفت بضريبة التجنيد لمساعدة الأباطرة في رفع ودفع رواتب هؤلاء الجنود، لكي يضمنوا سلامتهم وحماية الجنود لهم[2]

ونتيجة للفوضى التي حلت بالجيش بسبب إنشغاله فى الأمور السياسية وطموح بعض قادته فى الوصول الى العرش وإهماله المناطق الحدودية ، وأصبح هم الاباطرة الجلوس على العرش وتوفير الأموال للجيش، والخطر الخارجي يشتد والشعوب المحيطة بالإمبراطورية تتشجع وتهاجم الحدود ،واختل الأمن في كافة أرجاء الإمبراطورية فقام

[1] عمركمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية ١٩٧٧،ص٢٧

[2] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق٥٢٩

الساكسون بأعمال القرصنة في بحر المانش[1]، واجتاز القوط مراراً نهر الدانوب ،وأفقرت الأرياف واضطرت المدن إلى الانعزال داخل أسوارها المحصنة التي أسرعت لبنائها[2]، وأحاطت روما نفسها بالإسوار في عهد اورليان[3]. وهكذا كان للفوضى السياسية والعسكرية الدور الفعال في الإضطرابات الإقتصادية والإجتماعية خلال القرن الثالث الميلادي .

٢-الأحوال الإقتصادية والإجتماعية .

عجلت الفوضى السياسية التى عاشتها الإمبراطورية إلى تدهور أحوالها من الناحية الإقتصادية.وكان السبب المباشر في الضعف الإقتصادي أن الأباطرة لم يقيموا في ايطاليا حياة اقتصادية سليمة تستطيع من خلالها تعويض النقص الناتج عن الزراعة والتجارة، كما

كان للحبوب التى تجلبها روما من ولاياتها مثل صقلية وأفريقيا ومصر دور في قلة الإنتاج ، والتى أدت إلى زيادة الفقر في روما، كما أن روما فشلت في إنجاز ثورة صناعية حيث بقيت الأساليب الصناعية على حالها بمعنى أنها ظلت معتمدة على الصناعة المحلية، بالإضافة الى عدم وجود دوافع تحث على اكتشاف مصادر جديدة للصناعة. وبهذا يمكن القول أن الخطأ الجوهري في النظام الإقتصادي لدى الرومان كان متمثلا في الاعتماد على الأيدى العاملة ، فكان لزاماً على الدولة أن تشجع العمال للإشتغال فى المصانع والمزارع وعدم استخدام القسوة معهم وخاصة جباية الضرائب، التى كانت من أهم الاسباب التى أدت

[١] أندريه ايمار ، جانين أبويه، تاريخ الحضارات العام ،روما وإمبراطوريتها م٢، ت يوسف داغر ،فريد داغر ، منشورات عويدات ، بيروت، باريس،د ت،ص٥٢٩

[٢] المرجع نفسه، ص٥٣٠

[٣] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٤١

الى هجرة السكان ومنهم الفلاحين خارج الدولة[١]. كما توقفت التجارة وأصبحت الطرق التجارية البحرية تتعرض لغارات القراصنة، فى حين أن التجارة الداخلية كانت تتعرض لقطاع الطرق[٢]، ولم تكن هناك سياسة حكومية رسمية خاصة بالتجارة، وإنما كان الإعتماد على أيدى الطبقة الأرستقراطية وأرباب السفن المشتغلين بالتجارة[٣]. وقد تأثرت الصناعة بكساد التجارة حيث نقصت صادرات إيطاليا، نتيجة لنقص المواد الأولية الخاصة بالصناعة، واقتصرت الصناعة الإيطالية على الأسواق المحلية، كما أن الصناعة لم تجد حافزاً يدفعها إلى توزيع منتجاتها على نطاق أوسع[٤]. وحتى وقت متأخر من القرن الثالث الميلادي لم توجد مصانع أو مشروعات تتبع الحكومة. كما شهد القرن الثالث نمو الإقطاعيات والضياع الكبيرة التى انتشرت على حساب الملاك الصغار[٥]. ومن أموال الطبقة البرجوازية انتشرت عمليات البناء والتعمير ،وأقيمت مهرجانات الصيد والترفيه، ولكن سرعان ماحل الدمار بهذه

المنشآت، لعدم اهتمام الدولة بإعادة ترميم هذه المنشأت أو إنشأ غيرها بإستثناء بعض المبانى الحكومية مثل القصور الإمبراطورية، كما أهملت الزراعة لقلة العناية بالرى ،وعدم تحسين وضع المزارعين، فارتفعت الأسعار وقلت الأيدي العاملة في الزراعة نتيجة لإرتفاع نسبة الوفيات بسبب الأوبئة والحروب المتعاقبة. ومما زاد الوضع سوءً ضخامة الضرائب سواء تلك التي فرضتها الحكومة أو التي أمرت السلطات المحلية بجمعها، وقد فرضت الضرائب على جميع السلع التجارية بنسبة تتراوح

---

(١) إبراهيم خميس، حسن عبد الوهاب، سهيلا نعنيع، معالم التاريخ الأوروبى الوسيط، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية٢٠٠٤،ص١٨

(٢) ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٤٣

(٣) م،ت ، تشارلز روث، الإمبراطورية الرومانية، ت رمزي عبدة جرجس، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٩ ،ص٨٥.

(٤) ر.هـ. بارو، الرومان ،ت عبد الرزاق يسرى م سهير القلماوى ،دار النهضة المصرية ١٩٦٨،ص١٧٥.

(٥) محمد حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٣،ص١٤.

مابين ٢%- ١٢% بالإضافة إلى الضرائب التي فرضتها الدولة على المدن مثل ضرائب المأكولات التي ترد إليها من الأقاليم المجاورة[١].

ونتيجة للصراع الداخلي والخارجي انكمشت المدن خاصة بعد تدهور الزراعة والتجارة والصناعة، بالإضافة إلى النهب وقطاع الطرق . وقد انعكس التدهور الاقتصادي في فوضى نظام النقد ، فمند أيام جالينوس لم يعد الدينار يحتوى إلا على٢% من نسبة الفضة والباقي كان برونزاً ،وقد حاولت الحكومة سك نقود جديدة لحفظ التوازن بين السيولة والأسعار، وقد استغلت حكومة الإمبراطورية النقص فى الذهب والفضة، فرفعت من نسبة النحاس فى العملة الفضية. ونتيجة لإنخفاض قيمة العملة فى الإمبراطورية ارتفعت أسعار العملات القديمة ذات النسب العالية من الفضة . وقد ظهرت عدة محاولات لتزييف العملة حيث سُكت نقود من الرصاص .وقد بلغت الفوضى الإقتصادية والنقدية مرحلة خطيرة حتى أن الناس رفضوا

التعامل بالنقد الإمبراطوري ولجأوا الى الطرق البدائية التى تتمثل فى نظام المقايضة[٢] وانخفضت قيمة العملة إلى حد أصبحت معه معدومة القيمة تماماً. وأضرب عمال سك النقود في روما عامي ٢٧٠ –٢٧١ عن العمل، ولم يتمكن من تهدئتهم إلا بتدخل الفرق العسكرية[٣].

وقد أدى عدم الاستقرار السياسى فى الدولة الرومانية الى خلل كبير فى النظام الإقتصادي للدولة حيث ارتفعت الأسعار ، وقلت حصيلة الضرائب، وفقدت الدولة نظام التوازن التجارى مع الشرق ، مما أدى ببعض الأباطره الى غش العملة النقدية. وفى النهاية حلت العملة النحاسية بدلاً من الفضية ،وبذلك انخفضت قيمة العملة، الأمر الذى أدى

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق١٥

(٢) السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٤٨٤

(٣) م،ب، تشارلز روث، المرجع السابق، ص١٨٦

الى التضخم النقدى وفقدان الثقة فى عملة الدولة[١]. كماحُطم النظام القديم للضرائب، ولم يبتدع نظام جديد لها[٢].

أما عن الحالة الإجتماعية للمجتمع الروماني خلال القرن الثالث الميلادي فلم تكن أسعد حالاً في ظل الفوضى السياسية، والسيطرة العسكرية للجنود والضباط الأجانب الذين كانت لهم معاهدة مع الدولة للإستقرار داخل حدودها وإمداد الجيش الرومانى بوحدات من أبنائها مثل الجرمان. بالإضافة إلى التدهور الإقتصادي الذى كان له دوراً في إضطراب أحوال المجتمع الروماني .

وعانت الإمبراطورية في عهودها المتأخرة من نقص شديد في عدد السكان ،وكان لإنتشار الأوبئة دوراً فى وفاة عدد كبير منهم خاصة فى بلاد اليونان وايطاليا منذ سنة ١٦٦م أثناء عودة القائد أفيدوس كاسيوس Avidius Cassius وفرقته العسكرية من الشرق ،الأمر الذى

دفع سكان ايطاليا الى الهجرة من العاصمة روما[٣]، كما ارتفعت نسبة الوفيات بسبب سوء التغذية، فضلاً عن خسائر الحروب التي لم تتوقف ،وقد عصف الفقر بالناس ،كما كان للضرائب الباهضة التي كان يفرضها الأباطرة لسد العجز العام في خزانة الدولة ومجابهة نفقات الحروب سبباً في إفقار الطبقة البرجوازية في الإمبراطورية . وقد كان تحصيل الضرائب عملاً إلزامياً لموظفي البلديات الذين أصبحوا مسئولين شخصياً عن تحصيل الضرائب داخل مدنهم ومناطقهم .وأصبح منصب رئيس البلدية Deeurio من منصب شرف يعتز به صاحبه إلى عبء بغيض على كاهل من يشغله[٤]. كما كان على

[١] محمد حسنين ربيع، المرجع السابق، ص١٣ص١٤

[٢] رستو فتزف، المرجع السابق،ص٦٠٥

[٣] محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق،ص١٧

[٤] البرغوثى، عبد اللطيف محمود،التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامى ،دار صادر بيروت ١٩٧١،ص٤٤٠.

الناس أن تتحمل نفقات إطعام الجيوش ، وصناعة ملابسها وأسلحتها وبناء الجسور والأسوار ،وقد إنتشرت ظاهرة السخرة الخاصة بالدولة خاصة إعداد وتسليح الجيوش[١]، ومما زاد في مشاكل الدولة الإجتماعية انتشار البطالة في العاصمة الرومانية نفسها .وحل الدمار ببعض الطبقات الأرستقراطية بسبب المصادرات العديدة التي تقوم بها الدولة لإنجاح الهجمات المنظمة التي تشنها على الأهالي الذين يرفضون تقديم الضرائب[٢] .

ولعل أصدق صورة على شعور الناس بالمراره ذلك النقش الذى أقامه أهالى سكابتوبارا Skaptoapara في تراقيا الذى يرجع تاريخة إلى سنة ٢٣٨م وهو يقطر مرارة واحتجاجاً على تسلط الجنود وجشع جباة الضرائب حيث يقولون : " **لقد ضقنا درعاً حتى إننا ننوى ترك بيوتنا وبيوت آبائنا بسبب قسوة هؤلاء الزوار. لقد كنا نحن – ملاك العقارات– كثيرين ،فأصبح عددنا الآن ضئيلا** " [٣] .

وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الإمبراطورية لم تمنع بعضاً من القادة ،وطبقة الأغنياء والأرستقراطيين من أن ينقادوا وراء الملذات والترف. بل وينغمسوا في شتى مظاهر الفساد مما أدى إلى انهيار القيم الروحية، وتفكك الروابط الأسرية .وبهذا ابتعدت روما عن مثلها الأعلى القديم الذى يمثل التقشف العسكري والقناعة ،والحياة البسيطة والإخلاص للدولة والخيرالعام [٤] .

---

(١) محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق٢٩

(٢) رستو فتزف، المرجع السابق، ص

(٣) السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق٤٨٣

(٤) محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق٢٩

٣- الحياة الدينية والثقافية :-

ضمت الإمبراطورية الرومانية العديد من الشعوب والأجناس ،وكلها تؤمن بالأرباب وتعبدها لتساعدها في حياتها اليومية وتحميها ،وقد قامت بتقديم القرابين للآلهة من أجل إرضائها. والرومان كغيرهم من الشعوب القديمة كان للدين دوراً بارزاً فى حياتهم اليومية، وقد انعكس ذلك فى سلوكهم الإنسانى الذى أرتبط بتلك الآلهة. وعلى الرغم من كثرة الآلهة الرومانية المحلية إلا أن معظمهم لم يهتم بعبادتها لأنها لم يكن لها تأثير قوى على الشعوب الرومانية ، وينطبق هذا كذلك على تلك القادمة من غرب البحر المتوسط كالتى وفدت من بلاد الغال وبريطانيا، وعلى العكس من ذلك العبادات الشرقية حيث كان لها تأثير قوى بين السكان ، مثل الفارسية على الرغم من العداء بين الدولتين .ومن أهم الآلهة الشرقية إيزيس المصرية[١]، الربة التى تمثل تجسيداً للخصب الذى يجلبه سنوياً فيضان نهر النيل وحقول القمح الخضراء

في مصر القديمة[٢] ، وقد انتقلت عبادة إيزيس من صقلية إلى ايطاليا في بداية القرن الأول ق.م، وعلى الرغم من محاولات مجلس الشيوخ إلغاء هذه العبادة إلا أنه اضطر في نهاية الأمر إلى بناء المعابد لها وقد عرفت بأم الجميع[٣]، وميثرا Mithra الفارسي الذى انتشر بفضل التجار الجنود والعبيد ،وقد رحب به الأباطره في بداية الأمر لأنه يوحد بين الفرد وعبادة الإمبراطور[٤] .

ومن الأسباب التي دعت الرومان إلى الاهتمام بالعبادات الأجنبية هو حاجتهم إلى

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص٣٠ص٣١

[٢] ماكس شابيرو ، وورود هند ريسكس، معجم الأساطير ،دار علاء الدين ، دمشق ١٩٩٩،ص١٣٤

[٣] و.ر. انج. ،تاريخ العالم،((الأديان المتنافسة))مج٤ ،مؤسسة النهضة المصرية، الاسكندريه، د ت ،ص٦٨

[٤] و.ر. انج، نفس المرجع ، ص٧٨

ديانة أو عبادة تحقق لهم السعادة بعد الموت لأن عباداتهم السابقة لم تهتم بتحقيق السعادة الى الناس[١] .

ولكن على الرغم من تعدد الالهة الرومانية، إلا أن هناك عبادة انتشرت فى الولايات ،وقد أخذت كمظهر من مظاهر الوحدة الرومانية لجميع شعوب الإمبراطورية ، وهذه الديانة هى عبادة وتقديس الأباطرة [٢]. كما كانت هناك عبادتان تدعوان إلى التوحيد وعبادة الله الواحد ، وكلتاهما ظهرتا من الشرق ،منبع الحضارات ،والديانات ،ونعنى بهما اليهوديه والمسيحيه.

د- اليهودية : هى ديانة قوم سيدنا موسى عليه السلام وكتابهم التوراة[٣]، وقدعُرف اليهود في بداية الأمر باسم إسرائيل ،نسبة إلى سيدنا يعقوب عليه السلام الملقب بإسرائيل، أما اسم اليهود فقد أشتق بعد ظهور مملكة يهودا التي تعود إلى عهد سيدنا داوود وابنه سليمان

(عليهما السلام)[٤]. وقد سكن اليهود مصر منذ أن هاجروا إليها في زمن سيدنا يوسف وإخوته واستمروا هناك حتى بعث الله إليهم سيدنا موسى عليه السلام يسانده أخوه هارون ،حيث دعا قومه إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام وقد آمن بهم بنو إسرائيل [٥].

وقد كانت الديانة اليهودية في نظر الوثنيين ديانة لامعابد لها ، فأتباعها يعبدون الله بدون معابد ولا أصنام، وقد حظي أتباعها بامتيازات في ظل الحكومة الرومانية منها

---

[١] برستد، جيمس هنرى ، العصور القديمة، ت داود قربان، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣ ،ص٦١٩

[٢] تشارلز روث، المرجع السابق،ص٧٨

[٣] نعيم فرح ، التاريخ القديم وماقبله، مطبعة ابن حيان، دمشق١٩٨١،ص٣٥٦

[٤] فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة ط٢، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ١٩٩٩،ص٣٥٨.

[٥] المرجع نفسه، ص٣٦٠

التسامح ، كما كان الانتماء اليهودي كافياً لمن لايتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية، لأن الديانة اليهودية معترف بها من قبل السلطات في الامبراطورية لأنها لم تعارض المعتقدات الدينية لدى الرومان وخاصة عبادة الأباطرة[١]، بالأضافة الى أنهم قاموا بتقديم أمثال أغسطس أثناء الحرب الأهلية الذى ترك لهم حرية ممارسة شئونهم الداخلية شرط ان يخضعوا للسلطات الرومانية، كما كان تمسكهم بشريعتهم ،وبالناموس الأعظم لديهم مثار افتخارهم عبر التاريخ هو الشيء الذى كان قد ربطهم بروما منذ القرن الثاني ق.م [٢] .

ورغم أن بعض الرومان قد أعتنقوا اليهودية، إلا أن بعض الأباطرة رفضوا هذه الديانة واتخذوا ضدها فى بعض فترات التاريخ العديد من الإجرأت حيث تعرض اليهود الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان فى المناطق الشرقية كأنطاكيا والأسكندرية إلى النفى والإجلاء فى زمن الأمبراطور تيبيريوس ثم الأمبراطور كلوديوس عن هذه المناطق[٣]. ولهذا السبب قام اليهود بالعديد من الثورات ضد الحكم الروماني منها الثوره التي قامت في فلسطين بين سنتي ٦٦م–٧٠م وقد انتهت بسقوط القدس، كما أن الإمبراطور ترجان قد أوقف حربه ضد

فارس ليقمع حركة يهودية قامت في الشرق بين سنتي ١١٥م-١١٧م ، ومع ضراوة القمع ضد اليهود ازداد شتاتهم فرحلوا عن فلسطين بعد هدم الهيكل المقدس، كما قامت ثورة في زمن الإمبراطور هادريان واستمرت بين سنتي ١٣٢م-١٣٥م ،فهدُم القدس ،وحظر على اليهود دخوله وقامت على انقاضه مدينة

[١] و.ر انج ، تاريخ العالم، (انتصار المسيحية)مج٤، مكتبة النهضة المصرية د.ت،ص١٦٩

[٢] أندريه ايمار، جانين أبويه، تاريخ الحضارات العام ،روما وإمبراطوريتها م٢، ت يوسف داغر ،فريد داغر، منشورات عويدات ، بيروت، باريس،د ت ،ص٤١٧.

[٣] أندريه ايمار، المرجع السابق،ص٤١٨

عُرفت باسم إيليا* وشيد مكان الهيكل المقدس معبد لجوبتير .كما فرضت ضرائب على جميع اليهود في أنحاء الامبراطوريه ،وبهذا تمكن الرومان من إحصاء عدد اليهود ومراقبتهم في كافة الولايات [١] .

و-المسيحية.

المسيحيون هم اتباع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، والمسيحية كلمة أُستخدمت نسبة إلى يسوع** المسيح*** كما يسمية أصحابه وأتباعه[٢]، ويعتبر ظهورها وانتشارها فى القرن الأول الميلادى من أهم الأحداث التى شهدها العالم الرومانى فى ذلك الوقت . وقد ولد صاحب هذه الديانة في زمن الإمبراطور أغسطس في بيت لحم بفلسطين، بالقرب من بيت المقدس وقد اختلفت الآراء في زمن ولادته من مؤرخ إلى فالأناجيل الأربعة لم تحدد تاريخاً معيناً لولادته[٣]، وقد حددها البعض بين عامي ٢-١ ق.م ،ويجعلها آخرون فى السنة الثالثة قبل الميلاد، ويحددها البعض بين سنتي ٥-٤ ق.م [٤]. ويذكر القرآن الكريم بأن ولادة عيسى عليه السلام كانت من أعظم المعجزات، وقد أرسل الله إلى مريم الروح القدس، وهو جبريل عليه السلام فقال

* ايليا ، هو الاسم الذى تحمله أسرة هادريان قبل توليه الحكم .

[1] أندريه ايمار ،ص٤١٩

** يسوع معناه معين الله، وحرفه اليونان الى Jesous اما الرومان فحرفوه الى Jesus

*** المسيح كلمة وردت فى القرآن الكريم والعهد القديم، وهى بالعبرية (محسيح) وباليونانى Christos اى الذى صب عليه الزيت او مسح به، عن ذلك ينظر جمعة الحرارى ،الحياة الأجتماعية والمعتقدات الدينية فى ولاية افريقيا البروقنصلية ٣١ ق م– ٢٨٤م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، ٢٠٠٤، ص٢٦٢.

[2] سامي اليافى، الحضارة الانسانيه بين الشرق والغرب في عشرة قرون، مطابع العالم العربي ،القاهرة د ت،ص٤٠ .أخر

[3] فوزي محمد حميد، المرجع السابق، ص٤٧٤

[4] يوسابيوس القيصرى، تاريخ الكنيسة ط٣، ت القمص مرقس داود، مكتبة المحبة ، القاهؤرة ١٩٩٨،ص٢٤

عز من قائل (سبحانة وتعالى) ((**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**))[1]. وأن ولادته كانت معجزة ربانيه فقال(سبحانة وتعالى) ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))[2]. كما لم تذكر الأناجيل شيئاً عن شباب المسيح سوى أنه اختتن عندما بلغ الثامنة من عمره[3] ،وقد أمضى السيد المسيح الثلاثين سنة الأولى من حياته يشتغل بالنجارة وفترة التبشير بدينه لم تتجاوز الثلاث سنوات ،وقد كانت مليئة بالاخطار والمعجزات[4]. وكتاب المسيحيين المقدس هو الإنجيل*، وقد أطلق عليه العهد الجديد تمييزاً له عن العهد القديم لدى اليهود ،وقد أنزله الله على نبيه ،وقام بدوره بتسليمه إلى أتباعه الذين عرفوا بالحواريين ،وقد حضر حواريه معجزاته ،وقد ذكرهم الله في كتابه العزيز حيث قال (سبحانة وتعالى) ((**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**)) [5] ، وقد ورد ذكر هؤلاء الحواريين فى الكتاب المقدس وهم اثنا عشر حوارى[6].

وكان السيد المسيح يعلم اتباعه التسامح وعدم القسوة على الاخرين فقال فى ذلك " **فلتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة ، لأن المحبة تستر كثرة الخطايا**" [7] .

---

[1] القرآن الكريم، سورة مريم ، الاية١٩

[٢] القرآن الكريم، سورة يس، الاية ٨٢

[٣] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٢١٤

[٤] عن معجزات السيد المسيح، ينظر القر، سورة القرآن الكريم، سورة آل عمران الاية ٤٩

...سورة المائدة الاية ١٠٨–١١٥...العهد الجديد ، انجيل متى الاصحاحين الثامن والتاسع .

* الانجيل كلمة مشتقة من اليونانية ، وتعنى البشرى الحسنة، عن ذلك ينظر.سامي اليافى، المرجع السابق، ص٥٤

[٥] القرآن الكريم ، سورة آل عمران الاية ٥٢

[٦] الكتاب المقدس ، انجيل متى، ١٠، ١–٤، دار الكتاب المقدس القاهرة ٢٠٠٥

[٧] العهد الجديد ، أعمال الرسل، رسالة بطرس الرابعة، ص٣٣٢

وقد طلب الأباطرة من المسيحيين التخلي عن ديانتهم الجديدة والعودة إلى عبادة الآباء والأجداد وطالبتهم الحكومة بالولاء للأباطرة والديانة القديمة ،ولكي يتضح هذا الولاء يجب على المسيحيين تقديم القرابين للإمبراطور وللآلهة. وعندما رفض المسيحيون العودة إلى عبادة الأباطرة والعبادات الوثنية تعرضوا للاضطهادات العنيفة ولم تزدهم هذه الاضطهادات إلا تماسكاً وإصراراً على هذا الدين الجديد .

وهكذا بدأ شعب الكنيسة ينتظم حول الأساقفة*والقساوسة** والشمامسة*** في سلك كهنوتي منتظم بعد أن دُفعت دماء الكثير من الشهداء وعلى حد تعبير ترتوليانوس" **إن دماء الشهداء كانت بدوراً لمسيحيين جدد**" [١] .

هذا فيما يخص الحياة الدينية، أما فيما يخص الحياة الثقافية فانها تدهورت هى الأخرى، حيث تدهور الفن والثقافة بسبب عدم تشجيعهما من الأباطرة. كما انعكس الأضطهاد المسيحى على ظهور الفن الذى اقتبس معظم فنونه من كتاب المسيحيين المقدس. ولذا فإن الثقافة والفنون لم تجد من يشجعمها نتيجة لانعكاس الوضع الاجتماعي والاقتصادي، ولهذا لم تظهر في هذه الفترة أية مواهب أدبية أو فنية، ومما زاد في ابتعاد الناس عن الثقافة والفنون أن حلت اللغة الإغريقية محل اللغة اللاتينية حتى الكتّاب الدين

كتبوا عن تاريخ الرومان كتبوا مؤلفاتهم باللغة الإغريقية. ومن أعلام الفلسفة في هذه الحقبة الفيلسوف المصري أفلوطين الذى ولد في أسيوط وعاش في زمن جالينوس، وعلم

* الاساقفة هم نواب البترك ، والبترك هو رئيس الطائفة المسيحية وخليفة المسيح والاساقفة يسمونه اباً .

** القساوسة هم القراء

*** الشماسة هم المسئولين عن الكنيسة .

عن هذه الالقاب ينظر، محمد مبارك الميلى ، تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان، الجزائر ١٩٧٦، ص٢٩٧

[١] السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٤٨٨

الناس الفلسفة في روما مابين سنوات ٢٥٣م/٢٧٠ م ،كما لمع نجم اغريقي سوري اسمه كاسيوس وقد تخصص في مجال البلاغة ، وقد دعته زنوبيا إلى تدمر حيث أصبح من أقرب المستشارين إليها ،كما قدمت الكنيسة الكثير من الأدباء والخطباء والفقهاء في علم اللاهوت .

أما الفن فباستثناء القصور والمباني الحكومية مثل المسارح* والمسارح الدائرية** التي كان الأباطرة يشيدونها لاتوجد أية مبانٍ فخمة قام بتشييدها الأفراد ،ونتيجة لأضطاد المسيحيين ظهر فن المقابرالسردابية*** التى كان المسيحيون يدفنون بها موتاهم سراً ،وقد كانت مزينة بالرسوم وكانت مواضيع الفن مستوحاة من مواضيع الثورة ورموز المسيحية [١] .هذه هي الأحوال الداخلية للإمبراطورية الرومانية التي شجعت الشعوب على الإغارة على حدودها، وتتمثل في قبائل القوط والوندال بالأضافة الي الفرس، والقبائل العربية.

[*] المسرح عبارة عن بناء على شكل نصف دائرة، وكان يستعمل لتمثيل الروايات المحزنه والمضحكه والفكاهية القصيرة .

[**] المسارح الدائرية هى عبارة عن بناية مدرجة على شكل مستدير ، ومعد للمصارعة والملاكمة بين المصارعين، أو بين المصارعين والحيونات المفترسة.

ينظر ، محمد علي عيسى، أماكن اللهو والترفية فى المدن الثلاث (لبدة اويا صبراتة) اثناء الاستعمار الرومانى، اثار العرب ، العددان التاسع والعاشر، مشروع المدينة القديمة بالتعاون مع مصلحة الاثار ، طرابلس١٩٩٧، ص٣٢ص٤٢

[***] المقابر السردابية، هى عبارة عن انفاق تحت الارض توجد بها تجاويف لدفن الموتى.

(١) السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٥٣٤

ثانياً- علاقة الإمبراطورية الرومانية مع جيرانها.

تعرضت الإمبراطورية للعديد من والأخطار ، وقد تمثلت هذه الأخطار في هجمات أعدائها على حدودها ، بل توغل هؤلاء داخل أراضيها خلال القرن الثالث الميلادي، وهذا التوغل كان بسبب ضعف القوات العسكرية ، أو بسبب ضعف بعض الأباطرة ،وعدم قدرتهم على مواجهة الأعداء الذين انهالوا على أراضي الإمبراطورية من جميع الجوانب وعلى طول الحدود الرومانية المعروفة في ذلك الوقت، وقد استطاعت هذه الشعوب نهب بعض المدن وعاثوا فيها فساداً ،وتتمثل هذه الشعوب في القبائل الأوروبية مثل القوط والوندال(شكل١)، بالإضافة إلى الفرس والقبائل العربية في أفريقيا وأسيا .

١- القوط Coths والوندالVandals.

القوط: شعب جرماني من شعوب الشمال ،وكان موطنه الاصلى اسكندنافيا هاجر أثناء القرن الثاني الميلادي جنوباً (١) ،وقد وصلوا أثناء هذه الهجرات إلى نهر الفستولا Vistula،ومنه إلى (**أوكرانيا الحالية**) حتى وصلوا إلى وادي الدانوب مروراً بسواحل البحرالاسود، وقد تدفقوا على حدود الإمبراطورية بسبب زحف الهون* غرباً، وقد انقسموا الى قسمين شرقيون اتجهوا إلى سهول روسيا الجنوبية، وغربيون استقروا فى

(١) اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٥٢٨

* قبائل الهون من العناصر التركية المغولية، وبفضل خفتهم وسرعة تحركهم تمكنوا من الاستقرار فى شرق آسيأ، وقد وصلوا فى هجماتهم شرقاً، حتى وصلوا إلى بلاد الصين، فتوقفت هجماتهم بسببين الأول أن امبراطور الصين "يوتى" تمكن من الأنتصار عليهم سنة١٢٨ق م، كما كان لسور الصين العظيم دوراً فى إيقاف زحفهم شرقاً، فاتجهوا غرباً معتمدين على سرعة تحركات فرسانهم، وقد كان للجفاف الذى حل بمواطنهم فى السهول الروسية التى استقروا بها دوراً فى زحفهم غرباً، فاضطرت القبائل الجرمانية القوطية للهروب من الدمار الذى يحمله هؤلاء الهون أينما حلوا إلى عبور نهر الراين والاستقرار داخل الإمبراطورية.للمزيد من التفاصيل عن القبائل الاوروبية، ينظر، أسماعيل نورى الربيعى، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى، دار الشموع الثقافة للنشر والتوزيع، بدون مكان نشر،٢٠٠١، ص٣٥ ومابعدها

ترانسلفانيا على ضفاف نهر الدانوب، ومن ثم بدأوا في مهاجمة المدن الرومانية بداية من مواسيا Moesie في شمال آسيا الصغرى ومنطقة تراقيا، وقد استمر القوط لعدة سنوات في الاغارة على ألمانيا الشرقية وحدود الإمبراطورية[1]. ونتيجة للفوضى والإضطرابات الداخلية التي مرت بها الأمبراطوريه بدأوا بالإغارة على المدن التي تقع على حدود الإمبراطورية ،ولم يستطع بعض الأباطرة رد جحافل الغزو القوطى ،ولم يحققوا عليهم إلا بعض الانتصارات الهزيلة ، وتعتبر هزيمة فيليب العربي أمام القوط من أكبر الهزائم وأقساها على الرومان ،حيث لم يقدر على الصمود في مواجهتهم ،وقد انتهزت القوات الرومانية فرصة هذه الهزيمة ونادت بقائدها ديقيوس ٢٤٩-٢٥٠م إمبراطوراً ،خاصةً بعد أن استطاع مطاردة القوات القوطية عبر الدانوب ، ولكن على الرغم من مطاردته لهم إلا أنهم بعد توليه العرش استطاعوا مهاجمة التحصينات الرومانية في سهل الدانوب بقيادة كنيفيا وسُحقت قوات ديقيوس سنة ٢٥١م في منطقة ابريتوس Aprittus [2]. وكانت تلك الهزيمة من أكبر الهزائم التي لحقت بالجيوش الرومانية خلال حكم إمبراطورين متواليين هما فيليب العربي ،وديقيوس ،وقد سقط ديقيوس وبجانبه ولداه صرعى في هذا القتال[3]. وزحفت القبائل الجرمانية سنة ٢١٠م على بلاد الغال وايطاليا واستطاعت فى بعض الفترات الوصول الى ضواحى العاصمة روما[4] ، كما اتحدت القبائل الأوروبيه من ألمان Almanni، ومكرومانى

Macromani ، وبدأت في غزو الشمال الايطالى وبلاد الغال وأسبانيا[٥]وتعتبر فترة حكم جالينوس ٢٥١– ٢٥٣م من أشد الفترات الحرجة التي مرت

[١] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٤٩٣

[٢] حسنين محمد ربيع، المرجع السابق، ص١٥

[٣] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق،ص٤٩٧

[٤] بارو، المرجع السابق، ص١٧٤

[٥] السيد أحمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٤٩٩

بها الامبراطوريه الرومانية .حيث عُقد سلام مع القوط من أهم شروطة أن يُرجع القوط ما نهبوا من المدن ،والضباط الرومان الذين تم أسرهم مقابل جزيه سنوية تتعهد روما بدفعها للقوط ، وعلى الرغم من هذه المعاهدة إلا أن القوط غزوا مقدونيا ودالماشيا في سنة٢٥٥م [١]، ونهبوا المدن اليونانية المطلة على البحر الأسود، وساقوا أهلها عبيداً .وفى سنة ٢٥٨م تمكنوا من السيطرة على خلقدونيا ودالماشيا، وسيطروا على أوكرانيا .

وكان أول ظهور للأسطول القوطي في مدينة بيثينوس، وهى ولاية حدودية حيث استطاعوا السيطرة عليها وتدميرها[٢] . وبعد هذه المدينة اتجه القوط إلى طرابزون*، فسيطروا عليها ،وعملوا فيها مذبحه شملت جميع الأعمار والأجناس ،ولم ينج من هذه المذبحة والتدمير أقدس المعابد ، وشيئاً فشيئاً ظهروا أمام مدينة سيزيكوس Cyzicus التي تتميز بالقوة الهائلة حيث جمعوا كل قواهم لتدميرها ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك بسبب هطول الأمطار وارتفاع منسوب المياه في بحيرة أبولونياتس Apolloniates مما أجبرهم على التراجع عن هذه المدينة، ومن الضربات الموجعه التي وجهها القوط للآمبراطورية الرومانية في الجهة الآسيوية تدميرهم أكبر المعابد بالمنطقة[٣]. كما أنهم استطاعوا احتلال أفسس نفسها وحاصروا تسالونيكى سنة٢٦٩م، وقد التقى بهم الإمبراطور جالينوس في تراقيا وانتصر عليهم في معركة رغم أنه خسر فيها الكثير

[١] ول ديورنت، المرجع السابق،ص١٧٠

(٢) ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص١٧٢

* طرابزون : مستعمرة يونانية قديمة انشاء بها هادريان ثغر صناعى ، ونتيجة لثرائها انغمس اهلها فى الترف والملذات، ولهذا لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الهجمات القوطية .

(٣) ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص١٧٢

من جنوده .وقد أغتيل بعد سنة واحدة من هذا الإنتصار، وعندما تولى الإمبراطور كلوديوس الثاني Claudius11* استطاع أن ينقد سالونيكى ويطرد القوط ويهزمهم عند نايسس (نيش الحديثة). وهكذا وقف بجيشه بين القوط وايطاليا(١)، ولهذا أكرمه الرومان وأعتبروه المؤسس الأول لحركة أحياء الإمبراطورية وأنعموا عليه بلقب قاهر القوط، وذلك لأنه نجح في التخلص من خطر هذه القبائل(٢)، وعندما تولى أورليان الحكم انشأ سوراً لحماية مدينه روما .ثم تنازل للقوط عن إقليم دالماشيا حتى يقفوا حاجزاً بين الامبراطورية والقبائل الأوروبية(٣). والجدير بالذكر أن الفرق الرومانية قد أخلت مواقعها فى الأطراف الشمالية من أوروبا كمنطقة الغابة السوداء وسهل ترنسلفانيا وبعض المناطق المحيطة بنهرى الراين والدانوب، وتركتها للقوط الذين أصبحوا يشكلون الدرع الواقى من هجمات القبائل الأوروبية الأخرى لجسم الأمبراطورية الرومانية(٤). والتى كان من أهمها، الوندال وهم شعب جرماني أيضا كانوا مستقرين في اسكندنافيا، واستقروا في السواحل الشمالية لبحر البلطيق، وفى القرنين الثاني والثالث الميلاديين أخذوا يشنون هجمات على أراضى الدولة الرومانية ، ولكنهم لم يستطيعوا التأثير على الشعب الروماني ولا احتلال أراضيه حتى سنة ٤٠٩م عندما دفعتهم قبائل أوروبية تعرف باسم (الهونس) إلى الغرب فاجتازوا الراين والحقوا الدمار بمساحات كبيرة بمنطقة غالة

* لقب كلوديوس بالقوطى فيما بعد لانه نجح فى أيقاف الغارات القوط على جنوب الدانوب ، وذلك عن طريق مسالمة بعض هذه القبائل واستخدامها فى خدمة الإمبراطورية ، واستيطانها فى أراضى مهجورة عند اطراف الإمبراطورية : للمزيد ينظر حسنين محمد ربيع ، المرجع السابق،ص١٦

[١] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٤٠

[٢] السيد احمد الناصرى ، المرجع السابق، ص٥١٢

[٣] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٥٦

[٤] محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق،ص٢٠

(فرنسا الحالية)[١]. ثم اتجهوا غرباً نحو أسبانيا واستقروا هناك ،ثم قاموا في سنة ٤٢٩ م بالتوجه نحو الشمال الأفريقي واحتلاله والاستقرار به تحت قيادة ملكهم جنسريق[٢]، حتى استطاع الإمبراطور الروماني جستنيان فيما بعد طردهم من شمال أفريقيا وإعادتها إلى الأمبراطورية الرومانية ،بفضل مهارة وشجاعة قائده بليزاريوس، وكان ذلك في سنة ٥٣٣م مما جعل جستنيان يعلن عن زهوة الانتصار بقوله "**إن الله جلت قدرته تداركنا برحمته فلم يُرجع إلينا أفريقيا وأقاليمها فحسب بل أعاد إلينا عباءتنا الامبراطورية التي أخذها الوندال** "[٣].

(1) ب. هـ رومنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالى، ت عبد الحفيظ الميار، كلية التربية، جامعة الفاتح ، طرابلس ١٩٩٤، ص٣٤.
(2) أحمد صفر ، مدنية المغرب العربي في التاريخ ج١،بوسلامه ،تونس١٩٥٩،ص٣٨٢
(3) السيد الباز العرينى ،الدوله البيزنطية ط١،دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٨٢، ص٧١.

٢–الفرس .

دخلت أكبر دولتين في ذلك الوقت (الفرس والروم) في صراع مرير منذ أمد طويل ،وقد زادت حدة الصراع بينهما عندما دبت الحياة في الجيش الفارسي، وأحرز العديد من الانتصارات على الجيوش الرومانية ، وكان هذا الصراع من أجل السيطرة على الطرق التجارية التي تمر بشبه الجزيرة العربية ، وكانت الحرب بينهما سجالاً، ففي سنة ٢٢٤م انتهت المملكة البارثية من الوجود وحلت محلها الأسرة الفارسية الساسانيه بقيادة نبيل فارسي يُدعى أرد شير* ويعتبر نفسه حفيد الاخمينيين[1]، وقد رأت هذه الدولة الجديدة أن تعيد مجد الدوله الفارسية القديمة [2]،وهى الامبراطورية التي أسسها داريوس الأول من أفغانستان شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً .ومما ساعد في ازدياد هذا الحلم لدى هذه الأسرة والسعي وراء إحياء هذه الامبراطورية هو أن الديانة الفارسية (المازدية)**
قدمت للملكية نظرية مفادها أن الحضارة الرومانية هي العدو اللدود للحضارة الفارسية.

* اردشير من عائلة نبيلة ، عُين جده ساسان ومن بعده والده بايكت سادناً لبيت نار (اناهيتا) فى مدينة اصطخر، وتقلد اردشير وظيفة عسكرية ، وكان طموحاً فأراد والده ان يقطع عليه طموحه بأن طلب من أخر ملوك اسرة الأشكانيين اردوان الخامس ان يسلم التاج لابنه الاكبر سابور ، فأرتقى سابور عرش فارس واشتعلت الحرب بينه وبين اخيه اردشير، ولكن وفاة سابور افسحت المجال لتولى اردشير عرش فارس ، أما اخوته الباقون فقد سلموا له التاج ، ولكى يضفى الشرعية على توليه العرش تزوج من سيدة من اسرة الاشكانيين ، بعد ان انتزع منهم العرش بقتله اخر ملوك الاشكانيين فى معركة وادى هرمزدجان سنة ٢٢٤م . للمزيد عن هذا الموضوع ينظر ، ارثر كريستنيس، ايران فى عهد الساسانيين ، ت يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية ١٩٩٨، ص٧٣ ومابعدها .

(١) أسد رستم ، المرجع السابق، ص٤٤

(٢) اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٥٣٠

** المازدية اصحاب مزدك الذى ظهر فى ايام قباد والد انوشرون ، وكان يقول أن اصل الكون النور والظلمة، عن ذلك ينظر، ابى الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى، الملل والنحل ج١، تحقيق محمد فريد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، د ت، ص٢٥٥...حسنين على محمد ، قاموس المذاهب والاديان ط١، دار الجبل، بيروت ١٩٩٨، ص١٨٧

وسواء كانت هذه النظرية صحيحة أم خاطئة فإنها تدلنا على شدة العداء الفارسي للأمبراطورية الرومانية . وبناءاً على هذا أصبحت الدوله الفارسية منذ سنة ٢٣٣ تهدد أرمينيا وبلاد مابين النهرين وسوريا وفلسطين وقد تمكنت من السيطرة على هذه الاراضى ، بل وصل حكامها فى غاراتهم على الأمبراطورية الرومانية الى بحر أيجه فى بعض الأحيان (٣).

وعلى الرغم من أن بعض الأباطرة قد حققوا بعض الانتصارات على الفرس ،إلا أن هذه الانتصارات لم توقف أو تقلل من الخطر الفارسي على الدولة الرومانية، مما دفع بعض الأباطرة منهم فيليب العربي إلى عقد الصلح مع شابور العظيم ملك الفرس بحيث يتنازل الفرس عن بلاد مابين النهرين للرومان ويتنازل الرومان عن أرمينيا للفرس مقابل قيمة مالية قدرها ٥٠٠، ٠٠٠ خمسمائة ألف دينار كغرامة حرب وفدية للأسرى الرومان .والذي أرغم فيليب على هذا هو ماذكرناه سابقاً من أنه ليس لديه الكفاءة العسكرية مما جعله عاجزاً عن مقاومة الأعداء . وعلى الرغم من الصلح أو الهدنة التي عقدها فيليب مع الفرس إلا إن الفرس أخذوا يتحينون الفرصة للانقضاض على الامبراطوريه الرومانية مرةً أخرى .ففي سنة ٢٥٣م بدأ الفرس في تنفيذ خطة واسعة النطاق، وهى احتلال بلاد مابين النهرين ،وبلاد الشام وصولاً إلى أنطاكيه.

وقد حاول الإمبراطور فاليريانوس عبثاً قيادة قواته لمحاربة الفرس ، ولكنه لم يحقق أى نتائج تذكر ،حيثُ تم أسره ، ونُقل إلى المدائن عاصمة الفرس وبقى في أيديهم حتى مات في الأسر [١].

---

[١] اندرية ايمار ، المرجع السابق، ص٥٣١...محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص٢٠

[٢] السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٠١

وهكذا أصبحت القوات الفارسية تسيطر على كامل الشرق الأدنى القديم الذى كان بحوزة الرومان.وقد أصيبت القوات الرومانية فى الشرق بضربة موجعة لم تنهض منها حتى تولى دقلديانوس الحكم. وخوفاً من مهاجمة القبائل العربية الموالية للرومان للدولة الفارسية، وحتى تقوم بتأديبهم ومراقبة تحركاتهم وتجمعاتهم وضعت في حوض الخليج العربي(الفارسى) سفناً لحماية تجارتها وحماية حدودها الجنوبيه .كما أنشأت الدولة الفارسية بين سنتي ٢٢٥-٢٤١م عدة موانىء بحرية ،ونهرية جنوب بلاد الرافدين للغرض نفسه[١]، وقد استمر هذا الوضع من السيطرة الفارسية على الشرق حتى ظهر ملك عربي كان له ثأر عند الرومان وهو اودينه* ملك تدمر، الذى حاول أن يعقد صلحاً مع الملك الفارسي فأرسل له قافلة محمله بالسلع والهدايا مع رسالة تدعوه للصلح ولكن الملك الفارسي الذى كان مفتخراً بانتصاراته على الرومان ،ونتيجة لغطرسته وجبروته أمر أن تُلقى الهدايا في نهر الفرات .وقال متعالياً " **من هو اوديناتوس [أودينة] هذا الذى تبجح هكذا وكتب إلى مولاه ؟ إذا كان يمنى نفسه بتخفيف عقابه فدعوه يخر راكعاً تحت أقدام عرشنا ويداه مغلولتان إلى ظهره .فإذا تردد فلتصبوا الخراب فوق رأسه وبنى جنسه وبلده** "[٢] .ونتيجة لهذه الرسالة المهينة التي تلقاها أودينة من ملك الفرس قرر أن يحارب الفرس ،ويثأر منهم ،وينظم إلى الرومان .وبالفعل استطاع أن يثأر لنفسة من الإهانه التي تلقاها من ملك الفرس ،وعلى الرغم من أن هذا القائد العربي

---

(1) جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢،ط٣، دار العلم للملاين، بيروت١٩٨٠،ص٦٢٨

* هو اصغر من اخيه خيران لوالده الذى يحمل نفس الاسم اودينة، وقد قتل الرومان والده فى اواسط القرن الثالث الميلادى، فقرر اودينة هذا الانتقام لوالده، وعندما اعطاه الرومان سلطة واسعة على تدمر وانتصر على الفرس، أغتنم الفرصة فألتف حوله الانصار ووعدوه بالنصر ، ولكنه توفى قبل تحقيق ذلك فأكملت المشوار من بعده ارملته زنوبيا .

للمزيد من التفاصيل ينظر، جرجى زيدان، العرب قبل الاسلام، ص١١٤

(2) ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص١٧٨

استطاع أن يطرد الفرس من الشرق الأدنى القديم ،إلا أن العداوة سريعاً ماحلت بين تدمر والرومان بعد وفاته وتولى شئون تدمر أرملته زنوبيا ،وقد قام الرومان بصب جام غضبهم على تدمر وقلبها راساً على عقب في زمن الإمبراطور أورليان ،وهذا ماسوف نتعرض له عند الحديث عن العلاقة بين روما والقبائل العربية .

٣- القبائل العربية :

أ- في المغرب العربى القديم .

منذ أن وطأت أقدام الرومان أرض المغرب القديم جوبهوا بالثورات من سكان المنطقة الذين كان لديهم نزعة للحرية والاستقلال، وكانوا يأبون حياة الذل والاستعمار .وقد كانت ثوراتهم في الكثير من الأحيان ناجحة بسبب ضيق الأراضى التي استحوذ عليها الرومان ، بالإضافة إلى أن بعض الأباطرة لم تكن لهم الحنكة السياسية في الحرب والقتال .ولذلك اتجه أولئك الأباطرة إلى سياسة اللين والمساومة وعقد التحالفات، والمعاهدات مع زعماء القبائل في بلاد المغرب .

كانت الخطة الرومانية في القرنين الأول والثاني الميلاديين تهدف إلى السيطرة على شئون القبائل أكثر من إنشاء خط دفاعٍ مستمر[1]. وقد لجأ الرومان إلى تدعيم قواتهم العسكرية بإنشاء المعسكرات الدائمة والمجهزة بالأسلحة والرجال والعتاد ،وكانت الفرقة الاوغسطية الثالثة من أهم الفرق العسكرية الرومانية في بلاد المغرب القديم، وقد عُهد إليها بحماية الوجود الروماني في بلاد المغرب[2]، كما أن الرومان اتجهوا إلى سياسة تجنيد

بعض السكان ضمن قواتهم العسكرية ،مثل ما فعلوا مع الشعوب الأخرى من الغاليين والأسبانيين والسوريين. ولكن القيادة كانت بيد الرومان[٣] وحتى يتمكن

[(1)] Abdulhafid Fadil Elmayer ,Tripolitania and the roman empire (.B.C47-A.D235) markaz jihad al libyin tripoli 1997.p117

[(2)] Craham webster, The Roman lmperial Army,London 1979,p114

الرومان من السيطرة التامة على بلاد المغرب نجدهم أقاموا العديد من الطرق التى تربط المدن المغربية مع بعضها البعض، وقد خلفوا لنا شبكة كبيرة وطويلة من الطرق تعتبر من أهم مخلفاتهم، وأشهر هذه الطرق الطريق الساحلي الممتد من لبده شرقاً حتى طنجه غرباً مروراً بقرطاج[١] .

ولكن على الرغم من محاولتهم هذه لم تنجح قواتهم في احتلال المغرب بشكل قطعي ونهائي ،وإنما كانت حدود الامبراطوريه الرومانية في بلاد المغرب تتسع وتضيق بحسب سيطرة الرومان على المناطق الجنوبيه ،وقد قامت القبائل المغربية بالعديد من الثورات ضد الوجود الروماني منذ نزول الرومان بأرض المغرب واستيلائهم على الأراضى واستغلالها لصالحهم. وعندما فشلت تلك الخطة، وأصبحت المعسكرات الرومانية تتعرض لهجمات القبائل المستمرةولم تستطع فرض سيطرتها بالسلم أوباستخدام القوة العسكرية على تلك القبائل. لجاء الرومان إلى بناء سلسلة من الحصون والأبراج للحراسة بين المدن الساحلية وبين هذه القبائل فى الجنوب[٢]. ومن أشهر الثورات التى قامت فى شمال أفريقيا ضد الوجود الرومانى ثورة تاكفاريناس* التى فشل ثلاثة من حكام ولاية أفريقيا فصل القضاء عليها، إلا عندما تم إرسال الفرقة الاسبانية التاسعة بقيادة(دولا بيلا)[٣] لمساندة الفرقة الأوغسطية الثالثة، وكان من أسباب اشتداد هذه الثورة ضعف

[(1)]Trousset.p,Signifiation D,uneFrontiere,Nomades et sedentaires Dans La Zone du Limes D,afrigue, RFS111,1979,p931

[2] ى،م، رينولدس،،نقش حصن مسوس،ت سالم الاسود، ليبيا القديمة،المجلد الثامن ،مطابع بنغازى،١٩٧١،ص١٠

* تاكفاريناس قائد نوميدى، اشتغل فى الجيش الرومانى كمساعد، ثم فر بعد ذلك والتجاء الى الصحراء وكون جيشاً على غرار الجيش الرومانى ، وثار فى وجه الرومان وطالب بإرجاع الاراضى التى اغتصبها الرومان الى اصحابها كشرط اساسى لوقف ثورته. ينظر محمد على عيسى ، تبليط شوارع مدينة لبدة وثورة تاكفاريناس ، اثار العرب، كلية الفنون والاعلام طرابلس١٩٩٢، ص٢٢

[3] رجب عبد الحميد الاثرم، محاضرات فى تاريخ ليبيا القديم ط٢، جامعة قاريونس، بنغازى ١٩٩٨، ص٢٠٩

السلطة المحلية التي كانت تضطهد هؤلاء السكان. ومن الأسباب أيضاً علم السكان بهجمات الشعوب على الامبراطوريه من جرمان وقوط وفرس [1] .

ومن أشد الغارات التى قامت بها قبائل المغرب القديمة تلك الغارة التى قامت بها قبيلة الاوسترياني سنة٢٣٦م على مدينة لبدة، ولا يعرف أصل هذه القبيلة ، ويرى البعض أنها جأت من واحات الصحراء الشرقية في ليبيا، ولكن مصطفى كمال عبد العليم يرى أنها قبيلة ليبية كانت تقيم بالقرب من سرت، والدليل على ذلك هو كثرة غاراتهم على مدينة لبدة[2]، وخوفاً من عودة هذه القبيلة بالإغارة على المدينة نجد أن سكان لبدة سنة ٣٦٣م طلبوا من كونت رومانوس* المساعده الذى رفض المساعدة إلا إذا ارسلوا له اربعة ألاف جمل لنقل الجنود [3]. وفى نفس الفترة تقريباً قامت قبائل المارماريداى بهجوم على المدن الخمس فى أقليم قورينائية، وتصدت لها القوات الرومانية في زمن كلوديوس الثاني ٢٦٨م-٢٧٠م بقيادة ثيناجينو بربوس حاكم مصر، والخبير بدروب الصحراء، ويظهر من حجم هذه الحملة ومكانة قائدها إلى أى مدى كان الرومان يخشون هذه القبيلة[4]، وفى سنه ٢٩٨م شن الإمبراطور مكسيميان حملة على قبيلة الهيلاجوا والتى يرجح أنها قبيلة الواتة وهى إحدى القابئل الليبية في سرت[5] .

[1] شارل اندريثة جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية من البدء الى الفتح الاسلامى، ت محمد مزالى، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٥، ص٢٧٣

[2] مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الاهلية بنغازى١٩٦٦، ص١٠١

* رومانوس كان يشغل منصب Coms Africae أى قائد أو حاكم افريقيا فى الفترة من ٣٦٣م الى ٣٧٣م .

(٣) Ammianus, Marcllus, xxxvlll, vi, 5

(٤) عبد السلام محمد شلوف، نقوش من قورينا تتحدث عن المقاومة الوطنية للاستعمار الرومانى، البحوث التاريخية، السنة الثامنة، العدد الثانى، مركز جهاد الليبيين طرابلس١٩٨٤، ص٢٥٤

(٥) عبد العليم، مصطفى كمال ،الوطنية الليبية والحكم الأجنبى فى العصر اليونانى والرومانى ،ليبيا القديمة ،إشراف منظمة اليونيسكو،باريس ١٩٨٤، ص١٧٥

وعلى الرغم من الجهود التي بدأها ترجان والسياسة التي اتبعها سبتيميوس سفيروس في أفريقيا إلا انها لم تنجح في الحد من ثورات القبائل العربية فى منطقة المغرب القديم. حيث ساعدهم في ذلك قدرة السكان على ركوب الجمال واختراق الصحراء من مكان إلى أخر بسرعة وسهوله[١] .

والجدير بالذكر أن الثورات التي قام بها أهل المغرب القديم لم تقتصر على سكان منطقة معينه، بل نجد جميع السكان قد شاركوا في هذه الثورات، فقد استمرت تلك الثورات زمن الأمبراطورالاسكندر سفيروس وزمن الإمبراطور دقلديانوس الذى قام بعدة محاولات لإنهاء مقاومة السكان للوجود الروماني في المغرب[٢]. وعلى الرغم من أن هذه الثورات قد نجحت في البداية إلا أنها لم تستطيع الوصول إلى غايتها في نهاية المطاف بسبب أعمال العنف، والتعذيب التي كان يقوم بها الرومان ضد الأهالي ،بالإضافة إلى عنصر الخيانة في بعض صفوف أهالى المغرب التي نجح الرومان في استمالة أصحابها وتحريضهم وتشجيعهم بشتى الوسائل[٣] .

وإجمالاً فإن تاريخ المغرب العربي القديم في زمن السيطرة الرومانية كان قد تأثر بأحداث الامبراطورية ، سواء كانت الداخلية منها مثل الفوضى السياسية والعسكرية ،والتنافس على العرش الأمبراطوري ،وضعف بعض الأباطرة ،أو الهجمات الخارجية المتمثلة في هجمات الشعوب وضغطها على أطراف الامبراطورية حتى وصلت تهديدات تلك الشعوب إلى أطراف بلاد المغرب .

(1) عمار محجوبى، ، العصر الرومانى ومابعده فى شمال افريقيا ، تاريخ افريقيا العام مج ٢، اليونيسكو ١٩٨٥،ص٤٧٨.

(2) أحمد صفر، المرجع السابق، ص٣٧٢

(3) رشيد الناضورى، المرجع السابق، ص٣٢٦

ب- فى المشرق العربى القديم .

اهتم الرومان بشبه الجزيرة العربية منذ عهد الامبراطور أغسطس Augustus. وكان من أسباب اهتمامهم بشبه الجزيرة العربية الرخاء الذى كان يسودها، وحاجتهم إلى التوابل والعطور، فهذه المواد كانت تأتى من المناطق الجنوبية لشبه الجزيرة العربية (بلاد اليمن). بالإضافه إلى هذا نجد أن الدوله الرومانية أرادت حماية حدودها الشرقية خاصة بعد الاستيلاء على مصر وتحويلها إلى ولاية رومانية ،كما رأت أن تدعم هذه الحدود ضد القبائل العربية الآسيويه التي كانت تكثر من الغارات على ولاية مصر الرومانية .كما كان وجود الفرس سبباً في لفت نظر الرومان نحو جزيرة العرب، خاصة وأن الفرس نجحوا في السيطرة على الطرق التجارية البرية الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية.

وهذا ما أدى إلى نشوب صراع مرير ودائم بين الرومان والفرس منذ القرن الأول ق.م .ومن هنا اتجه الرومان إلى معالجة هذا الأمر بطريقتين ،إما بالبحث عن وسائل تأمين الخط التجاري البرى الواقع في شمال شبه الجزيرة العربية ،أو بالسيطرة على الطريق البحري الذى يمرعبر البحر الأحمر .وكانت بلاد اليمن مركزاً حيوياً بالنسبة للطرق البحرية في البحر الأحمر ،حيث يعتبر نقطة التقاء بين البحر الأحمر والمحيط الهندي [1] .

ومن هذا المنطلق نجد أن الرومان قد نظروا إلى شبه الجزيرة العربية من خلال ثلاث مناطق وهى بلاد اليمن بالقسم الجنوبي من شبة الجزيرة العربية، ومنطقه

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى،العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ط٢.دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٩ ، ص٤٢٦ .

البتراء* في القسم الشمالي الغربي ،ثم تليها تدمر في الشمال(1)، وتدمر هي محور دراستنا خلال الفترة الحرجة التي مرت بها الأمبراطوريه الرومانيه منذ سنة٢٣٥م حتى سنة٢٨٤م . وهذا لا يمنعنا أن نتطرق ولو بأختصار عن محاولات الرومان من السيطرة على بلاد اليمن والبتراء.

احتلت بلاد اليمن مكانة مرموقة لدى الأباطرة الرومان منذ أن بدأت أنظارهم تتجه نحو الشرق ، ومنذ أن بدأ الصراع بينهم وبين الفرس على طرق التجارة القادمة من الشرق لما تتمتع به هذه البلاد من موقع أستراتيجى مهم على طريق التجارة الأتى من الهند ، ذلك الطريق الذى تأتى عبره العطور والتوابل التى كانت لها أهمية خاصة لدى الشعوب الأوروبية، كما تشتهر بتنوع محاصيلها واعتدال مناخها، وعرفت باليمن الخضراء لكثرة الأشجار والثمار بها، وقد جاءت أولى المحاولات الرومانية للسيطرة على بلاد اليمن في زمن الإمبراطور أغسطس، حيث أرسل حملة سنة٢٥/٢٤ ق.م نحو جنوب شبه الجزيرة العربية بقيادة واليه فى مصر إلبوس جالوس. ويذكر لنا سترابون الذي كان صديقاً لقائد الحملة في كتابه السابع عشر الفقرة الرابعة(2) أن سبب محاولة أغسطس هذه إما السيطرة على مدخل البحر الأحمر عن طريق كسب العرب كأصدقاء ،أو إخضاعهم والسيطرة عليهم بالإضافه إلى ماكان قد سمعه أغسطس عن الثروة الهائلة التي تتمتع بها هذه المنطقة ،وخاصة التوابل ،والعطور، ومما ساعد في تنفيذ وإرسال هذه الحملة أيضاً أن

* البتراء عاصمة الانباط الذين استوطنوا القسم الشمالى من شبة الجزيرة العربية، وهى مدينة صخرية تحيط بها الجبال من جميع الجهات وليس وراءها غير الرمال البمحرقة وتقع فى ملتقى القوافل ، واطلق عليها المؤرخون الكلاسيكيون اسم (العربية الحجرية) .

(1) ناجى معروف، أصالة الحضارة العربية ط٣، دار الثقافة، بيروت١٩٧٥.

(٢) عدنان نارسيس، ،بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى ط٢،دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٠، ص٧٩.

الأنباط وعدوه بالمساعدة في ذلك[١]، وعلى الرغم من وصول هذه الحملة إلى تلك المنطقة إلا أنها لم تستطيع أن تحقق هدفها وهو الاستيلاء على المنطقة، والسبب في ذلك هو الهبوط في معنويات الجند من خلال مالاقوه من مصاعب في الطريق من قلة المياه ، وعدم توفر الطرق الصالحة للسير .وكان السبب المباشر في هذه الهزيمة يرجح كما يقول سترابون الى خيانة الوزير النبطى صالح وهو دليل الحملة[٢]، حيث قام بتضليل الحملة تعمداً وبذلك منع بلاد اليمن من الوقوع تحت السيطرة الرومانية. وعلى الرغم من فشل هذه الحملة نجد أن أغسطس قد أرسل حملة أخرى بعد عشرين سنة بقيادة ابنه بالتبني جايوس ،ولكنه لم يفعل شيئاً يستحق الذكر .وعندما فشلت سياسة القوة بدأوا يتبعون سياسة التقرب إلى حكام (أكسوم) الحبشة، وعقدوا معهم الاتفاقيات لضمان مصالحهم ،والضغط على السواحل الجنوبية العربية ،ومنع العرب من التحرش بالتجارية الرومانية، واستمر هذا الوضع حتى استطاع أهل اكسوم الاستيلاء على بلاد اليمن وبتحريض من الرومان فيما بعد[٣] .

أما مملكة الانباط وعاصمتها البتراء فهى تقع ضمن حدود البلاد العربية، وقد حددها بطليموس فى كتابه من مصر غرباً الى بلاد الرافدين شرقاً، والخليج العربى من الجنوب ومن الشمال تحدها فلسطين[٤]، وأولى العلاقات السياسية بينهم وبين الرومان كانت عندما أرسل الرومان حملتهم إلى بلاد اليمن حيث اعتمدوا على وزير الأنباط

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٤٢٦

(٢) سترابون، الكتاب ١٧، الفصل الاول ، الفقرة ٥٢

(٣) جواد على ، المرجع السابق، ص٦٢٧

(٤) بطليموس، الجغرافيا مج١، ت فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والأسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٩٨٧، ص١٨١.

صالح(سيللايوس Syllaeus) ليرشدهم الى الطريق نحو المناطق الجنوبية، وقد عدم نتيجة ما أتهم به فى نهاية المطاف [١] .

وخلال أواخر القرن الأول ق.م وأوائل القرن الأول الميلادي أصبح الأنباط من رعايا روما غير الرسميين، الأمر الذى أدى بالرومان إلى مد سيطرتهم على مملكة الأنباط ،وذلك من أجل إقرار الأمن على الحدود الشرقية، لأن البتراء كانت مركزاً حيوياً في الطرق التجارية التي تصل روما بالشرق الأقصى،وتصل شمال الجزيرة العربية بجنوبها ،بالإضافة إلى رغبة الرومان في الوقوف ضد الاجتياح الفارسي، الذى كان هدفه مد نفوذه على المناطق العربية على حساب حدود وممتلكات الإمبراطورية الرومانية ، وقد تمكن الرومان فعلاً من ضم مملكة الأنباط كولاية رومانية سنة١٠٥م في زمن الإمبراطور تراجان [٢].

هذا فيما يخص البتراء أما تدمر فهي دولة عربية اللغة والجنس، قامت في أواسط البادية العربية بين العراق والشام ،وتبعد حوالي ١٥٠كم شمال دمشق و١٠٠كم تقريباً شرق حمص[٣]، وكانت مركزاً تجارياً مهماً حيث تمر بها الطرق التجارية بين الحيرة ودمشق.وأقدم ذكر لها كان في الكتاب المقدس أخبار الأيام الثاني،. كما ورد ذكرها عند الملك تجلات بلاسر أثناء حملته على العموريين فى بلاد الشام حوالى سنة ١١٠٠ق م[٤] ولم يذكرها العرب إلا بعد الإسلام، ولم تزدهر إلا بعد سقوط مملكة الأنباط، وقد كانت

---

[١] لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٤٢٩

[٢] لطفى عبد الوهاب يحيى، نفسه، ص٤٣١....السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٣٣٢

[٣] حسن الشيخ ، العرب قبل الاسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٣،ى ص١٤٣

[٤] أحمد أنديشة، عبد الحكيم الكعبى، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، مصراتة٢٠٠٥ ، ص٩٣... فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٣ ط٣ ت جورج حداد ، عبد الكريم رافق،دار الثقافة ،بيروت١٩٥٧، ص٤٣٢.

أولى علاقاتها مع الرومان في زمن الإمبراطور تيبيريوس عندما أصدر عدة قرارات خاصة بالجمارك التجارية في هذه المدينة [١] .

ونتيجة لسوء العلاقات بين فارس وروما تناوب الطرفان السيطرة على تدمر فنجدها تنتقل بالولاء من طرف إلى أخر كلما ضغط عليها الطرف الأخر أكثر من اللازم، وقد انتقلت إلى التبعية الرومانية منذ زمن الإمبراطور هادريان Hadrian ١١٧م-١٣٨م وقد أطلق عليها تدمر الهادريانية إثر زيارة قام بها هذا الإمبراطور لهذه المدينة ، وفى زمن سبتيميوس سيفيروس ١٩٣م-٢١١م تحولت إلى مدينة لها وضع الولايات الرومانية، وقد قابلت تدمر هذا الموقف الروماني بالولاء وخدمة المصالح الرومانية[٢] ، وعندما أرسل أودينه رسالة للملك الفارسي أهانه الملك الفارسى كما ذكرنا سابقاً، عندما أمر بإلقاء الهدايا فى النهر[٣] ، ولهذا جمع أودينه قواته العربية، وهاجم الفرس ونجح في مطاردة الملك الفارسي إلى عاصمته طيسفون Ctesiphon ، مما جعل الرومان يثقون في أودينه وأعطوه سلطة على بعض الولايات الرومانيه في سوريا سنة ٢٦٢م، وأضاف إليه الإمبراطور جالينوس سلطة فعلية على الولايات الرومانية في الشرق ،وعلى الرغم من هذا الولاء الذى قدمه أودينة للرومان إلا أنه عندما حاول النفصال عن روما وإقامة دولة عربية مستقلة قامت بأغتياله .وبعد وفاته تولت الحكم في تدمر زوجتة وارملتة زنوبيا*، وقد عرفها العرب بأسماء هند والزباء** وهى ابنة

---

[١] جرجى زيدان ، العرب قبل الاسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩، ص١١٢

[٢] لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٤٣٣

[٣] محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية٢٠٠٠، ص٥٤٣

* زنوبيا كانت ذات مكر ودهاء ، وكانت تستعرض جيوشها وتمر امام الصفوف ممتطية الجواد وعليها لباس الحرب على عادة اليونان والرومان، وقد تولت الوصاية على ابنها وهب اللات سنة ٢٧٠م .

** الزباء بالعربية ذات الشعر الغزير .

أمير عربي من بنى سميدع، وكانت أجمل من كليوباتر*هوأشجع من سميراميس**، وقد خلفته في الحكم كوصية على ابنها وهب اللات[1]، وقد حاولت هذه الملكة أن تستقل بتدمر، فانتهزت انشغال الإمبراطور أورليان في بعض الحروب داخل أوروبا فوسعت نطاق نفوذها واستطاعت أن تسيطر على العراق والشام ومصر[2] وبذلك سيطرت ولفترة وجيزة على أهم مخزن للحبوب عند روما، واسقطت اسم أورليان عن النقود وسكت عملة جديدة باسم تدمر، وأوشكت بيثينيا Bythinia (جنوب اسيأ الصغرى) أن تدخل تحت لوائها(شكل٢) . وعندما انتهى أورليان من حروبه جهز قوة لمهاجمة تدمر، وألتقت جيوشه بجيوش تدمر في أنطاكيه وحمص، وتراجعت جيوش تدمر مغلوبة،وقد سخرت من أورليان حيث أرسلت له رسالة قائله " **إنها لم تخسر أحداً من رجالها .لأن الذين قتلوا في المعارك إنما هم من الرومان**" [3] لإن في جيشها الكثير من الجند الذين كانوا مرتزقة فى الجيش الرومانى، تم أسرهم ووضعهم فى الخطوط الأمامية لمواجهة الجيوش الرومانية، وعندما تقدم أورليان بقواته واستطاع محاصرة تدمر وتدميرها حاولت الفرار إلى فارس، ولكنها لم تفلح في هذا ،حيث لم يقم الملك

* كليوباترة اسم لعدة ملكات فى مصر وسوريا اشهرهن كليوباترا السابعة التى حكمت مصر من ٥٢ق م الى سنة ٣٠ ق م .

** سميراميس ملكة اسطورية للاشوريين ويبدوا أن الاسم هو تحريف للاسم الاشورى لههذه الملكة وهو (سمورحات) أو(شميرام) ويبدوا انها كانت وصية على ولدها اددنيرى الثالث الذى حكم اشور من ٨١٠االى ٧٨٣ ق م . عن هذه الملكة الاسطورية للاشوريين ..ينظر عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق، ج ١، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٩٠، ص٥٩٣

[1] العماد مصطفى طلاس ، زنوبيا ملكة تدمر ط٢، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩، ص١٥٩

[2] محمد مرسى، المرجع السابق، ص١٨

[3] جرجى زيدان ، المرجع السابق، ص١١٦

الفارسي بهرام بنجدتها، وسبب تقاعسه عن تقديم المساعدة كان لضعف سياسته حيث لم تكن له همة في إدارة الملك[1]. وقد تم القبض عليها سنة ٢٧٢م ،وأُخذت الملكة أسيرة إلى روما لكي تسير فى موكب النصر لأورليان داخل روما[2].وعلى الرغم من الانتصار الروماني في نهاية المطاف إلا أنهم جوبهوا بمقاومة عنيفة، والدليل على عنف المقاومة تلك الرسالة التي أرسلها أورليان إلى أهل روما تشير إلى قوة الدور الذى قامت به تدمر وملكتها في مقاومة الجيوش الرومانية فيقول: **يتحدث الرومان كما يطيب لهم ،يقولون بأننى أحارب امرأة ،هذا صحيح ،إنما أُحارب امرأة عظيمة ،ولو عرف النقاد من هي زنوبيا لتحول نقدهم إلى مديح لي ،إنما هي امرأة قويه حازمه الرأي وشعبها يحبها ويعبدها،وفى ظنى لم نقابل عدواً مثلها**[3] وقد اختلفت الروايات حول مصير الملكة بعد دخولها إلى روما ، فمنهم من يقول إنها تزوجت من نبيل روماني، ومنهم من يقول إنها ماتت بعد الإمتناع عن الطعام ،وهناك من يرى أنه قد خصص لها بيت في ايطاليا وتزوجت من أحد أعضاء مجلس الشيوخ واعتزلت السياسة والحرب وعاشت مع أولادها[4].

ومهما كان المصير الذى آلت إليه زنوبيا، فإنه بانتهائها انتهت دولة عربية استطاعت الصمود أمام الرومان ،وبأنتهائها استطاع الرومان إحكام السيطرة على كامل المنطقة العربية الشرقية وضمها للإمبراطورية الرومانية. هذا بالنسبة لمصير

---

[1] جواد على المرجع السابق، ص٦٣٥

[2] لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٤٢٥

[3] جبران، نعمان محمود ،روضه سحيم حمد ،دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ،مؤسسه حماد للخدمات الجامعيه ،الأردن ١٩٩٨، ص١٩٥.

[4] بشار خلف، دراسات فى حضارة المشرق العربى القديم، مركز الأنماء الحضارى، حلب ٢٠٠٣ ، ص١١٢ .

زنوبيا، أما مصير تدمر فلا تدلنا عليه سوى الرسالة التي أرسلها أورليان إلى واليه باسوس حيث يقول. "**على جنودي أن يريحوا سيوفهم ...،لقد دمرت واحدة من أكثر مدن الشرق**

إزدهاراً..،لقد ذُبح الكثير من التدمريين، وقطعت لحومهم، ولم يفر منهم شيخ أو امرأة أو طفل ،وهدمنا البيوت، فلمن سوف نترك هذه المدينة؟ أعتقد أنه يجب أن تُرحم القلة الباقية من السكان الذين روعهم مصير الآخرين" [١].

أما بالنسبة إلى مصر فكانت مثل ولايات الإمبراطورية الأخرى ،فكثيراً ما كانت تتعرض لغزو الشعوب المحيطة بها ،أو قيام ثورات متقطعة ضد الحكم الروماني، ومن أشهر القبائل التي كانت تهاجم مصر من الناحية الجنوبية قبيلة تعرف باسم اللميس، وقد استطاع بعض الأباطرة شراء سلمهم بالمال ، وإقامة قبائل من النوبيين على حدود مصر الجنوبية دعمها الرومان مادياً لتكفل حماية الحدود من أي خطر [٢] .

ولم يخلُ القرن الثالث من أباطرةٍ كانت لديهم الرغبة الصادقه في العمل من أجل تحقيق أى شيء يستحق الذكر ،ولكنهم سقطوا نتيجة لغدر جنودهم. والبعض منهم قضوا الوقت سعياً بين هذه الجبهة وتلك دفعاً لهجمات القبائل على الحدود ، وكان على الإمبراطورية أن تعانى كل هذه المشاكل داخلية وخارجية حتى ظهر رجل لديه من القوة والشجاعة ما مكنه من إنقاد الإمبراطورية قبيل الأتجاه نحو الهاوية ذلك الرجل هو دقلديانوس Diocletianus .

---

[١] ، المرجع السابق، ص١٧٠

عن تاريخ الدولةالعربية تدمر ، ينظر، العماد مصطفى طلاس، نفسه، ص١٦٩ ومابعدها... جواد على ،المرجع السابق، ص٦٣٣... جرجى زيدان ، المرجع السابق، ص١١٥

[٢] مصطفى العبادى، الإمبراطورية الرومانية، النظام الامبراطورى ومصر الرومانية، دار النهضة العربية،بيروت١٩٨١، ص٢٤٥

ثالثاً: دقلديانوس وظروف توليه الحكم .

" **إلـى عصـرنا هـذا، أسـعد العصـور بمـا فيـه مـن سـادتنا .س.اوريليـوس فـاليريوس دقلديانوس، الورع السعيد الجليل الذى لم يقهر...**" [1] .

من خلال دراستنا لهذا النص، المدون على أحد الأعمدة الإهدائية في أفريقيا، نستنتج أن الرومـان كـانوا يبجلـون أبـاطرتهم، ولكـنهم نظـروا إلـى دقلـديانوس علـى أنـه مخلّـص الإمبراطورية، من الانحلال والفوضى التي مرت بها خلال القرن الثالث الميلادي .

وعلى الرغم من الانحلال التام الذى أصاب الإمبراطورية أُثناء القرن الثالث الميلادى، إلا أنها نجحت كوحدة متكاملة ، حيث أنقدها رجل من الضياع ، ولكنه دفع الثمن غالياً في سبيل إنقاذ الإمبراطورية ، وهذا الرجل هو دقلديانوس. ومن هنا كانت الإمبراطورية تدين إلـى ثلاثـة مـن أباطرتهـا بـالكثير، وهـم أغسـطس الـذى أنشـأها، وأورليـان الـذى انقـدها، ودقلديانوس الذى نظمها تنظيماً جديداً.

وقد استلم دقلديانوس تركة مثقلة من القرن الثالث الميلادي ، وكان عليه إعادة تنظيمها حتى تستطيع مواكبة حركتها، وتستعيد عظمتها من جديد[2] .

ولذا يجب أن نتعرف على هذا الرجل الذى أنقد الإمبراطورية ودانت له بالكثير .

١:-*أصله ونشأته* :- ينتمي دقلديانوس إلى عائلة فقيرة من إقليم اليريا ولد حوالي عام ٢٤٥م، في منطقة سالونا Salona (يوغسلافيا الحالية) ،من إقليم دالماشيا، وقد أُطلق أسمه فيما بعد على مدينة صغيرة تقع في هذا الإقليم [3] .

---

[1] بارو ، المرجع السابق، ص١٧٠

[2] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٥٩

[3] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ ، ص١٩

ولم يكن أبوه من رجال السياسة ،أو من طبقة الفرسان، مما جعله يرتقي في المناصب حتى تولى أرقاها ،وهو منصب العرش الإمبراطورى، بل كان ابن لأبوين فقيرين يعملان في

منزل أحد شيوخ مجلس السناتو الروماني ،وهو أنولينوس Anulinus، وأمه في الأصل من دالماشيا، وقد حصل والده على حريته، أو بالأصح حصل على حرية الأسرة ، وقد حصل دقلديانوس على وظيفة كاتب[1].

ولم يكن يعرف باسم دقلديانوس، وإنما كان اسمه ديوقليز، أما دقلديانوس فقد أشتق من لفظ دالماشيا منبت أمه ، وربما قام بتغير سمه حتى يثير الإعجاب! ومهما كان الأمر، فالاسم الجديد الذى اختاره لنفسه ارتقى به في المجال السياسي حتى وصل به إلى العرش الإمبراطوري .

ولم يكن عمل أبويه ليقف حجر عثرة في طريق هذا الفتى الطموح، حيث عُرف عن دقلديانوس الطموح والجد والشجاعة والمثابرة، وتفوقة على أقرانه .

٢ – *تقلبه في المراتب.*

بالرغم من أن دقلديانوس كان ينتمى إلى أسرة ربما كانت حسب بعض الروايات من طبقة العبيد ، الذين دفعوا الكثير حتى أستطاعوا تحرير أنفسهم[2].إلا أنه وكغيره اختار سلك الجندية الذى يوفر الكساء والغذاء والمرتب لمن لا صفة له ،وقد استطاع بفعل ذكائه وخُلقه وقدرته أن يحصل على ثقة قادته[3].الأمر الذى أدى به الى الارتقاء فى العديد من المناصب المختلفة، فكانت أولها وظيفة كاتب[4]. ثم أنظم إلى سلاح

[1] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص٢٠٦٥

[2] محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص٣٧

[3] السير هامرتون، تاريخ العالم ((الامبراطورية في دور الانحلال ٢١١-٣٣٠)).ج٤ ت محمد غنيم ،مكتبة النهضة المصرية ، د ت ، ص١١٠.

[4] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص١٩

الفرسان تحت قيادة جاللينوس الأمر الذى حقق له بعض أحلامه حيث تحصل على رتبة دوكس أى قائد الفرسان[1] . ثم ارتقى الى منصب الحاكم لمقاطعة مواسيا *Macsia* فى

البلقان، ثم حصل على رتبة قنصل، وفي آخر الأمر، أختير قائدا للحرس الأمبراطورى، وهى من الوظائف الهامة فى الدولة الرومانية[٢]. وبعد وفاة الإمبراطور كاروس أثناء حروبه مع فارس نادت به الجيوش الرومانية فى الشرق قائداً لها سنة ٢٨٤م ثم أصبح قائداً للجيوش الغربية أيضاً[٣]، ثم نادت به جيوش الإمبراطورية إمبراطوراً على روما.

٣ :- وصوله للحكم :-

عندما تولى كاروس العرش ،وهو إليري الأصل قرر تعيين ولديه كارينوس ونومريانوس نواباً بدرجة قيصر ،فعين كارينوس لحكم ايطاليا وبلاد الغال .أما نومريانوس فقد خرج معه في حملته إلى الشرق سنة ٢٨٣م، وكان الغرض من هذه الحملة هو تأديب الفرس، وبالفعل استطاع دحرهم، والاستيلاء على عاصمتهم طيسفون ،وفى هذه الحملة قُتل الإمبراطور كاروس على يد قائد الحرس الإمبراطورى أريوس أبر، الذى قام بالتخلص من نومريانوس فيما بعد، وكان ذلك في ٢٠ نوفمبر ٢٨٤م، ثم قُتل كارينوس الابن الأخر في معركة مارقوس في ربيع سنة ٢٨٥م[٤]. وعندما اجتمع مجلس قيادة الجيش لاختيار الإمبراطور الجديد أعلن المجلس اختيار دقلديانوس الذى تربع على العرش ، الإمبراطورى في١٧ نوفمبر سنة ٢٨٤م ، فاضطرت قوات كارينوس إلى

---

[١] السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٤٠

[٢] محمد مرسى، المرجع السابق، ص٣٨

[٣] المرجع نفسه، ص٣٩

[4] *Paul petit :* history generale de lemprie,Diocletien et la restauration de l.etat, 284-305 partie1 paris 1974*p2.*

الموافقة على اختيار دقلديانوس لمنصب الإمبراطور، ولم تدرِ أنها اختارت أعظم الأباطرة الألليريين[١]. وعلى الرغم مما اشتهر به دقلديانوس من القدرات العسكرية، والتي رفعته إلى

الحكم فإنه كان يفتقر إلى صفات القائد والإدارى المجرب، ولذا ترك لزميله مكسيميان القيام بما يعتبر مسائل استراتيجية فى الحرب والإدارة [٢] .

٤ :- طريقته في الحكم :-

ضرب دقلديانوس أروع الأمثلة في الحكم وقد كان هذا الإمبراطور يشبه من سبقه من الأباطرة في بعض الجوانب، حيث إنه كان جنديا في الجيش الروماني، وتمكن من الوصول إلى منصب رفيع في الجيش، ووصل إلى السلطة عن طريق الجيش والمؤامرة والحرب الأهلية وذلك عندما حارب الأمبراطور كارينوس الذى عينه والده بدرجة قيصر [٣]،كما اتبع في حكمه مذهباً استبدادياً ، فادعى لنفسه حقوقاً إلهية ،وأعتبر أن الإله جوبتير هو الذى اختاره للحكم، واكتسب لنفسه كإمبراطور سلطة عليا، وقد دعم حكمه بجهاز من الشرطة السرية والمخبرين، وفرض عقوبات تصل الى حد التعذيب والقتل على المخالفين، وأصبحت جميع المدن خاضعة للحكم المركزي [٤]. ليس هذا فقط بل ابتدع دقلديانوس في حكمه بدعة سيئة، تلك هي الانزواء عن أعين الشعب ،وإحاطة نفسه بمظاهر الملكية الشرقية، وظن أنه بذلك تعظم هيبة الإمبراطور فلا يستطيع أى فرد على مسه بسوء[٤]. كما أدخل نظام الفرس البارثيين في حكم الإمبراطورية الرومانية، حيث

---

[١] السيد الباز العرينى، تاريخ أوروبا العصور الوسطي ، دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ١٩٦٨، ص٣١.

..محمد مرسى، المرجع السابق، ص٤١

[٢] السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٢٢

[٣] نورمان كانتور، المرجع السابق، ص٤٧ص٤٨

[٤] ج ،ادجار، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم ،ط٤.مطبعة المعارف الحديثة، القاهرة ١٩٢٧، ص١٥٥ .

لم يعد التاج كما كان في عهود سابقة عبارة عن عصابة عريضة بيضاء مرصعة باللآلى تحيط برأس الإمبراطور بل اتخذ التاج المرصع بالجواهر ،وكانت ملابسه فاخرة ليس هذا فقط بل حتى أحذيته هو وحاشيته كانت مرصعة بأندر وأثمن الجواهر واتخذ الحرس على

مدخل القصر وكان أى فرد يريد المثول بين يدية مهما كانت مرتبته عليه أن يخر راكعاً حتى يمس جبينه التراب[١] ،ويقبل أطراف ملابس الإمبراطور وقد عرفت هذه العادة بعبادة العباءة[٢] .

وعلى الرغم من روح الاستياء لهذه المظاهر التي أظهرها دقلديانوس فإن إحلاله العادات الفارسية في الحكم محل العادات الرومانية كان يُعلله بأن الظهور بهذه الفخامة والأبهة، والشرف قد يقهر خيال الجماهير[٣] .

وعلى الرغم من مظاهر الأًبهة هذه، والتي أظهر بها دقلديانوس نفسه ،إلا أنه سن قانوناً لم يسبقه إليه أحد من الأباطرة الرومان، ولم يتقيد به أحد من بعده ألا وهو قانون الاعتزال[٤] .

٥ *:الاعتزال وأيامه الأخيرة :-*

أصدر دقلديانوس قراراً يقضى باستقالة الرؤساء الأربعة عند وصول عشرين سنة من السلطة .

ولكن ماهى الأسباب التى دفعته الى إصدار هذا القرار والاعتزال ؟

إن الإجابه عن هذا السؤال تقتضى منا العودة الى السنة التى أًصدر فيها القرار

---

[١] جيمس برستد، المرجع السابق، ص٦٣٦

[٢] السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٤٠٩

[٣] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص٢١٤

[٤] المرجع نفسه، ص٢١٧

أذ كان هذا في بداية حكمه فربما كان للجيش دوراً في هذا، مما دفعة إلى فرض ضرائب متعددة لدفع المرتبات والهبات بعد أن هدده بعزله عن العرش إذا لم يستجب لمتطلباته ، أما إذا أصدره بعد ذلك وبعد تقسيم الإمبراطورية قد يكون لجاليريوس- الذى اختاره دقلديانوس نائباً عنه بدرجة قيصر عندما قسم الإمبراطورية الى أربعة أقاليم بعد ذلك- دوراً في إصدار

هذا القرار ،خاصة وأنه كان له الأثر الأكبر فى قرارات دقلديانوس، وخاصة المتعلقه باضطهاد دقلديانوس للمسيحيين، وربما أراد من هذا القرار أن يتولى الحكم بعد استقالة دقلديانوس، ولكن الأمور سارت على عكس ما كان هو متوقعاً ،ومعظم الباحثين يؤكدون أنه استقال بعد أن أُصيب بعلة الشيخوخة المبكرة وإذا كان المرض هوالسبب فهذا يدل على أنه أصدر القرار في نفس السنة التى أستقال فيها، ويبدو أن جاليريوس ثم المرض هما السبب في إصدار هذا القرار. ومهما كان السبب فقد استقال فى أول مايو سنة ٣٠٥م [١]، وقد أقيم احتفال تنازله عن الحكم في سهل فسيح علي بعد نحو ثلاثة أميال من نيقوميديا وفي حضور قواته ، وخاطب جنوده والدموع تسيل من على وجنتيه[٢]. وما إن جرد نفسه من الحلة الأرجوانيه حتى ترك المدينة وانتقل الى مسقط رأسة دالماشيا ليقضي فيها أعوامه الأخيرة[٣]. واستقر في مدينة سالونا ، وهناك شيد قصره المهيب علي الأدرياتيك في سبالاتو ، وهذا القصر تدل علي فخامته عقود متهدمة وأعمدة من الرخام ، وقد اختار مكان هذا القصر في بقعه تجمع بين الصحة والمتعة ،ومنذ اعتزاله لم يول السياسة هتماماً ،وإنما اتجه الي حديقته في قصره الفخم واهتم بزراعتها[٤].

[١] اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٥٥٦

[٢] السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٧٠

[٣] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص٢١٨

[٤]هيولاست ،تاريخ العالم(العالم في نظر مواطن روماني)ج٣،.ت محمد غنيم، مكتبة النهضة المصرية د ت، ص١١٣.

وقد طال به العمر ليشاهد نظامه – الذى قضى سنوات حكمه في بنائه محاولة منه لحماية الإمبراطورية من الانزلاق نحو الهاوية – ينهار، والصراع حول العرش يعود من جديد ، وقد توفى في قصره سنة٣١٣م[١] .

وفى النهاية مهما الظروف التى ساعدته على تولى الحكم ، فأنه قام بعملية إصلاح شمل كافة مقومات الدولة، محاولة منه لمنع إنزلاق الإمبراطورية وتدهورها نهائياً، فأصلح

نظام الحكم، ورد جحافل الشعوب الأوروبية والفرس، وأخمد البعض من الثورات العربية، وقام بالحد من الأسعار، وغيرها من الإصلاحات التى تهم الدولة .

---

[1] السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٧١

الفصـــل الثـــانــــي

إصلاحات دقلديانوس

المبحث الاول- الإصلاحات الإدارية والسياسية.

١ -الإصلاحات الإدارية.

أ-تقسيم الامبراطورية إلى قسمين . ب- تقسيم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم .

ج-الوحدات الإدارية التي أنشأها .

نظام الحكم، ورد جحافل الشعوب الأوروبية والفرس، وأخمد البعض من الثورات العربية، وقام بالحد من الأسعار، وغيرها من الإصلاحات التى تهم الدولة .

(۱) السيد احمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٧١

الفصــــل الثـــانــــي

إصلاحات دقلديانوس

المبحث الاول- الإصلاحات الإدارية والسياسية.

١ -الإصلاحات الإدارية.

أ-تقسيم الامبراطورية إلى قسمين . ب- تقسيم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم .

ج-الوحدات الإدارية التي أنشأها .

٢ - الإصلاحات السياسية .

أ- إعادة الهيبة إلى منصب الإمبراطور ب- نقل العاصمة من الغرب إلى الشرق ج- القانون .

المبحث الثانى - الإصلاحات العسكرية.

أ- تنظيم الدفاع عن الحدود . ب-الفرق العسكرية ج- الأسطول

د- طريقة التسليح .

المبحث الثالث- الإصلاحات الاقتصادية.

أ- سيطرة الدولة على الموارد الأقتصادية . ب-تنظيم الضرائب.

ج-إصلاح العملة. د-قانون الأسعار.

المبحث الرابع- الإصلاحات الاجتماعية والدينية.

١ - الإصلاحات الاجتماعية.

أ-الأشراف وموظفي الدولة. ب-الطبقة العامة. ج- طبقة العبيد.

٢ - الإصلاحات الدينية.

أ-أسباب اضطهاد الرومان للمسيحيين . ب- أسباب اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين

ج- كيف حمى المسيحيون أنفسهم وكتابهم المقدس؟

إصلاحات دقلديانوس

المبحث الاول :- الإصلاحات الإدارية والسياسية

عندما تولى دقلديانوس الحكم واجهته العديد من المشاكل منها، كيفية المحافظة على وحدة الإمبراطورية سليمة تحت سيطرة حكومة مركزية، ومنع حكام الأقاليم والولايات من الانفصال عن الدولة ومحاولة فرض هيبة الإمبراطور حتى لايكون ألعوبة في أيدي قادة الجيوش، حيث أصبح الجيش يعزل ويولي من يشأ من قادته لتولى العرش بسيطرته على

كافة شئوون الحكم. كما كان من مهامه وضع حدٍ للانقلابات العسكرية، والمنازعات من أجل العرش، لهذه الأسباب وغيرها أقام دقلديانوس عدة إصلاحات حتى يستطيع أن يمنع الإمبراطورية من الانزلاق نحو هوة التدهور والفوضى ،وبدأ يعمل من أجل أن يعيد الدولة إلى سابق عهدها(١). وتعتبر الظروف التى تولى فيها دقلديانوس الحكم شبيهة الى حد ما بالظروف التى تولى فيها مؤسس الأمبراطورية الرومانية الإمبراطور أغسطس حيث اعتلى كل منهما العرش بعد حروب ومنازعات، وقد أقام كل منهما إجراءات من أجل حفظ السلام ، وحكم كل منهما فترة طويلة من الزمن(١) . وعلى الرغم من الجهود التى بذلها دقلديانوس فى سبيل إنقاذ الإمبراطورية، وعلى رأسها تلك الإصلاحات التى قام بها إلا أنه لم ينجح فى تامين حياة كريمة للناس مثلما استطاع أغسطس الذى نجح إلى حد كبير فى نشر الأمن والرخاء للمواطنين(١).

---

(١) دونالد ددلى، حضارة روما، ت جميل الدهبى، فاروق فريد، م صقر خفاجة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص٣٤٢

(٢) مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص٢٩٤

(٣) رستو فتزف، المرجع السابق، ص٦٠٦

وجأت إصلاحات دقلديانوس من أجل منع انهيار الإمبراطورية، وشملت اصلاحاته جميع أنظمة الدولة من النواحي الإدارية، وشؤون الحكم، وقد عمل على إعلاء مكانة الإمبراطور بالإضافة إلى الشؤون العسكرية والنواحي المالية (١).

١-الإصلاحات الإدارية.

أ-تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين .

عندما تولى دقلديانوس الحكم عرف أن اتساع الإمبراطورية، ومابها من مشاكل واضطرابات لايمكن أن يقوم بأعبائها رجل واحد. ومن هنا فكر في إشراك رجل أخر معه حتى يستطيع أن يتولى حماية المناطق الغربية، في حين يتولى هو حماية المناطق

الشرقية، بفضل ثرائها وثرواتها وكثافتها السكانية، بالأضافة الى القلاقل والهجمات التى كثيراً ماتأتى من الشرق وخاصة الفرس، وبذلك تم تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين: شرقي وغربي. وكان شريكه الذى اختاره من طبقة الفرسان، حيث كان قائداً تدرج تحت السلاح، وكان رفيقه في الجيش والسلاح، وهذا الشخص هو اوريليوس فاليريوس ماكسيميانوس Maximanus ،وقد تم تعيينه برتبة قيصر سنة ٢٨٥م، ثم ارتفع مثله إلى مرتبة أغسطس (أي المبجل) سنة ٢٨٦م ، وكان رجلاً خشناً غير مثقف ،ولكنه كان قائداً بارعاً ، وكانا متساويين في قيادة الجيوش فى المنطقة التى يتولى الحكم بها، حيث كثيراً ماترك له دقلديانوس امور الحرب وقيادة الجيوش، أما الإجرات الإدارية فكانت بيد دقلديانوس ،وكان يفصل بين مناطق صلاحياتهما خط يمتد من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الادرياتى جنوب دالماشيا [٢].

---

[١] ل.م.هارتمان،ج، باراكلاف الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطي ط٣، ت جوزيف نسيم، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨١، ص٨٢

[٢] لانجر وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج ١، ت محمد مصطفى زيادة، مؤسسة النهضة المصرية، د ت، ص٣٢١ .

وقد هدف دقلديانوس من الإصلاح في الإدارة إلى تأمين مركز الإمبراطور ضد كل ما يتعرض له من الراغبين في اعتلاء العرش، بالإضافة إلى خوفه من الانقلابات العسكرية، وكان اكبر إجراء أحدثه هو الفصل التام بين الوظائف العسكرية والمدنية، حتى يستطيع كبح جماح القادة العسكريين الذين زاد عددهم وتدخلهم في شئون الدولة، فقرر عدم إسناد المهام العسكرية والمدنية إلى موظف واحد، و كان استمرار الجهاز الإداري في زمنه هو أحد العوامل التي حافظت على وحدة الإمبراطورية سليمة كاملة[٢]. وبهذا لم يعد القائد العسكري يشتغل في الوظائف المدنية، وأصبح الجندي في هذه الحالة عبارة عن جندي يحمل السلاح للدفاع عن الدولة، وليس له حق التدخل في الشؤون السياسية، والإدارية

الأخرى[٢]، وأصبح اختيار القادة العسكريين من بين الجنود والفرسان، بعد أن كان يتولى قيادة الجيوش حكام الولايات، أو من الطبقة الأرستقراطية ومجلس الشيوخ[٣]، ولعل دقلديانوس أراد من هذا الإجراء رفع الكفاءة العسكرية للجنود الرومان خاصة وأن أوضاع الإمبراطورية في تلك الفترة قد أصابها الوهن والضعف نتيجة الاضطرابات، مما تطلب كفاءة عسكرية عالية للقضاء على الحركات الانفصالية والثورات التى تقوم بها الشعوب التى رفضت الاستعمار الرومانى مثل القبائل العربية، وكذلك منع قادة الجيش من التدخل فى الشئون السياسية للدولة[٤] .

وبهذا التقسيم داخل الإمبراطورية أصبح يحكمها حاكمان إحداهما يحكم القسم الشرقي والأخر يحكم الجزء الغربي، وكان دقلديانوس يهدف من هذا التقسيم إلى

[١] هامرتون، السير ،تاريخ العالم ((الامبراطورية في دور الانحلال ٢١١-٣٣٠)).ج٤ ت محمد غنيم ،مكتبة النهضة المصرية ، د ت، ص١١١

[٢] بارو، المرجع السابق، ص١٧٨

[3] *A.H.M,Jones ,Frontier defence In Byzantine Libya (Libya in history)hiostrical conference 196,p289.*

[٤] أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث، ص١٠٣

الحفاظ على مركز ووحدة الامبراطورية، لإن إمبراطور واحد لايستطيع اخماد الحركات الانفصالية داخل الدولة أو الوقوف فى وجة الهجمات الخارجية، مما يدل على مدى اتساع الإمبراطورية فى تلك الفترة .

ب-تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم:-

عندما أدرك الإمبراطور الأهمية التي أتى بها تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين، وأصبح كل موظفي الدولة مسئولين أمام الإمبراطور، وعندما عرف دقلديانوس أن الحكومه المركزية لا تستطيع إدارة شؤون دولة مترامية الأطراف وتدافع عن حدودها الشاسعة، قام بتجزئة الإمبراطورية إلى أكثر من ذلك ،بأن قسماها إلى أربعة أقسام[١]، وقد سمي هذا النظام

بالسلطة الرباعية أو التتراخيا Tetrarehia وكان ذلك سنة ٢٩٢ م، وقد اعتقد أنه بواسطة هذا النظام سيضع حداً للأزمات التي كان يتعرض لها ولي العهد فى القرن الثالث[٢]، ويقتضي هذا النظام تعيين نائبين إحداهما لدقلديانوس، والأخر لشريكه، فاختار دقلديانوس كايوس جاليريوس CAIUS CALERIUS، وكان جاليريوس هذا يُكنى ارمنتاريوس، واختار ماكسيميانوس قسطنطيوس Constantius المشهور باسم جلوروس Chlorus (شكل٤)،وقد قضى معظم شبابه في خدمة الجيش ،وكان على خلق رفيع، وحمل كل منهما لقب أقل من أغسطس وهو قيصر، وكانا بمثابة ولى العهد بل تبنى كل منهما الأخر أثناء اختياره [٣] ،وقد فعل دقلديانوس ذلك بحيث إذا مات أغسطس أو قُتل يخلفه نائبه أو القيصر في الحكم دون حدوث صراع أو منازعات، أوتدخل الجيش في تعيين من يتولى العرش .ولكي تستمد رابطة الحكم قوة أكبر رُبط ______________________________

[١] عبد العزيز الثعالبي، مقالات في التاريخ القديم ط١، دار الغرب الاسلامى ،بيروت١٩٨٦، ص٥٤.

[٢] اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٥٥٦

[٣] المرجع نفسه، ص٥٥٦

الاغسطيين بالقيصريين برباط المصاهرة ،حيث ألزم كل من القيصرين بطلاق زوجته السابقة [١]، وبذلك تزوج كل قيصر من ابنة الاغسطس الذى يتبعه، فأصبحت فاليريس Valeris ابنة دقلديانوس زوجة لجاليريوس، أما فاليريوس فسرح زوجته هيلين Helena ليتزوج من ثيودورا Theodora ابنة ماكسيميانوس [٢]. ونتيجة لذلك انقسمت الإمبراطورية إلى أربعة أقسام كبرى تعرف بالولايات Prefecturat وبهذا أصبحت الإمبراطورية مقسمة إلى أربعة أقسام إدارية كبرى وهذه التقسيمات كانت كالأتى .

**غاليا وتشمل- بريطانيا-وغاليا-أسبانيا والمنطقة المعروفة الآن باسم المغرب الأقصى

**ايطاليا وتشمل- الاراضى الواقعة بين الدانوب ،والادرياتى ،وأقاليم طرابلس وتونس والجزائر الحالية .

**اليريا وتشمل- آسيا ، ومقدونيا ،وبلاد اليونان .

**وأخيراً الشرق ويشمل- تراقيا ،وآسيا الصغرى ،وبلاد الشام. وقد حتفظ دقلديانوس لنفسه بالقسم الشرقي ،فضلاً عن احتفاظه بالأسم الأكبر وهو الإمبراطور الروماني [٣] .

ج-الوحدات الإدارية التي أنشأها:-

انقسمت الأقسام الإدارية الكبرى فى الإمبراطورية إلى اثنا عشر وحده إدارية تعرف باسم Diocesis، واتخذ حكامها لقب Vicarius ، وقد انقسمت هذه الوحدات الإدارية إلى الاتى : ١:--الشرق -ويضم البلاد الواقعه جنوب جبال طوروس ،ويمتد حتى مصر وبرقه في ليبيا .

٢- بونطوس -الجزء الشرقي من آسيا الصغرى .

---

[١] محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص٢٠

[٢] لانجر وليام، المرجع السابق، ص٣٢٥

[٣] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص٢٠

٣-اسيانا- الجزء الغربي من آسيا الصغرى .

٤-ترافيا.

٥-مؤيسيا -وتضم مقدونيا وابيروس وانايا وكريت .

٦-بانونيا -وتتبعها كل من دالماشيا ولوريكوم.

٧- ايطاليا .

٨- أفريقيا -وهى المنطقة الممتده غرب سرتSYRTES .

٩-أسبانيا وموريتانيا .

١٠-فيينيس Viennenis- الجزء الواقع إلى الجنوب والغرب من فرنسا حتى نهر اللوار

١١-غاليا -الجزء المتبقي من فرنسا ويمتد حتى نهر الراين .

١٢-بريطانيا [١].

وانقسمت هذه الولايات إلى عدد من الولايات الصغيرة وصل عددها الى مئة ولاية رومانية، لكل منها ثلاث إدارات: مهمة الأولى الأشراف على العدالة والثانية على المالية والثالثه على الأملاك الخاصة بالأباطرة [٢] ،وكل حكام هذه الولايات، وحكام الأقاليم أصبحو مسؤولين بصفة رسمية أمام الإمبراطور. كما ظهر نظام جديد في تقسيم الولايات وهو نظام الابراشيات، وهى عبارة عن نقاط ولايات صغيرة تقع بين الولايات الإدارية الكبرى، وذلك من أجل تسهيل الأتصال بين المقاطعات [٣]، والأقاليم المعاد تنظيمها كانت متجمعة في الأبراشيات Ctioceses ،والأبراشيات كانت مجتمعة في أربعة ولايات أو مقاطعات يحكمها والَ Praefecturat [٤]، وكان مجلس الإمبراطور الأستشاري يدعى

(١) السيد الباز العرينى، تاريخح اوروبا فى العصور الوسطى، ص٣٨

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق،ص٣٢١

(٣) بارو، المرجع السابق، ص١٧٩

(4) E.L. haunes.the antiguites of Tripoliania,4th Edition 1981,p55

Consistorium (أى الجمعية العامة أو المجلس) ، وقد وجد في هذا النظام جهاز بيروقراطي مركزي يتألف، من إدارات مختلفة تخضع كل إدارة منها إلى موظف خاص، مثل كوايستور القصر المقدس* ،كبير الموظفين**[١] ،كما أنه أدخل المركزية في الحكم ووحد وسائل الإدارة في دولة أنعدمت فيها الضوابط، ونظم العلاقات بين الإدارة المركزية والإدارات في المقاطعات ، كما أدخل البرتوكولات والرسوم الإمبراطورية وأصبح الحكم أوتوقراطياً ،وأذاع رجال القانون أن الشعب الروماني تنازل طوعاً عن كل ما له من سلطة للإمبراطور باعتباره الحاكم الأعلى فى الدولة الرومانية وتخضع لإشرافه جميع الإدارات

والهيئات داخل الإمبراطورية، ولم يعد للأفراد أو الطبقات أى حقوق لذى الإمبراطور[٢]، كما قام بتصغير مساحات الأقاليم ،وقد بلغ عدد الأقاليم في زمن دقلديانوس حوالي مائة إقليم .

* الكويستور، هو كبير المستشارين فى القانون ، ومهمته وضع القوانين والمراسيم الامبراطورية .

* كبير الموظفين ، ويتولى رئاسة العديدة من الادارات ، مثل السفارات، وبريد الدولة والحرس الملكى ورجال المخابرات الذين يرسلون فى مهمات دقيقة مثل مراقبة الموظفين فى الإدارات ، عن ذلك ينظر، سانت موس ، ميلاد العصور الوسطى، ت عبد العزيز توفيق جاويد ،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ١٩٩٨، ص٤١٢

[١] وليام لانجر، المرجع السابق، ص٣٢٣

[٢] نعيم فرح، المرجع السابق، ص٣٥٠

٢- الإصلاحات السياسية .

أ-إعادة الهيبة إلى منصب الإمبراطور .

عاش دقلديانوس ردحاً من الزمن في الشرق جعلته يتأثر بالأفكار والتقاليد الشرقية، وقد أُعجب بما لملوك الشرق من أبهه وسلطان[١]. ونتيجة لأحداث القرن الثالث،ومحاولة منه حماية السلطه المدنية من خطر الجيش، إتخذ من مظاهر الحكم في الشرق ما يجعل الإمبراطور يثير الهيبة والخوف في صدور الأعداء[٢]، وقد رفع مكانة الإمبراطور، وذلك بأن جعله أقرب إلى مصاف الآلهه منه إلى البشر بادعائه الإنحدار من جوبتير ملك الآلهه[٣]، كما اتخذ أفكاراً شرقية استمد منها هذا المنطق، مثل تأليه الملوك خاصة في مصر أثناء العصرين الفرعوني والبطلمى[٤] ، وقد انتقد عدد من كبار السن الإمبراطور

دقلديانوس على أنه كان ينوى تأليه نفسه مثل ماجرى لذى الفرس وعمل الأمبراطوران على أن يكونـا فـوق بـاقى العبـاد، واعتبـرا نفسـيهما أنهمـا ينتميـان إلـى إلاهيهمـا منـذ ٢١يوليوسنة٢٨٧م(٥) ، وأصبح ينظر إلى كل شيء يخص الأغسطيين بأنه مقدس وصورهما الرسامون بهالة مقدسة يشع منها النور الرباني(٦)·وأختار دقلديانوس لنفسه لقب جوفيوس ولشريكه لقب هرقوليوس، فالأول يدبر الأمور داخل الإمبراطورية، والثاني يحميها بذراعه الـــذي لايقهـــر (٧) ،وكـــان تقـــديس الأبـــاطره أمـــراً سياســـياً محضـــاً، كـــان

(١) السيد الباز العرينى، تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة المصرية بيروت، ١٩٨٢، ص٢٤

(٢) السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٥٠

(٢) السيد الباز العرينى، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٣

(٤) جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤-١٤٥٣، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية د ت، ص٣٦ص٣٨

(5) paul ,petit op,cit, p11

(٦) السيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص٥٥٢

(٧) اسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربر، دار المعارف بمصر، د ت، ص٦.

القصد منه الحفاظ على تبعية الولايات للإمبراطورية(١). ولكى يزيد فى قدسيته أصدر قانون حرم فيه لبس العباءة الأرجوانية إلا على الآمبراطور والعائلة المالكة (٢) .

ب-نقل العاصمه من الغرب إلى الشرق :-

أهدر دقلديانوس التقليد القديم الذى كان سائداً في الإمبراطورية منذ تأسيسها، وذلك عندما تجاهل الغرب وعاصمته روما، وعرف أنها لم تعد مركز الثقل ، ولذا نجده قد اتخذ مقره في نيقوميديا، **(أزمير الحديثه على الشاطىء الاسيوى للبسفور)***،وقد دفعه إلى ذلك أن الشرق كان مليئاً بالإضطرابات، والهجمات المتكررة من الفرس والقوط ، وغيرها من الشعوب الأخرى ،وحتى يكون قريباً من مراكز الخطر في هذا الاتجاه، كما أنها طريق المواصلات الرئيسية بين الشرق والغرب (٣)، واختار لزملائه وشركائه في الحكم مدن وهى

عبارة عن خطوط دفاعية لمواجهة الأخطار من قبل الشعوب والقبائل التى تشجعت وهاجمت الإمبراطورية فى القرن الثالث الميلادى، ولهذا نجد أن الحكام الأربعة اتخذوا هذه المدن عواصم لهم ولقواتهم(٤)، وهذه المدن هى، ترايف على نهر الراين بألمانيا الحديثه، للدفاع عن بلاد الغال وأسبانيا، وسرميوم (بلغراد الحاليه) لحماية المناطق الشمالية، وميلان شمال أيطاليا من هجمات القبائل الأوروبية والقبائل العربية فى المغرب العربى والقديم ، ونيقوميديا جنوب أسيا الصغرى لحماية الامبراطورية من الفرس القبائل العربية (٥) .

---

(١) نعيم فرح ،المرجع السابق .ص٣٥٨

(٢) السيد احمد الناصرى ،الروم والمشرق العربى ،مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣،ص٦

*عن اهمية هذه المدينة وموقعها الجغرافى ....ينظر ، السيد احمد الناصرى، الروم والمشرق العربى،ص٦

(٣) تشارلز ورث ، المرجع السابق،ص١٩٦

(٤) المرجع نفسه، ص١٩٦

(٥) محمد مرسى، المرجع السابق، ص٤٠

ج–القانون :–

اهتم الرومان بالقانون ،وقد تأثر القانون الروماني بالعادات المحلية كما كان في العهد الأول ممتزجاً بأحكام الدين ،وقد كان الكهنة هم الذين يقومون بإصدار القوانين،لأن القانون والدين في يد الكهنة (١). وقد ترتب على التدهور الاقتصادي والاجتماعي تدهور الناحية القانونية ،حيث توقف نشاط الفقهاء ،ولم يبق من القانون سوى التشريع الصادر من الإمبراطور(٢) .

وبلغ أهل الشرق درجه عالية في علم القانون ،وهذا ما دفع روما بأن تستدعى أهل القانون من سوريا ،وأهمهم بابينيانوس ،وأولبيانوس ،وأصبحوا من أشهر قادة حرس القصر ،ومن أشهر المدارس التي أشتهرت بالقانون في الإمبراطورية الرومانية ،هي مدرسه بيروت

حيث أشتهر رجالها بالقانون ،الأمر الذى جعل القسطنطينية لا تتخلى عنهم حتى قبيل نهاية القرن الخامس الميلادي[٣] .

وقد ظهرت مجموعة من القوانين التي عرفت بالمجموعة الجريجورية، وقد جاءت التسمية نسبة الى أن واضعها كان رجل قانوني يدعى جرجيوس ،وقد وضعت مابين عامي ٢٩١/٢٩٢م في زمن دقلديانوس، وتشمل كافة اللوائح ،والدساتير القانونية من زمن هادريان إلى زمن دقلديانوس ،مرتبة في ستة عشر كتاباً ،وكل منها مقسم إلى أبواب ،وكل باب يحتوى على العنوان الذى يشير إلى الموضوع المدون فيه[٤]. وقد بحثت هذه القوانين فى العديد من المجالات والقضايا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، منح

---

(١) عمر ممدوح ، المرجع السابق، ص٩٠

(٢) المرجع نفسه، ص٩١

(٣) اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٦٤٠

(٤) عمر ممدوح ، المرجع السابق، ص١٤٨

الصفة الشرعية للابن الذى ولد من أبوين بزواج تم الأخلال بشرط من شروطه، وتحريم القسوة على العبيد وخدم المنازل، وتحريم الارث للابن الناتج عن طريق الزنا، وفى زمن قسطنطين أنشئت أول محكمة كنسية يتولى القضاء فيها رجال الدين وينظرون فى جميع القضايا بما فيها القضايا المدنية، وهذا أدى الى ظهور القضاء الكنسى الذى ساد أوروبا فيما بعد خلال العصور الوسطى[١]. كما ظهر نظام الدعاوى الإدارية التى يتولى القضاء فيها موظفين يعينهم الإمبراطور بنفسه[٢] .

ثانياً :-الإصلاحات العسكرية .

كانت سلطة الإمبراطور أثناء أزمة القرن الثالث الميلادي تعتمد على العطايا التي تمنح للجند، بحيث كانت كلما زادت هذه العطايا كلما زادت حماية هذه القوات للإمبراطور، وهذا الأمر من الأسباب التي جعلت الإمبراطور ألعوبه في أيدي الجند، وكان مركزه مهدداً

بالإنتهاء متى ما توقفت عطاياه عن الجند، وكان الجند يتولون الوظائف العسكرية والمدنية على السواء بحيث أصبحوا هم المتحكمين فعلاً في أمور الدولة . وبما أنه كان لزاماً على كل إمبراطور من توفير الأمن لشعبه الذى يحكمه، وهذا يتطلب جيشاً قوياً دون أن يتحول هذا الجيش الى خطر يتهدده وشعبه أو يرفع راية العصيان ضد الإمبراطور. لذا قام دقلديانوس بالعديد من الإصلاحات العسكرية لحمايته وحماية إمبراطوريته من الهجمات الخارجية ويضمن ولاء الجيش له[٣]. ولذا كان من بين المشاكل التي واجهته هي حل مشكلة الانقلابات العسكريه ومنع قادة الجيش من التدخل في الأمور السياسية ،وعزل وتعيين الأباطرة ،ولذا قرر الحد من سلطة العسكريين .

---

[١] صبيح مسيكونى، القانون الرومانى ط٢، المكتبة القانونية، بغداد ١٩٧١، ص٦٠

[٢] المرجع نفسه، ص٩١

[٣] تشارلز ورت، المرجع السابق، ص٣٨

إذاً ماهى الطريقة التي يمكن بها التخلص من السيطرة العسكرية ؟

استطاع دقلديانوس التخلص من السيطرة العسكرية بأن جعل قيادة القوات المتواجده في الولايات بيد حكامها ،أما إذا تقرر القيام بحملات فكانت القيادة تسند إلى ضابط يحمل لقب "دوكس"، ولكن القيادة العامة كانت بيد أحد الإباطرة حتى يقف حائلاً بين العرش وبين القادة الطموحين والراغبين فى اعتلاء العرش، وكان هذا الإجراء بداية للفصل بين السلطتين المدنيه والعسكريه ،حيث قام بتجريد بعض حكام الولايات من السلطة العسكرية [١] ،وقد قرر بأن لاتكون لآي رجل عسكري أي صله بأى قطاع مدني ،وإنما عمله يقتصر على المجال العسكري فقط. كما قام بإبعاد مجلس الشيوخ والنبلاء عن الجيش، وعين في الوظائف العسكرية موظفين من طبقة الفرسان الذين لم يكن لهم جاه أو ثراء كبير يؤهلهم إلى تلك المناصب ،وإنما يؤهلهم إلى هذه المناصب كفاءتهم العسكريه فقط .ومنذ ذلك

الوقت صار الجندي ليس له علاقة بالإدارة والأمور المدنية وأصبح يتلقى الأوامر من أحد الآباطرة، الأمر الذى أدى الى سيطرة الأباطرة على كافة الشئون العسكرية فى الإمبراطورية بعدما أصبح هؤلاء القادة يتلقون الأوامر منهم[٢] .

ونتيجة للغزو الذى عانت منه الإمبراطورية من الشعوب المحيطة تطلب إنشاء جيشٍ قويٍ، ولذا نجد دقلديانوس قد كون جيشاً جديداً بعيداً عن الاعتماد على وسائل الدفاع وحاميات الحدود السابقة[٣]، حيث قام نظام الجيش الجديد على أساس الاعتماد على الجنود الذين ينتمون إلى الشعوب الأقل تمدناً وحضارة عن الرومان ،ولذا اعتمد على الجرمان والقوط في تكوين هذا الجيش وحماية الإمبراطورية وقد كانت معظم فرق الخيالة من

---

[١] رومنقتن، المرجع السابق، ص٢٠

[٢] بارو، المرجع السابق، ص١٧٨

[٣] ج، ن، فولر، تأثير التسلح فى تاريخ الحضارات، ت لويس الحاج، بيروت ،د ت، ص٦٤ص٦٦

الجرمان[١]. وقد تضمنت إصلاحاته في هذا المجال الاتى .

أ–تنظيم الدفاع عن الحدود ..

مُنذ أن توسعت حدود الإمبراطورية في القرن الأول الميلادي شرعت في بناء نظام ثابت للدفاع عن الحدود ،وقد عرف هذا النظام باسم "الليمس" (Limes)*.ومن أجل تنظيم الدفاع عن الإمبراطوريه وحدودها أنشأ دقلديانوس جيشاً دائماً ،وقوياً وتم اختيار معظم أفراده من العسكريين ، ولم ينظم إليه أحد من الطبقة الأرستقراطية، أو يتولى قيادته أحد رجال السناتو، وكلف بمهمة حماية الحدود، وقد عرف باسم "الليمتانى" (Limitananei) ،وهى قوات محلية .أما الحرس الوطني فُيختار جنوده من أبناء الولايات التي يخدمون فيها، ولم تكن لهذه الفرق أي أهمية عسكرية وإنما كانت عبارة عن خط دفاعي أمامي فقط[٢] .ومقابل تواجدهم على الحدود حصل أفراد هذا الجيش على أراضي

زراعية لزراعتها بحيث أصبحت هذه الأرض مصدر معيشتهم، ونتيجة لذلك تألفت طبقة من الجنود المزارعين[٣]، وكانوا من المحاربين ويشترط لأبنائهم أن يرثوا هذه الأرض إذا قاموا بأداء الخدمة العسكرية، وقد قام بهذا الإجراء لكى يشجع الأبناء أن يرثوا وظائف آبائهم العسكريين، وتشجيع العاطلين عن العمل للانخراط فى سلك الجندية[٤]. ومن جهود دقلديانوس لحماية الحدود بناءهُ خط دفاعي على الحدود يمتد من دمشق إلى أطراف نهر الفرات الشمالية مروراً بتدمر عرف بطريق دقلديانوس

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص٢٢...محمد مرسى، المرجع السابق، ص٤٤

* كلمة الليمس، لاتعنى الموانع الطبيعية فقط والتى تمنع الاجانب من الدخول الى أراضى الامبراطورية سواء كانت طبيعية مثل نهر الراين أو صناعية مثل سور هادريان فى بريطانيا ، وأنما تشمل جميع وسائل الدفاع من قلاع ومعسكرات وطرق مواصلات وابراج مراقبة ...الخ ، ينظر، رومنقتن ، المرجع السابق، ص٤٥

[٢] دونالد ددلى، المرجع السابق، ص٣٤٣

[٣] السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص٢٤

[٤] رومنقتن ، المرجع السابق، ص٤٨

وأنشأ معاقل وأبراج لمراقبة الطريق من البتراء إلى قرقيسيا[١]، وقد تولى أمر الحاميات العسكرية في الولايات التي أنشأها "دوكس"(DUX)، أو "كونت" (COMES) ،وهذه الحاميات لم تكن متمركزة فى عمق أراضى الولايات في معسكرات وإنما توزعت على مراكز صغيرة على طول الحدود [٢] . ولتوفير الحماية لجنود الحدود أصدر دقلديانوس قراراً بالانسحاب من بعض المناطق، ربما تفادياً للأخطار التي تتعرض لها الجيوش مثل الحروب حيث فقدت الدولة الكثير من جنودها، وكذلك انتشار الأمراض والأوبئة في بعض الجهات من الإمبراطورية مثل ولاية موريتانيا الطنجية وبلاد النهرين [٣] .

ب- الفرق العسكرية .

قام دقلديانوس بإنشاء العديد من الفرق العسكرية، تمكن بواسطتها من التغلب على العدو أثناء اختراقه للعديد من الجبهات فى آن واحد، ومنها القوات التابعة للإمبراطور،

وهى عبارة عن أربعة فرق وضعت تحت قيادة الأباطرة، وهى عبارة عن قوات خفيفة متنقلة سهلة الحركة تستطيع الانتقال إلى أي جهه، وفى أي وقت بغية حماية الأطراف من هجمات المغيرين على الحدود، ويتم أختيار أفرادها وتدريبهم بعناية فائقة ويتولى قيادتها الإمبراطور شخصياً، وكان عدد كل فرقة حوالى ٥٠٠ ألف مقاتل من المشاة، و ١١ألف من الخيالة، بالأضافة الى قوات الدرجة الثانية المرابطه على الحدود ومهمة هذه الجيوش، أو القوات أن تتلقي الهجمة الأولى للقوات المهاجمة للإمبراطورية حتى تصل الفرقة التى يقودها أحد الأباطرة. والقوات الحدودية كانت تحت إمرة أحد الفرسان، ويصل عدد أفرادها ١٥٠ ألف مقاتل من المشاة، و ٤٦ ألف

---

(١) نقولا زيادة ، شاميات، دراسات فى الحضارة والتاريخ ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن١٩٨٩، ص٤٣

(٢) وليام لانجر، المرجع السابق، ص٣٢٢

(٣) موسى معمر زايد، النظم الدفاعية فى ولاية شمال افريقيا الرومانية١٩٢-٤٣٠م، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الاداب والعلوم ، ترهونة ٢٠٠٤، ص١٥٦.

مقاتل من الخيالة، وجميعهم يخضعون للآوامر الإمبراطورية [١].ونتيجة لهذا ظهرت فرق كبيرة متخصصة مثل سلاح الفرسان وأصبح لهم دورً كبير ومكانة مرموقة فى الجيش الجديد[٢]. وقد رأى دقلديانوس ضرورة تجنيد احتياطي دائم للجيوش في الولايات[٣]، وكانت قوات الحدود تجند أساساً من الجرمانيين والأليريين[٤] ، حتى يستطيع عن طريقهم الوقوف فى وجه القبائل الأوروبية الأخرى، والتخلص من خطر مهاجمتهم للإمبراطورية. كما أنشأ فرقة أخرى مهمتها حماية الأباطرة وحراستهم، ومن هنا أختفت قوات الحرس البرايتورى ،واقتصرت مهمتها بعد ذلك على حماية مدينة روما فقط. وهذه الفرقة كانت من أهم الفرق التى يتولى قيادتها الإمبراطور نفسه. وربما لتدخلها فى الأنقلابات العسكرية خلال القرن الثالث الميلادى- مثل قتل قائد هذه الفرقة أريوس أبر للأمبراطور الرومانى كاروس٢٨٢/٢٨٣م- ولذلك تم ألغاءها ووضعت للحراسة فقط ،وقد كانت المدرسة

الأولى لتخريج الضباط، وتعليم النظام والتدريب الرومانى فى الجيش(٥). كما استحدث دقلديانوس العديد من المناصب العسكرية كقائد القطاع الحدوديpraepositus Limitis (٦) كما حاول ترتيب الليمتانى وذلك بإنشأه قوة مسلحة للميدان حيث إن الوحدات الكبرى المخصصة لتعزيز ومساندة وحدات الحدود قد وضعت في المناطق التي تمر منها خطوط المواصلات (٧) . ونتيجة

---

(١) محمد مرسى، المرجع السابق، ص٤٥

(٢) تشارلز روث، المرجع السابق، ص١٩٩

(٣) رستوفتزف، المرجع السابق، ص٦١٠

(٤) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص٦١٠

(٥) تشارلز روث، المرجع السابق، ص٤٣... السيد أحمد الناصرى، التاريخ السياسى والاقتصادى للامبراطورية الرومانية، ص٥٢٣

(٦) موسى معمر زايد، المرجع السابق، ص١٤٨

(٧) طلال المهتار، التاريخ العسكرى ، دار أفراء، بيروت ١٩٩٥، ص٦٧

لفقدان القوات الرومانية لروح المقاومة اللازمة لإقرار الأمن لعدم وجود عاطفة الولاء لدى القبائل التى جند منها بعض الجنود، فقدأجبر أحفاد الجنود على الحدود أن يرثوا وظائف آبائهم(١). ومن أجل تنظيم الدفاع عن المناطق الحدودية، وتسهيلاً لحركة هذه القوات قام دقلديانوس بتنظيم قوات الفرسان والمشاة ودمجها في قوة واحدة تحت قيادة واحدة، ونلاحظ في جيش دقلديانوس أن قسماً كبيراً منه كان من القبائل الجرمانية، وقد حدث في بعض الأحيان أن تولى الجرمان قيادة الجيوش الرومانية، بل وارتقوا في الوظائف حتى أصبحوا قادة. كما اعتمدت الدولة على زيادة عدد القوات عن طريق نظام التجنيد، وذلك إما بإجبار الأبناء أن يرثوا الإباء فأصبح أبناء الجنود جنوداً في خدمة الدولة، أو كان لزاماً على مالكي العقارات أن يقدموا للدولة جنوداً يختارونهم من بين أبناء الطبقات الدنيا، وعندما أُجبر مُلاك الأراضى على تزويد الجيش بالجنود كان ذلك يقع على عاتق

الفلاحين، الذين غالباً ما يتعرضون إلى عمليات الأسترقاق والبيع من قبل ملاك الأراضي، في حالة عدم مقدرتهم على دفع المال اللازم كتعويض عن الجنود المطلوبين لأداء الخدمة العسكرية[٢]، أو كان عليهم أن يدفعوا مالاً، لأن الدولة بهذا المال تستطيع أن تجند الشعوب التي تحيط بالإمبراطورية، لأنها تستخدمهم في محاربة البرابرة الآخرين، كما أنها لا تخشى من تمردهم على الإمبراطور [٣].

وخلال القرن الثالث الميلادى قام بعض الأباطرة ببعض الأعمال التى ساعدتهم فى استمرار ولاء الجيش لهم، منهم على سبيل المثال الإمبراطور سبتيموس سفيروس الذى سمح للجند الزواج خلال الخدمة العسكرية، بل وأجزل لهم العطاء، كذلك قام

---

[١] أحمد انديشة، التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث، ص٢٣٥

[٢] موسى معمر زايد، المرجع السابق، ص١٤٨

[٣] اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٤٥٥ص٥٤٥

دقلديانوس بذلك عندما أصدر مرسوم الأسعار الشهير حيث ذكر فى هذا المرسوم الجندى ولم يذكر به أحداً من طوائف المجتمع الأخرى، حيث قال"...**حتى يضطر الجندى الى دفع مرتبه كله، وإعانة الحرب لشراء سلعة واحدة...**" [١].

ج- الأسطول

لم يهتم الرومان بالأسطول نظراً لعدم وجود قوة منافسة لهم داخل البحار فى هذه الفترة، وكذلك كانت جميع حملاتها العسكرية تتم عن طريق البر، كما أنها لم تتعرض للغزو أو مهاجمة الحدود من ناحية البحر، ولذا تولى قيادة الأسطول فى بعض الآحيان طبقة العبيد المعتقين[٢].وقد استخدم الرومان سفنهم فى الرحلات التجارية ، وخاصة نقل القمح من مصر وشمال افريقيا، وقد ظهرت لديهم بعض القوارب الصغيرة الخاصة بالملاحة النهرية مثل نهرى الراين والدانوب، أما السفن الكبيرة فاستخدمت فى حماية

تجارتهم داخل البحار، مثل البحر الأسود وبحر المانش ، بعد السيطرة على بريطانيا وتحويلها إلى ولاية رومانية[٣] .

وقد تنبه دقلديانوس الى أهمية الأسطول خاصة بعد هجمات القبائل الأوروبية على الإمبراطورية عندما استطاع القوط الوصول الى البحر الأسود وهاجموا بيثينيا وبعض المدن الأخرى، فقام بتقسيمه الى مجموعات صغيرة سهلة الحركة ، وتتخذ ميناءً معيناً قاعدة لها ، وتقوم بحراسة منطقة معينة فقط، وهذا يدل على تعرض الإمبراطورية إلى هجمات متعددة عن طريق البحار والأنهار ، وكذلك اتساعها الأمر الذى جعل من

---

[١] تشارلز روث، المرجع السابق، ص٢٠٠... ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٦٤ص٣٦٥

[٢] تشارلز روث، نفس المرجع، ص٥٣

[٣] المرجع نفسه، ص٥٤

الصعب حراستها من خلال تواجد الأسطول فى مكان واحد بالاضافة الى تعرض التجارة البحرية إلى عملية القرصنة[١] .

د- طريقة التسليح .

أما نظام التسليح فقد ظهر لدى الرومان الترس الكبير، والدرع المعدني، واستخدم السيف والخنجر والقوس والدرع الجلدي، وقد تسلح الفرسان بالأقواس الكبيرة وهذه الأخيرة عرفت لدى الفرس، وقد أُلبس الرجال والجياد في بعض الأحيان دروع من الحديد[٢] .كما ظهرت عند الرومان العديد من الأسلحة الثقيلة، التى تحملها مجموعة من الفرسان، بالاضافة الى الرماة الذين ظهرت عبقريتهم أثناء حرب روما مع الفرس[٣] . ومع مرور الزمن طور مهندسو الرومان أسلحتهم، فظهر المنجنيق، وهو ألة لرمى الحجارة الكبيرة ويستخدم أثناء حصار المدن[٤].

`

(1) تشارلز روث، المرجع السابق، ص٥٤

(2) اندرية ايمار، المرجع السابق،ص٥٤٦

(3) تشارلز روث، المرجع السابق، ص١٩٢

(4) المرجع نفسه، ص١٩٣

ثالثاً:-الإصلاحات الإقتصادية:

لتحقيق الرخاء الاقتصادي لابد من توفر ثلاث مقومات أساسية ،وهى الحكومة المستقرة ،والسلم الداخلي، وتوفر النقد، وهذه الأسس التي أنشأها أغسطس انتهت بانتهاء الأسرة السفيريه سنة٢٣٥م [1]. وقد تدهورت الحالة الاقتصادية في القرن الثالث نتيجة لغزوات الشعوب المحيطة بالإمبراطورية، ومما زاد في سوء الأحوال الاقتصاديه الإضطرابات والفوضى الداخلية، وتمرد الجيش .حيث أدى ذلك إلى تعطل مصادر الإنتاج، وقلت البضائع المستوردة وأرتفعت الأسعار ،وظهر نظام التعامل بالمقايضة بدلاً من التعامل بالنقد [2]. وبعد أن أكمل إصلاحاته الإدارية اتجه لإصلاح الأوضاع الاقتصادية، من أجل توفير لقمة العيش وفرض الضرائب من أجل توفير رواتب عمال الجهاز الإداري ورجال الجيش . ومن هنا وجه اهتماماً خاصاً نحو الحالة الاقتصادية المتردية والمتدهورة في الإمبراطورية[3]، ولذا قام بعدة إصلاحات اقتصادية منها .

أ- سيطرة الدولة على الموارد الأقتصادية .

في هذا المجال حاول الامبراطور وزملائه أن يجدوا حلاً للمشاكل التي نتجت عن الانحلال الاقتصادي، الذي مرت به الإمبراطورية، فقرروا وضع قانون يمكن الدولة من السيطرة على مواردها الاقتصادية ويقضى على مبدأ العرض والطلب الذى كان له دور فى أرتفاع الأسعار في جميع أرجاء الإمبراطورية، حيثُ لم يجد الفقراء ما يسدون به رمق عائلاتهم . فقامت الدولة بتوزيع الطعام في الأسواق مجاناً في بعض

[(١)] ج، هـ، ستيفنسون، تاريخ العالم ((النشاط التجاري في العالم .الروماني)) مج٤،مؤسسة النهضة المصرية، الاسكندريه، د ت، ص١٢٥

[(٢)] صبيح مسكونى، المرجع السابق، ص٥٩

[(٣)] باركلاف، المرجع السابق، ص٩٣

الأحيان، وأوجدت منشآت عامه لتوفير فرص عمل للعاطلين عن العمل، وفرض على التجار وأصحاب السفن على الأشتغال بالتجارة تحت إشراف الدولة مع ضمانها لهم ولإرباحهم[(١)]. ومنعت تصدير الملح والحديد والذهب وحرصت على استيراد كميات منه إلى الداخل، بالإضافة إلى الخمر وزيت الزيتون ، وقد وضعت الكثير من الأراضى الزراعية تحت سيطرة الدولة، حيث بسطت سيطرتها على جزء هام من هذه الأراضى وسخرتها لدعم الاقتصاد، وتوفير الحبوب اللازمة لتمويل الجيش، والحملات العسكرية، وكان من أهم تلك الأراضى أراضى الحدود ، والتى منحتها للجنود لزراعتها، وكان انتاجها يمثل المرتبات التى تصرف لهؤلاء الجنود، بينما تركت ما أمتلكتة الطبقة الأرستقراطية من أراضى تحت تصرفها نظراً لما كانت تتمتع به هذه الطبقة من نفود داخل الإمبراطورية، ولكنها منعتهم من بيعها وإذا حدث ذلك فإنه يشترط على البائع أن يبيع الأرض ومن عليها من عبيد حتى لاتزيد نسبة البطالة، أو يؤدى ذلك إلى هروب الأيدى العاملة فى الزراعة، وكذلك سيطرت على فروع الصناعة والتجارة لتوفير حاجيات

المدن والجيش[٢]، وفرضت على بعض الصناعات التى تهم الدولة ورجال الجيش والبلاط نسب معينة تحددها الدولة، مثل صناعة الخمر والخبز. ونتيجة لهذه الأعمال التي قام بها دقلديانوس– ومن قبله أورليان الذى قام بعدة إصلاحات اقتصادية– سيطرت الدولة على النواحى الاقتصادية، بحيث جعل النقابات والعمال خاضعين الى إشراف الدولة [٣]، وخضعت جميع الفئات المهنية مثل الخبازين إلى نظم مُفصله وضعتها الحكومة [٤] .

---

[١] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٦٣

[٢] المرجع نفسه، ص٣٦٣

[٣] السيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ، ص٥١٨

[٤] ول ديورنت، المرجع السابق، ص٣٦٣

ب–تنظيم الضرائب .

عندما تمت سيطرة دقلديانوس على شئون الإمبراطورية قام بالبحث عن إجراء من أجل المحافظة على ولاء الجيش، وحماية الإمبراطور والإمبراطورية [١]. وبما أن الدولة أصبحت غير قادرة على القيام بأعبائها المالية، إلا أنها كانت ملزمة بتسديد رواتب جنودها فلجأت الى فرض نظام ضريبى صارم لايستطيع أحد أن يفلت منه[٢] .فعمل دقلديانوس على تنظيم الضرائب، ففرض ضرائب تجبى كل سنة، كما كانت تحسب إيراداتها سنوياً من أجل توزيع هذه الإيرادات على الأقاليم الإدارية بالتساوي ،كما فرض ضريبة أخرى تعرف باسم الضريبة الشخصية أو(الأعناق)، وسميت بهذا الأسم لأنها تجبى على عدد أفراد الأسرة، وتجبى كل خمسة عشر سنة مرة، بعد أن كانت كل خمسة سنوات، والغرض منها هو إيجاد نوع مادي موحد للفلاحين، وكانت تقدر على مساحة الأراضي وما عليها من أشجار ومواشي وأيدي عاملة، وفى حالة الأراضي عرفت هذه الضريبة باسم اليوجوم[٣] iugum* ، وضريبة تجبى بحسب جنس الأشخاص وهذه الضريبة تعرف باسم (الرأس) وقد عُومِلت المرأة على أنها نصف رأس[٤] .وكانت الضرائب

`

الشخصية قد سبقها حصر شمل جميع الأراضي الزراعية فى الإمبراطورية، وتحديدها حتى يتم تقدير قيمة الضرائب التى ستجبى منها بطريقة

(1) بارو ،المرجع السابق .ص١٧٨

(2) دونالد ددلى .المرجع السابق.ص٣٤٤

(3) هـ.ايدرس بل ،مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.ط٢،ت.عبد اللطيف احمد على ،دار النهضة العربية .بيروت ١٩٨٨ ص١٥٢

* اليوجوم وحدت قياس للاراضى في جميع الامبراطوريه باستثناء مصر حيث كانت وحدت القياس بها هي ارورا و الارورا تساوى ٢٧٥٦متر مربع. أما اليوجوم فيساوى نصف هكتار اوأقل قليلاً .

(4) اندريه ايمار،المرجع السابق .ص٥٧٤

عادلة دون الأضرار بأحد دون الآخر[1]، وكانت الضريبة الشخصية تتفرع منها رسوم أخرى تعرف بالعينية، من أجل تموين الجيش، والمدن الكبرى. وقد أمر دقلديانوس أن تجبى جميع الضرائب عيناً بسبب تدهور العملة في ذلك الوقت[2]، كما أمر رؤساء البلديات بنقل هذه الضرائب من الولايات إلى مخزنها الأخير فى عاصمته وعواصم شركائه، وقد تعسف في التعامل مع جباة الضرائب عندما فرض عليهم تعويض النقص فى كمية الضرائب من أموالهم الخاصة. ونتيجة لحاجة الدولة للموارد النقدية فقد أبقت على بعض الضرائب القديمة، على الرغم من فداحتها، وأرتفاع قيمتها ومعدلها .

وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات، ومحاولة تنظيم الضرائب إلا أن فرض ضرائب جديدة والحرص على الدقة في جبايتها ،قد أدى الى ارتفاعها على عهودها الأولى، ولهذا نجد أن العاملين على جمع الضرائب لم يجدوا بداً للتخلص من فداحة هذه الضرائب إلا بالهروب خاصة بعد أن كان عليهم أن يسدوا بأنفسهم أي نقص في حصيلة الضرائب التى أوكلت إليهم جبايتها[3]، فأنشأت الدولة قوة خاصة للبحث وتقصي الحقائق عن أراضى وأملاك الهاربين، بل ووصلت إلى حد تعذيب الشيوخ والأطفال والنساء للكشف

عن هذه الأملاك سواء للعاملين على جبايتها أو المفروضة عليهم .وقد كان الهروب من فداحة الضرائب من الأمور التي انتشرت في الإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادي، وزادت نقمة الناس من فداحة هذه الضرائب المفروضة عليهم ،وخاصة ضريبتي الأرض والرأس[٤]. ومما لاشك فيه أن الذى حمل دقلديانوس على ذلك هو حرصه على ضمان ورود الأموال والطعام إلى

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق زص٢٢

[٢] رستوفتزف،المرجع السابق .ص٦١٩

[٣] دونالد ددلى ،المرجع السابق .ص٣٤٤

[٤] ادوارد جيبون ،المرجع السابق ،ص٢١٦

الجيش، والمدن الكبرى بصورة منتظمة[١].

ج-إصلاح العملة:-

نتيجة لكثرة الحروب التي واجهتها الإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادي، وما نتج عن هذه الحروب من نفقات، لجأ العديد من الأباطرة إلى سك عملات كثيرة ،وذلك من أجل دفع رواتب الجند ، ونتيجة لكثرة هذه المسكوكات، ومحاولات الأباطرة المستمرة في تخفيض العملة تخفيضاً منظماً، تدهورت قيمة العملة[٢] . ومن أشهر الأباطرة الذين حاولوا تنظيم العملة أورليان ،حيث أراد إعادة النقد إلى وضعه الطبيعي، ولكي يوقف تضخم الدينار أمر بتخفيض قيمته من ثمانية سسترتيكيسSestreteivs إلى سسترتيكيس واحد ، من أجل الموازنة بين قيمة الدينار والأسعار، كما أمر بفتح دار سك نقود مركزية يشرف عليها مجلس الشيوخ، لكى يقضى على استقلال الولايات فى مجال سك العملة[٣] .وبما أن العملة وقيمتها لها أهمية في اقتصاد الدول ، فقد أولاها دقلديانوساهتماماً خاصاً بعد أن رأى أنها تدهورت ولم تُعد صالحة للتعامل ،ومن أجل تقدير قيمة الضرائب نقداً بعد إن كانت عيناً، ولمنع التضخم قام بوضع نظام نقدي سليم ثابت ،وذلك بإستصدار

قراراً يتعلق بإغلاق دور سك العملة المحلية في الولايات ،وركز على سك عمله موحدة لكافة الإمبراطورية[٤] .وقد جعل للعملة الذهبية وزناً وعياراً محدد احتفظت به الإمبراطورية الشرقية حتى سقوطها في أيدى الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م (شكل٥)[٥].

[١] ول ديورانت ،المرجع السابق ،ص٣٦٧

[٢] رستو فتزف،المرجع السابق .ص٦١٧

[3] Mattingly Harold , Roman coins from the earliest times to the fall of the western empire, london1960, p192

[٤] السيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى،ص٥١٧ ص٥١٨

[٥] ول ديورانت ،المرجع السابق.ص٣٦٢

كما قام بسك عملة جديدة، وصحيحة حازت ثقة التجار والمتعاملين بها من جهة، وبها حددت كميات البضائع المتداولة من جهة ثانية، وسُعرت بها الحاجات الأساسية، والأولية وقيمة الأجور من جهة ثالثة[١] . كما ضُربت عملتان أحداهما فضية والأخرى ذهبية ،وقد عرفت العملة الذهبيه باسم الأوراس Auraus [٢]، وتزن القطعة الواحدة من الأوراس ١/٦٠ من الرطل ،والأوراس يساوى خمساً وعشرون قطعةً فضية ،أو مائة قطعة برونزية كبيرة Sestertii (سسترت)[٣]. والعملة الفضية ضربت بأوزان مختلفة وتبدلت نسبة النحاس بين العملتين لصالح العملة الذهبية[٤] ،مع الاستمرار في التعامل بالعملة القديمة بعد أن أُدخلت عليها التعديلات حتى تتمشى مع النظام الجديد للعملة التي كان الهدف منها هو وقف تدهورها الذى ساد في القرن الثالث الميلادي[٥] .

د- قانون الأسعار.

عندما تولى دقلديانوس الحكم، كانت الأسعار قد وصلت حداً من الارتفاع جعل الفقراء في الدولة لا يستطيعون أن يحصلوا على قوتهم وقوت أسرهم مع ارتفاع الضرائب نتيجة لنظام الاقتصاد الحر. الأمر الذى دفع بعض السكان إلى هجر البيوت والهروب

إلى خارج حدود الإمبراطورية .وهذا مادفع الدولة الرومانية إلى السيطرة على كافة الانشطة الاقتصادية من تجارة وصناعة ، وزراعة حتى تستطيع أن تخفف من حدة إرتفاع الأسعار، ويعم الرخاء كافة طبقات المجتمع الروماني في ذلك الوقت.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق .ص٢٣

(٢) م.ت،تشارلز ورث ،المرجع السابق ،ص١٩٨

(٣) عبد اللطيف احمد على ،مصادر التاريخ الروماني ،دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٠ص١٤٢ ؛ تشارلز ورث ،المرجع السابق .ص.١٩٨

(٤) أندريه ايمار،المرجع السابق ،ص٥٩٥

(٥) مصطفى العبادى ،المرجع السابق ،ص٢٤٤

ولم يكن في استطاعة الدولة أن تسيطر على كل هذه الأنشطة دون تحديد الأثمان وأسعار المنتجات ،ولذا أصدر دقلديانوس وزملائه سنة ٣٠١م لائحة تتضمن الحد الأعلى للأسعار[١]، وقد جاء في هذا المرسوم مايلى "**من ذا الذي ...خلا قلبه من العاطفة الانسانية فلا يرى أن أرتفاع الأسعار ظاهرة عمت أسواقنا...لقد عم الشره جميع العالم ...فحيثما اضطرت جيوشنا للذهاب لتأمين الناس ...رفع الجشعون الأثمان وزادوه إلى الحد الذى تعجز الألفاظ عن وصفه، حتى لقد يضطر الجندي إلى دفع مرتبه كله وإعانة الحرب في شراء سلعة واحدة** "[٢]. وابتداء من هذا المرسوم أصبحت الدولة هي التي تقدر الأجور والأسعار .بل أرسلت إلى جميع اقاليم الإمبراطورية مراقبين للطوائف المهنية مثل الخبازون، والجزارون [٣]. وقد أوضح دقلديانوس الأسباب التي دفعته إلى إصدار هذا القانون منها إرتفاع الأسعار بشكل لايمكن تقديره ،وكذلك محاولة القضاء على الازمه الاقتصاديه التي سببها تدهور العملة[٤] . وقد شمل هذا القانون تحديد كافة الأسعار، والأجور لجميع السلع المختلفة مثل اللحوم والفواكة والخضروات ، وأنواع المنسوجات ابتداءً بالملابس الصوفية وأنتهاء بالحريرية، والكتابة ولوازمها، وحتى قص

الشعر حدد أجره ![5]، وفرض عقوبات تصل إلى حد تعذيب وقتل كل من يخالف قانون الاسعار هذا[6] .ومن خلال هذا المرسوم نجد أن دقلديانوس لم يغفل عن جميع الأمور في الدولة، سواء أكانت هذه

(1) السيد أحمد الناصري ،تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى، ص٥٦٤

(2) ول ديورنت ،المرجع السابق ص٣٦٤ص٣٦٥

(3) جيمس هنرى برستد ،المرجع السابق ، ص٦٣٩

(4) وليام لانجر، المرجع السابق ،ص٣٢٦

(5) السيد أحمد الناصري ،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ،ص٥٦٥

(6) محمود عمران ،المرجع السابق،ص٢١

الأمور كبيرة أم صغيرة . وعلى الرغم من حرص دقلديانوس على تطبيق هذا القانون إلا أنه لم يستمر في تطبيقه، حيث تم سحبه، أوالتغاضي عن العمل به بسبب إخفاء التجار للسلع من الأسواق فزاد الطلب مما أدى إلى ارتفاع الأسعار بدلاً من الحد منها، وقد أدى هذا إلى الخروج فى مظاهرات تطالب بإلغاء هذا القانون . وعلى الرغم من إخفاق دقلديانوس في تطبيق هذا القانون إلا أنه يعتبر أعظم وثيقة تاريخية تتعلق بالقوانين الاقتصادية[1] .وعلى الرغم من محاولة دقلديانو، والأباطرة من قبله إصلاح الوضع الأقتصادي المنهار، إلا أنه بقى مضطرباً، ومعتمداً على النظام البدائي .

(1) ول ديورنت ،المرجع السابق ص٣٦٥

رابعاً:-الإصلاحات الاجتماعيه والدينية.

١-الإصلاحات الاجتماعيه.

أدت إصلاحات دقلديانوس الإقتصادية، وفرض ضرائب جديدة وتنظيمها إلى هجر السكان ،ومنهم الفلاحين للأراضي خاصة بعد إن كانوا قد عجزوا عن دفع الضرائب ،فكان الهروب من مكان إلى آخر سمة مميزة للفلاحين ،فإذا ما ضطهد الفلاحين في هذا المكان بحثوا عن مكان آخر ،وقد وجدت الكثير من الوثائق التي تتحدث عن عزم وتهديد الفلاحين بالفرار إلى مواطن أخرى إذا لم تستجب الحكومة إلى مطالبهم ورغباتهم [1] .

ومن النتائج التي خلفتها الإصلاحات الاقتصاديه على الوضع الاجتماعي أنها قضت على رؤوس الأموال ،بسبب ثقل الضرائب والمطالب التي كانت تنهال عليهم مثل، إمداد الجيش بالمؤن الأمر الذى أدى إلى تحسين أحوال الجند على حساب باقي
الشعب، الذى قل مستوى المعيشة لديه. ومن الأمور التي تدل على تفكك الوضع العام ، وانهيار الحالة الاجتماعية في هذه الفتره ، تلك الأسئلة البسيطة المدونة على أوراق البردي، ولكنها تدل إلى أي مدى وصل مستوى المعيشة من الأنحطاط وحالة الفقر التي

كان يعاني منها السكان، ومن هذه الأسئلة " **هل سأتزوج؟هل سأبنى بيتاً ؟ هل سأتقاضى مرتباً ؟.. الخ** " [٢].

كما أدى نظام السخرة الذى اعتمدته الدولة من أجل توفير المال اللازم ، وما فرض على الأفراد من خدمات كثيرة إلى الهجرة أيضاً ،وكان نظام السخرة قد خفف نفقات الدولة ، ولكنه لم يخفف من عبء الضرائب على كاهل المواطنين [٣] .ولذا ارتبطت

[١] رستو فتزف، المرجع السابق.ص٦٢١

[٢] بارو، المرجع السابق، ص١٧٦

[٣] اندريه ايمار، المرجع السابق،ص٥٧٤

الحالة الاجتماعيه في هذا العهد بالحد من خطر الهروب من الوظيفة، فاستخدم نظام الوراثة في الوظائف حتى يستمر العطاء من قبل السكان للدولة[١]، وقد اتبع دقلديانوس نفس الطريقة التي اتبعها أورليان من قبل، وذلك بإجبار المواطن الروماني أن يلتزم بمهنة أبيه مهما كانت هذه المهنة سواء أكان مالك أرض، أو جندي على الحدود [٢]، مع المحافظة على النظم والقوانين التي كانت تطبق في النقابة التي يشتغل بها أبيه، مع الإهتمام بالتزاماتة نحو الدولة ،وإذا حاول الفرار أُعيد إلى عمله مرغماً مهما بلغت خسارته الشخصية [٣] .

وقد انقسم المجتمع الرومانى إلى العديد من الطبقات الاخرى منها .

أ-الأشراف وموظفى الدولة :-

يعتبر الأشراف وموظفى الدولة أقوى طبقة في المجتمع الرومانى ، وكانوا يمثلون السلطة وحاشية الإمبراطور بالأضافه الى الأثرياء والوجهاء من الموظفين، وكبار الملاك الزراعيين[٤] ،وقد سكنت هذه الطبقة المدن. ولم يكن الانضمام إلى هذه الطبقة مسموحاً به، بسبب الإقطاعيات والمصادرات التي كانوا يحصلون عليها خلال أزمة القرن الثالث الميلادي ، ومن أبرز من أرتقى إلى هذه الطبقة وحدة الفرسان. ونتيجة لتدفق الثروات،

ورفع الضرائب عن بعض الطبقات يمكن لفرد من الطبقات المتوسطه أن يصبح ضمن أعضـــاء مجلـــس الشـــيوخ الرومـــاني. وكـــان لهـــؤلاء الأشـــراف عـــدة

(١) أندريه ايمار ،نفس المرجع ،ص٦٠٣

(٢) شارل أندريه جوليان،تاريخ أفريقيا من البدء حتى الفتح الاسلامى ،ت محمد مزالى ،البشير بن سلامه الدار التونسية للنشر ،تونس ١٩٨٥،ص٢٧٢

(٣) بينز نورمان ،الامبراطوريه البيزنطية،ت حسين مؤنس، محمود زايد، الدار القومية للطباعة والنشر،الاسكندرية د ت، ص١ ص٨

(٤) عمر ممدوح ،الموجز فى القانون الرومانى .ج١.دار الثقافة .الاسكندرية ١٩٥٣.ص١٢١

امتيـازات تميزهم عن غيرهم، كالإعفاء من الضرائب ونظام السخرة ، كما انهم كانوا يتولون المناصب العليا في الدولة (١) .كما انظم الى هؤلاء كبار التجار أصحاب السفن ومُلاك الأراضى الزراعية (٢).

ب-الطبقة العامة.

وقد عرفت هذه الطبقة في تلك الحقبة باسم Circoncellions(**أى العمال المتنقلين**) وهم الذين ينتقلون من مكان إلى آخر لقطف المحاصيل في بساتين الدولة، مقابل الأجور الزهيدة التى تدفع لهم، بل واستخدمتهم فى نظام السخرة أيضاً، وتزداد حالتهم سوءاً في بعض الأحيان، مما جعلهم يثورون على الأشراف، ويساندهم في هذه الثورة أي عنصر مناهض للرومان ،كما يساندهم العبيد الذين كرهوا ملاك الأراضى

بالأضافه إلى هؤلاء العمال نجد الفلاحين الذين لم تستطع الدولة في هذه الفترة من السيطرة عليهم إلاعندما ربطت مصير الفلاح بالأرض (٣)، وقد عاشوا تحت حماية كبار المزارعين في حالة بين الحرية والرق ،بالإضافة إلى هؤلاء الصناع والعمال في المدن .وقد سكن العمال المدن ،أما الزراع فقد سكنوا القرى (٤) .

ج- طبقة العبيد .

كان الرق نظاماً أساسياً في حياة الأمم القديمة، لدرجة أن أرسطو يقرر في كتابه السياسة بأن الرق نظام ضروري في حياة الدول(٥)، والمجتمع الروماني مثله مثل

(١) أندريه ايمار ،المرجع السابق. ص٦٠٦ .ص٦٠٧

(٢) عن هؤلاء ينظر...احمد انمديشة ،الحياة الأجتماعية فى المرافئ الليبية الغربية وظهيرها فى ظل السيطرة الرومانية ،رسالة دكتوراه لم تنشر ، جامعة عين شمس ، القاهرة ٢٠٠٠،ص٧٩ ص٨١

(٣) أندريه ايمار ،المرجع السابق. ص٦١١

(٤) عمر ممدوح ،المرجع السابق.ص١٢٢

(٥) صلاح مصطفى النوال، سوسيولوجيات الحضارات القديمة، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٢، ص١٢٤

المجتمعات الأخرى وجد به العبيد لخدمة السادة والموظفين والملاك الكبار وقد تحصل الرومان على العبيد من خلال أسرى الحروب ،وخاصةً الشعوب الأوروبية التي حاولت أن تهاجم الامبراطورية في أزمة القرن الثالث الميلادي أو كانوا من الأرقاء منذ الولادة، حيث يعتبر كل من ولد من أم رقيقة فهو رقيق حتى وأن كان أبوه حراً، أما من كان أبوه رق وأمه حره فهو حر، لأن الأولاد مرتبطون بالأم.

كما أن القانون الروماني لايعتد بزواج الأرقاء والأجانب المقيمين في روما لاتربطهم بروما معاهدة حتى لو أصبحت لهم حقوق المواطنة (١). وكثيراً ما استخدم العبيد إما في الترفيه عن الجمهور في المسارح الدائرية من خلال المعارك التي كانت تقام بينهم أو في أعمال السخرة التي تستخدمها الدولة من حين إلى أخر.

وقد وجد الكثير من العبيد فى الإمبراطورية الرومانية، حتى أن البعض منهم كان يجتمع فى بيته عدد كبير منهم ، وعلى الرغم من أن القانون الرومان كان قد فرض عدم بيع الأراضى دون العبيد المشتغلين بها، وعدم أمتهان كرامة العبيد إلا أن البعض من العبيد لم يكونوا يلقون معاملة حسنة من ساداتهم، ففى حين نجد من يعامل عبيده معاملة رقيقة بل وسمح لهم فى بعض الأحيان بالجلوس الى جانبه على موائد الطعام من أمثال

لوكيليوسLucilius، نجد النقيض من ذلك، حيث كان يأمر أحد السادة عبيده بالوقوف حول مائدة الطعام ومن يتكلم أو يتحرك يتعرض للضرب، ولهذا تذوق العبيد في بيوت بعض السادة الكثير من أصناف العذاب والجلد[٢] . ومن الأنظمه الأجتماعية ذات الطابع الثقافى والفنى التي أنتشرت بين المواطنين داخل الأمبراطورية في هذه الفترة نجد التعليم وفن البناء .

---

[١] عمر ممدوح ، المرجعالسابق.ص١٥٢.ص١٥٣

[٢] تشارلز روث ، المرجع السابق، ص٨٨

الجانب الثقافى والفنى .

١ -التعليم:-

اهتمت الامبراطورية بالمدارس ،وتعليم الأطفال القراءة والكتابة، وأختيار المعلمين .وكان اختيار المعلم يرتبط بحالة الأسرة المادية فالأسر الغنية جلبت لأبنائها معلمين خاصين بهم ،أما الاسر الفقيرة فالدولة هي التي أهتمت بإحضار المعلمين لأطفالها، وحددت مرتب أساسي للمعلم مع الضرائب الدراسية المفروضة على التلاميذ .ولذا نجد أن المنافسة بين الأسر والمدن أيضاً اخذت تشتد من أجل إحضار المعلم المناسب [١] . وبلغ من اهتمام دقلديانوس بالتعليم أنه وجه الدعوة إلى الكتاب بالحضور إلى نيقوميديا للإهتمام بالتعليم داخل عاصمته الجديدة حتى يشجع الناس على الهجرة اليها ، ومنع سكانها من الخروج منها وهجرانها من أمثال أرنوب وفلافيوس الأفريقيين [٢].

وكانت لغة العلم فى الإمبراطورية اللغتين اللاتينية والاغريقية، وزاد الاهتمام بتعليم اللاتينية فى الشرق، بل وأصبحت هى اللغة الموحدة بين رجال الجيش وقد كتبت بها الأحكام والنقارير الرسمية، أما في الغرب فأهتم الرومان باللغة الإغريقية [٣] ، وعلى الرغم من التباين بين الشطرين في استخدام اللغة نجد أن الرومان قد استخدموا في مختلف

العصور اللغتين معاً الإغريقيه بوصفها لغة العلوم والحضارة ، واللاتينية بصفتها اللغة الرسمية للدولة ، ولهذا نجد أن الكثير من الرومان يجيدون اللغتين في

[1] عامر سليمان ،احمد مالك الفتيان ،محاضرات فى التاريخ القديم .مركز البحوث الاثارية والحضارية، د ت.الموصل .ص٤٨٦

[2] رومنقتن ، المرجع السابق ،ص١٥٤

[3] اندرية ايمار،المرجع السابق .ص٦٣٨

كافة الولايات [1]. وخلال هذه الفترة نجد أن الخطباء والبلغاء والمعلمين وعلماء اللغتين الاغريقية واللاتينية قد قد عوملوا كطبقه متميزة، بحيث تم إعفائهم من الضرائب. وعلى الرغم من أن الدولة قامت بتخفيض مرتبات المعلمين إلا أنها عملت على تثبيتها من خلال البلاغات والمراسيم [2] .

٢ – *فن البناء :–*

اهتمت الإمبراطورية بفن البناء والتشييد فشيدت المسارح، والمسارح الدائرية، والحمامات العامة، وعلى الرغم من أن اضطرابات القرن الثالث قد أثرت في فن البناء إلا أنها لم توقفه، فقد أنشئت العديد من المباني، وزاد اهتمام الأباطرة بها من أمثال الإمبراطورين جورديانوس الثالث، وأورليان. ومن أشهر الحمامات في هذه الحقبة حمامات دقلديانوس في روما، التي تجاوزت مساحتها ضعف مساحة حمامات كراكلا خمسة عشر مرة. كما انتشرت الحمامات والمسارح والقصور في عواصم الأباطرة الأربعة، ومن أشهر القصور قصر دقلديانوس الذى قضى فيه أواخر أيامه ، والذي ما تزال أطلاله باقية حتى الآن تدل على فخامته وهو موجود في مدينة سبالاتو على شاطئ الادرياتيك (شكل ٥) [3].

(1) جمعه البشير الحراري ،الحياة ألاجتماعيه والمعتقدات الدينية في ولاية أفريقيا البر وقنصليه ٣١ق م_٢٨٤م ،رسالة ماجستير لم تنشر .٢٠٠٤.ص٢٦٥

(2) رومنقتن ،المرجع السابق،ص١٥١

(3) أندريه ايمار ،المرجع السابق.ص٦٤٨

٢ –الإصلاحات الدينية:

تحدثنا في السابق عن الديانة لدى الرومان، والديانات التي انتشرت بين الرومان في زمن الفوضى والانحلال، منها الديانة اليهودية والمسيحية، وعلى الرغم من أن الرومان لم يضطهدوا هذه الديانات في البداية، إلا أنهم وقفوا منها موقفاً عدائياً فيما بعد، واضطهدوا أتباعها بشكل عنيف . فلماذا وقفت الدولة الرومانية هذا الموقف العدائي من هاتين الديانتين على الرغم من موقف اللين والعطف مع الديانات الوثنية الأخرى ؟ يرجح بعض المؤرخين بأن عامل التوحيد في هاتين الديانتين كان غير مقبول لدى الرومان الوثنيين ، الأمر الذي دفعهم إلى أن يطلبوا من أصحاب هاتين الديانتين أن يعبدوا الآلهة التي يعبدوها فكيف وهم يؤمنون بإلهة أخر غير التى يعبدها الرومان[1] . لم يعر الرومان الديانه المسيحية أى أهتمام في بداية الأمر ، وهو ما ساعد على إنتشار هذه الديانه ، كما أنهم لم يفرقوا بينها وبين الديانة اليهودية ، وأعتبروها فرقة يهودية جديدة ، والمسيحية تتميز عن اليهودية بعدم التساهل الدينى، ولذا أصروا على أن يكون المؤمن المسيحي مختوناً ، ولايمكن لهم الإخلاص بدون ممارسة الإيمان المسيحي[2] . ولكن تبين للرومان بأن الديانة المسيحية أخطر من اليهودية، كما كان المسيحيون فى نظر الرومان يبغضون الجنس البشري، كما أنهم يعتبرون أى فرد مسيحى مسئول عن التبشر بهذه الديانة [3]، وزاد حذر الاباطرة الرومان منها بعد أن زاد انتشارها وعدد معتنقيها في روما

نفسها .ويعتبر انتشار المسيحية من أهم المشاكل التى واجهها الاباطرة خلال القرن الثالث الميلادى بالأضافة الى غارات القبائل

[١] اندرية ايمار ،المرجع السابق ،ص٤١٦

[٢] بيار غريمال ، جاك بيار ميوت ، مارسيل باكر ،رانيه رانيال ، موسوعة تاريخ أوروبا ، أوروبا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر مج١،ط١، منشورات عويدات ،باريس ١٩٩٤،ص٢٢٥

[٣] بارو ،المرجع السابق.ص١٨٦

والفتن والفوضى العسكرية، وظنوا أنهم يستطيعون حل مشكلة المسيحية بالقضاء على معتنقيها باضطهادهم [١].

أ- أسباب اضطهاد الرومان للمسيحيين .

كان من بين الأسباب التى دفعت الاباطرة الرومان الى إضطهاد المسيحيين أنهم كانوا يعقدون الاجتماعات السرية والمنعزلة ،وهذا كان يخالف القانون الروماني الذى يشترط أن تكون الديانات علانية وللجميع، ويحتم على من يعقدون الاجتماعات السرية أخذ موافقة المسئولين عليها، وعلى مثل هذه الاجتماعات وقوانينها الداخلية[٢]. كما أنهم كانوا يرفضون الاشتراك في ألوان الحياة الاجتماعية والعائلية في الإمبراطورية[٣]، ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا هذه الأنواع من وسائل الترفية، واعتبروها نوعاً من أنواع الفجور ،كما لم يشتركوا في عبادة وتقديس الأباطرة وترفعوا عنها [٤]،،بالإضافة إلى هذا كان المسيحيون يشعرون أن كل عمل يومي يسهم في رخاء الدوله ،إنما يسهم في بقاء الوثنية لذا ابتعدوا عن الأعمال التى يقوم بها المجتمع مثل العبادة الإمبراطورية، وتقديم القرابين للألهة التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الرومانى بما فيهم الإمبراطور[٥]. واعتبروا أن الدولة الرومانية هي أساس الحضارة الوثنية، وكان الرومان ينظرون إلى الدين بوصفه جزءاً من العبادة الوطنية، بينما ينظر المسيحي إلى الدين باعتباره أسمى مقاماً من هذا المجتمع، وأنه يدين بالولاء للمسيح

(1) إبراهيم نمير ،زكى على ، أحمد نجيب، مصر فى العصور القديمة ط1، مكتبة مدبولى ، القاهرة 1991،ص233
(2) تشارلز روث .المرجع السابق.ص174
(3) بارو،المرجع السابق .ص187
(4) محمد على عيسى،معالم من الآثار المسيحيه المبكرة في ليبيا مند بداية القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الميلادي ،أثار العرب ،العدد السادس 1993.ص105 ،أندريه ايمار ،المرجع السابق .،ص422
(5) بارو،المرجع السابق .ص187

وليس للقيصر[1]. ومن الأسباب التي دفعت إلى الاضطهاد أيضاً حالة التحريض والعصيان والتمرد التي قادها رجال الدين المسيحيين ضد الرومان الوثنيين في خطبهم وكتاباتهم ومن أشهر هؤلاء ترتوليانوس*،وارنوب** الذى أصدر كتاباً بعنوان **[ضد الوثنية]** هاجم فيه الوثنيين ودافع عن المسيحيين ،كما أن المسيحيين قد رفضوا الخدمة العسكرية والتجنيد لأنه يساهم فى الدفاع عن الإمبراطورية وهذا كما قلنا يساهم فى نظر المسيحيين فى بقاءالوثنية، لذا رأوا عدم الدفاع عن الإمبراطورية أو الأنخراط فى سلك الجندية، ومن الامثلة على رفضهم اللالتحاق بالجندية عندما تقدم المدعو مكسيميليانوس بابنه للخدمة فى صفوف الجيش الرومانى فرفض هذا الشاب الانخراط فى الجندية وصاح قائلاً " **لايمكن أن أخدم الجندية ...أنى مسيحي**" وأثناء فحصه ظل يكرر العبارات فقال" **لن أكون جندياً ،اقطعوا رأسي...لايمكن أن أكون جندياً في دنياكم كما قلت لكم،أنى مسيحي**"[2] .

وهكذا لم تكن المسيحية من وجهة نظر الاباطرة الرومان مجرد دين وعقيدة في مظهرها ،وإنما كانت ذات أفكار ومبادىء تهدف إلى تدمير الجيش والمجتمع وتهدم الأسس والقواعد التي قامت عليها الامبراطورية الرومانية .

ونتيجة لهذه المعطيات وغيرها حاول الأباطرة القضاء على المسيحية باضطهاد

---

(1) ول ديورنت ،المرجع السابق.ص371

* ترتوليانوس. ولد بقرطاج بين عامي ١٥٥-١٦٠م تعلم بها وأتقن اللغتين اليونانية واللاتينية وأحاط بمبادىء الطب وتنصر بسبب حماسه في كل أعماله التي قام بها

** ارنوب.كان خطيباً شهيراً محافظاً ورعاً فاجاء مواطنيه باعتناقه المسيحيه .وقد عبر عن حماسة أثارت ارتياب الأسقف في شأنه. عن هؤلاء ينظر ،شارل جوليان ،المرجع السابق.ص٢٥٨.ص٢٨٩

(٢) شارل أندريه جوليان ،المرجع نفسه، ص٢٨٧

المسيحيين. وقد تم الاضطهاد على أيدي أفضل الأباطرة خُلقاً من أمثال تراجان وهادريان. ولكن ماهى طرق اضطهاد المسيحيين؟ قبل أن نتطرق لأكبر عمليه تصفيه جسدية ودينية عرفها التاريخ يجب أن نوضح أربع حقائق أساسيه ذكرها المؤرخون هي .

اولاً. إن الاضطهاد الذي حل بالمسيحيين لم يقم وينتهي على يد إمبراطوراً واحد ، وإنما كانت هناك عشرة إضطهادات قام بها الأباطرة مابين الاضطهاد الذى قام به نيرون سنه٦٤م، حتى السنة التي صدر فيها الوفاق الديني بين المسيحية والدولة، ونعنى به مرسوم ميلان سنة٣١٣م الذى أصدره الإمبراطور قسطنطين .

ثانياً. إن الاضطهاد بدأ عندما أصدر نيرون مرسوماً إمبراطورياً بأن لا يكون هناك مسيحي في الامبراطوريه الرومانية ،وكانت هذه المراسيم تصدر على نوبات وكانت محليه للغاية (١).

ثالثاً. إن الاضطهاد لم يكن عاماً ،وشاملاً ،ولم يكن لفترات متواصلة ،حتى وإن استمر لفترة طويلة ،وأن الرومان لم يقوموا بالاضطهاد من أجل المحافظة على وثنيتهم بالذات كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين (٢) .

رابعاً. لايمكن لأحد أن يقدر عدد المسيحيين الذين قتلوا في هذا الاضطهاد، ولكن يمكن القول بأن أعدادهم كانت كبيرة مقارنة بعملية الاضطهاد (٣) .

من خلال ماتقدم يبدوا أن اسم مسيحي لدى الرومان دلالة على المشاركة في الأعمال الهدامة ،والممقوتة أشد المقت ،وقد كتب بليني الأصغر(٦١-١١٤م) إلى

(1) بارو ،المرجع السابق.ص١٨٨

(2) محمد على عيسى، معالم من الآثار المسيحية المبكرة في ليبيا،١٠٥

(3) أسد رستم ،المرجع السابق ، ص٣٣

تراجان يسأله هل المسيحى يستحق العذاب لأنه مسيحى، أم يستحقه للأعمال التي يقوم وقد اتبع بليني أسلوب معين لاختبارالمسيحيين، حيث ارسل يقول" **إن الطريقة التي اتبعتها مع من اتهموا بأنهم مسيحيون...وأننى كنت أسأل المتهمين بأنهم مسيحيون ...فقد أفرجت عنهم بعد أن أظهروا .هل انتم مسيحيون ؟ فإذا قالوا نعم أندرتهم بأشد العقاب...أما من أنكروا بأنهم الخشوع والاحترام لصورتكم وقدموا لها البخور .ولأنهم لعنوا المسيح ،وهذا شيء لا يستطيع المسيحي الحقيقي أن يفعله**"[1]، وقد رد عليه تراجان بحسن اتباع هذه الطريقه حيث ان المسيحيين لايمكن البحث عنهم، لأن البعض منهم رفض الاعتراف باعتناقه الديانة المسيحية . ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن الاضطهاد لم يشترك فيه جميع الأباطرة والولاة، ففى حين نرى دقلديانوس وقيصره جاليريوس قد أنزلوا أشد صنوف العذاب بالمسيحيين، إذ نجد بعض الولاة قد استخدموا اللين والعطف مع المسيحيين ، ولاينزلون بهم الاضطهاد إلا بعد الانذار لهم من مغبة عدم الانصياع إلى الأوامر الإمبراطورية ، كما يدلنا هذا النص على أن بعض المسيحيين قد أظهر الخضوع للآوامر وارتد عن الديانه المسيحية بسب شدة الإضطهاد الذى نزل بهم.

بدأ الاضطهاد ضد المسيحيين منذ عهد نيرون ٥٤-٦٨م أثناء حريق روما*،حيث أشارت أصابع الاتهام إلى الإمبراطور بأنه هو المسبب لهذا الحريق، فهو بالأمس يقتل زوجته ،وأمه ،واليوم يحرق روما ،ولكي يبعد التهمه عن نفسه اتهم المسيحيين[2] .

(1) بارو ،المرجع السابق،ص١٨٨

* حدث سنة٦٤ م ويعتبر هذا الحريق أعظم حريق على مر العصور فلم تنجوا من هذا الحريق أثار اليونان والأنصاب التذكارية وأقدس المعابد وأفخم القصور ولم ينجوا من أحياء روما الاربعة عشرة سوى أربعة فقط ،والباقية كشفت عن منظر وحشي وحزين ،وقد شيدت الحكومة المباني المؤقتة لإيواء المنكوبين وفُتحت الحدائق الامبراطوريه للسكان.

ينظر ، صابر طعيمه،الأسفار المقدسة قبل الإسلام ط١ ،عالم الكتاب ،بيروت١٩٨٥،ص٢٢٠

(٢) اسحق عبيد ،المرجع السابق.ص٤٨

ثم توال الاضطهاد حيث اضطهد المسيحيون على أثر ثورة قاموا بها في زمن دوميتيان ٨١-٩٦م ، وقد قتل في هذا الاضطهاد داخل روما العديد من الأشراف. ثم اضطهدوا في زمن تراجان ٩٨-١١٧م، وقد أُعدم الكثير من المسيحيين في بيثينية ومقدونية. وقد اضطهدهم كذلك سبتيميوس سفيروس ١٩٣-٢١١م الذي ارتاب في زيادة المسيحيين بهذه السرعة ،حيث أمر بتحريم التعميد على الرغم من أنه قد اتخذ مربية مسيحية لتربيه أبنة كراكلا(١). وفى زمن ديقيوس ٢٤٩-٢٥١م أمر جميع السكان في الأرياف والمدن أن يمثلوا أمام رجال الدولة ليقدموا الذبيحة للإمبراطور، والألهة الرومانية حتى تساعدهم فى صد هجمات القبائل الأوروبية حسب اعتقاده (٢)، وعندما رفض المسيحيون ذلك جوبهوا باضطهاد عظيم حيث بلغ عدد ضحايا المسيحيين في هذا الاضطهاد حوالي اثنا عشر مليون نسمة ،ومع ذلك استمر انتشار المسيحية، ونتيجة لعنف اضطهاد ديقيوس هذا انهال عليه المسيحيون بالسباب ،ولقبوه بالحيوان النجس(٣). ومما لاشك فيه أن رفض المسيحيين لعبادة الامبراطور الرومانى كانت من بين الأسباب التى أدت إلى أضطهاد المسيحيين، ولذا نشأ صدام عنيف بين الفكر المسيحي الناشئ، وبين التفكير الروماني السياسي بعد أن وجد الأباطرة في المسيحية خطراً يتهددهم(٤) .وهكذا استمرالاضطهاد من إمبراطور إلى أخر، أحدهم يهادن والأخر ينزل أشد العقاب والإعدام أحياناً ،حتى وقع أعظم اضطهاد للمسيحيين على يد دقلديانوس (٥).

(١) ر.هـ.بارو،المرجع السابق.١٨٩

(٢) رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية(العقيدة والسياسة) ج١، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة٢٠٠٠، ص٢٣

(٣) السيد أحمد الناصري،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى .ص٤٩٧

(٤) جوزيف نسيم.تاريخ أوروبا في العصور الوسطي.ص٥٤

(٥) غالب غانم ، القوانين والنظم عبر التاريخ ، دار المنشورات الجامعية، بيروت١٩٩١،ص١٤٧

أثار موقف دقلديانوس من المسيحية جدلاً كبيراً بين المؤرخين؛ حيث إن اضطهاده كان عنيفاً لدرجة لم تكن معهودة من قبل ،خاصة وأنه جاء بعد فترة من السلام والوئام بين الدولة والمسيحية استمرت طيلة أربعين سنة ،واستطاع المسيحيون أن يقيموا شعائرهم الدينية ،بل وأعفى الأشراف المسيحيين من العبادة الامبراطورية خلال فترة التسامح هذه من زمن جالينوس حتى قرار دقلديانوس باضطهاد المسيحيين[١] .ومما يزيد في حيرة الباحثين انه كان في السنوات الأولى من حكمه متسامحاً مع المسيحيين حتى أنه جعل من خاصته مسيحياً[٢]. كما أنه لم يبدأ الاضطهاد إلا في السنوات الأخيرة من حكمه أي في سنة ٣٠٣م ،وقد قتل في هذا الاضطهاد العديد من المسيحيين والأقباط في مصر قتل منهم أكثر من ثلاثمائة ألف مسيحي .حتى أن الأقباط اتخذوا بداية حكمه كبداية لتقويمهم السنوى أي سنة٢٨٤م، وقد أطلق على عصره عصر الشهداء [٣]، وقد رحب الأقباط فى مصر بعد ذلك بل وأستقبلوا العرب الفاتحين بالترحاب لتخليصم من السيطرة الرومانية [٤] .

ب- أسباب إضطهاد دقلديانوس للمسيحيين.

لايمكن القبول بأن حب دقلديانوس للقتل وسفك الدماء هو السبب الذى كان وراء اضطهاده للمسيحيين، ويمكن القول بأن الأسباب التي دفعته لذلك هي نفس

---

(١) رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية ،ص٢٤

(٢) شارل أندريه جوليان ،المرجع السابق.ص٢٨٦ ؛ السيد احمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، ص٥٦٦

(٣) محمد ابوزهرة، محاضرات فى النصرانية ط٣، دار الكتاب العربى، القاهرة١٩٦١،ص٣٣

(٤) فوزي محمد حميد ،المرجع السابق.ص٤٤٦

...فرج توفيق زخور ،قصة الأقباط .ط١.لبنان ١٩٩٣.ص٢٧

الأسباب التي دفعت الأباطرة السابقين لعملية الاضطهاد، وهى المفهوم الحضاري للدولة، وأن عبادة الإمبراطور تعتبر ركناً أساسياً من أركان الدوله ،كما أن المسيحية تتعارض مع الفكر السياسي لدقلديانوس الذي يؤمن بوحدة التنظيم والهدف في بناء الامبراطورية [١].
ومن الأمور المحتملة أن دقلديانوس قد رأى في انتشار المسيحية عامل من عوامل التفكك والانهيار، ويمثل خطراً على سلامة الدولة ،خاصةً وأنه كان في حالة ضعف وحروب على الحدود ضد الشعوب الأوروبية والفرس[٢] .وكذلك نرى رجال الدين الوثنيين ورجال الدولة قد زادوا من تحريضهم لدقلديانوس ضد المسيحيين. وعلى الرغم من أنه لم يستجب لتحريضهم بسرعة إلا أنه في النهاية أذعن لذلك خاصةً وانه كان يؤمن بالعرافة .ومما زاد في تحريضه الكهنة الذين كانوا يستغلون كل مناسبة ولا يدعونها تفوت إلا ويزيدون من تحريض الإمبراطور ضد المسيحيين ، ومن أولئك رئيس العرافين الذي كانت مهمته فحص أحشاء الحيوانات ليستطلع أنباء الغيب بالنسبة لاعتقاد الوثنيين .حيث أعلن أن آلهتهم قد أصبحت تضيق بكفر المسيحيين، وبذلك تعطل الكشف عن أنباء الغيب [٣] .ومما زاد في حيرة دقلديانوس أن المسيحية بدأت تسري في ظل الحكومة داخل الوظائف الإدارية بل حتى بين عاملي وموظفي القصر الإمبراطوري ، ووصلت إلى العائلة الملكية حيث اعتنقتها بريسكا زوجه دقلديانوس وابنته فاليريا بالاضافة إلى زوجته الأولى هيلانة التي كانت قد اعتنقت المسيحية قبل الزواج منه ، وربما لم يكن يعلم بذلك، والتي كان لها الفضل في وقف المذابح ضد المسيحيين في الجزء الغربي من الامبراطورية،

[١] السيد احمد الناصرى، التاريخ السياسى والحضارى للإمبراطورية الرومانية، ص٦٧٢
؛ مصطفى العبادى،المرجع السابق.ص٢٤٦

[٢] أسد رستم،المرجع السابق.ص٣٥

[٣] توفيق الطويل ،قصة الاضطهاد الديني في المسيحيه والإسلام .ط١.الزهراء للأعلام العربي.القاهرة١٩٩١.ص٥٣

والتي كانت تحت حكم قسطنطيوس والد قسطنطين الكبير[١]. كما كان قيصره جاليريوس من أشد المتحمسين ،والمحرضين للاضطهاد حيث كان من المتعصبين لوحدة الامبراطورية،وكان يعتبر أن المسيحيين يمثلون خطراً يهدد الدولة ووحدتها[٢] ، ويذكر البعض أن من أسباب تحريضه لدقلديانوس على اضطهاد المسيحيين كان من جهة وقوعه تحت تأثير أمه التى كانت من أشد الوثنيين وتؤمن بالخرافات، ومن جهة أخرى وقوعه تحت تأثير رجال الكهنة الذين أخذوا يفقدون امتيازاتهم بسبب تزايد اعتناق الرومان للمسيحية[٣] ، كما أن رجال الدولة يخشون من قيام حركات انفصاليه،

والأثرياء يخشون من فقدان مكاسبهم وميزاتهم [٤] ، والطبقات الغنية خشيت من استقطاب العبيد ،والفقراء لها بسبب ما تدعوا له من مساواة وعدل بين البشر فتتحول إلى ثورة ضد الوضع الاجتماعي القائم في الدولة[٥]. ومن الأسباب التى كانت وراء هذا الأضطهاد بل ويعتبر أهمها ،هو التحدي الذي أظهره المسيحيون للدولة وإمبراطورها، وذلك عندما قام أحد المسيحيين بانتزاع مرسوم دقلديانوس المعلق في نيقوميديا وتمزيقه[٦].

كما أنهم كانوا يتظاهرون أمام قضاة الدولة بأن لهم نسخه من الكتاب المقدس

---

[١] أسد رستم،المرجع السابق.ص٣٦٣

[٢] حسن صبحي بكرى،الإغريق والرومان والشرق الاغريقى الروماني .دار عالم الكتاب للنشر .الرياض ١٩٨٥.ص٣٥٢

[٣] اندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة ط٤، شركة الطباعة المصرية، الأسكندرية٢٠٠٣، ص١٣٧

[٤] محمد محى الدين المشرفى، أفريقيا الشمالية فى العصر القديم ط٢ ، شركة دار الكتاب ، الدار البيضاء١٩٥٧، ص٩١

[٥] نعيم فرح،المرجع السابق.ص٣٤٣

[٦] جون لوريمر ،المرجع السابق.ص١١١

يحتفظون بها تحدياً للدولة ،ومتهمين رجال الكنيسة بالتخاذل والتواطئو مع الحكومة[١].

كما أنهم رفضوا تقديس الأباطرة ،وذلك لأنهم جميعاً دون تردد لا يؤمنون بان روح الله الخالدة قد حلت في بشر مصيره الهلاك[٢]. بالإضافة إلى هذه الطبقات التي كانت تدعوا لإضطهاد المسيحيين هناك اليهود الذين كانوا يشجعون على هذا الاضطهاد ويقومون به ،ويحرضون الأباطرة على ذبح المسيحيين أينما كانوا ،وأينما حلوا لأعتبار أن ديانتهم هى الجديرة بالبقاء أما غيرها فيجب القضاء عليها، ولهذا نجدهم قد حرضو الأباطرة على هذا الاضطهاد [٣] .

إذاً ماذا يفعل دقلديانوس أمام هذا التحدي؟ ما كان عليه إلا أن يقف فى وجه المسيحيين لكي ينقد الامبراطورية من السقوط، وذلك باضطهادهم، فصدرت أولى المراسيم من دقلديانوس، وزملائه في تصفية المسيحيين في فبراير من عام ٣٠٣م، حيث اقنع القيصر الوثني جاليريوس الإمبراطور دقلديانوس بإعلان الاضطهاد ضد المسيحيين[٤]، وقد أراد دقلديانوس أن تكون هذه التصفية بالطرق السلمية، وذلك عندما طلب منهم العودة الى عبادة الاباطرة وتقديم القرابين للالهة ومنعهم من الانخراط فى سلك الجندية، وقد ذكر يوسابيوس القيصرى أنه فى السنة التاسعة عشر من حكم دقلديانوس صدرت الأوامر بطرد الموظفين ورجال الجيش من معتنقي الديانة المسيحية ، وإحراق الكتب المقدسة وهدم الكنائس ثم أُجبر المسيحيين على تقديم القرابين [٥] . ولكن الأمر ازداد سوءاً عندما قامت جماعة بمحاولتين لإحراق القصر

---

[١] جيمس ويللارد،الصحراء الكبرى ،ط١مكتبه الفرجانى.طرابلس١٩٦٧.ص١٣٥

[٢] رستوفتزف،المرجع السابق.ص٦٠٨

[٣] فوزي محمد حميد،المرجع السابق.ص٤٤٦

[٤] وليام لانجر،المرجع السابق،ص٣٢٦

[٥] طه باقر، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج٢ ط٢، بدون دار نشر، بغداد ١٩٧٣،ص٣٢٨

الامبراطوري الذي يقيم به دقلديانوس في نيقوميديا ، ولم يعرف سبب هذا الحريق، ولكن نسب الأمر الى المسيحيين، وهذا ما أجبر دقلديانوس على إصدار مراسيم أشد صرامة حيث قتل فيها الكثير من المسيحيين، وأُرسلت الأوامر إلى الولايات لإجبار المسيحيين على تقديم الذبائح للإمبراطور او السجن حتى أن الإمبراطورة بريسكا وابنتها فاليريا أُجبرتا على تقديم ذبيحة للإمبراطور [1].

وهكذا مع مرور الأيام صار اضطهاد دقلديانوس يزداد وحشيه وعنفاً وأصبح ينظر إلى المسيحيين على أنهم مجموعة يجب أن تسقط حقوقهم المدنية [2]، حيث مُنع المسيحي من حقوق المواطنة الرومانية مما جعله لا يستطيع أن يشتغل في وظائف الحكومة ،وجُرد من كل شرف إن كان حراً ومُنع من الحرية أن كان عبداً[3]. ثم أمر بالقبض على كل من يحاول أن يتعلم، أويُعلم المسيحية ،وفى سنة ٣٠٤م أًجبرت جميع طبقات الشعب على تقديم الذبائح الامبراطورية ،وأنزل بها أشد أضطهاد ولم ينجوا منه أحداً سواء أكان رجلاً أو امرأةً أو طفلاً كل من رفض تقديم الذبيحه على الرغم من إنهم أرغموا على تقديمها ،وقد وصلت عمليات الاضطهاد إلى درجة لايمكن وصفها حيث امتلات السجون بالمسيحيين وقتل الكثير ،وقد تعددت طرق القتل فمنهم من مات خنقاً أو تقطع رأسه، وأحياناً يربط بمسامير على صليب ويتركوه حتى الموت، وكثيراً ماكان يقطع لحم الإنسان ويرمى للحيوانات .كما أن البعض يذكر بأن عماله قطعوا الأنوف والأذان والألسن، وغرزوا القصب تحت الأظافر ودقوا الحديد في البطون[4]، وعندما تستبدل عقوبة الإعدام بعقوبة أخرى كان القائمون عليها يقومون

---

[1] اندرو ملر، المرجع السابق، ص١٣٨

[2] أحمد شلبي، المسيحيه ط١، دارالنهضه المصرية،الاسكندريه ١٩٩٠،ص٨٣

[3] يوسابيوس القيصرى، المصدر السابق، ص٣٥٣

[4] فوزي محمد حميد ،المرجع السابق ،ص٤٤٦

بإعمال أبشع حيث تبتر الأعضاء وتقلع العيون ،أو تحرق أحدى عضلات الساقين فلا يستطيع الإنسان لا الهرب ولا الحركة .والبعض منهم ثبتوا على ظهور الحيوانات المفترسة وتركوا نهباً للكلاب المسعوره، ومنهم من طليت أجسادهم بمواد ملتهبة وأشعلت فيهم النيران ليكونوا مشاعل تضيء شوارع المدن ليلاً [١] .

ومن الأدلة التي تعزز حدوث هذا الاضطهاد ، والأدوات المستخدمة في ذلك الحديث الذي ورد عن النبي(عليه الصلاة والسلام) عندما اشتكى إليه أصحابه من المسلمين تعذيب قريش لهم، فسألوه أن يدعوا ربه بان يخفف عنهم هذا العذاب ،وربما قصد الرسول بحديثه ذلك المسيحيين حيث قال الرسول (***صلى الله عليه وسلم***) " **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض ،فيجعل فيها،ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه ،فيجعل نصفين ،ويمشط بأمشاط الحديد ،مادون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه**" [٢] .

ج- كيف حمى المسيحيون أنفسهم وكتابهم المقدس ؟

حمى المسيحيون أنفسهم بحسب طبيعة الأرض، أما إنهم كانوا يجتمعون في بيت أحدهم ويهتدون برأيه ، أو يتخذون الكهوف ملاجىء لهم في المناطق الجبلية . كما اتخدو الدياميس (الكاتاكومبس) Catacombs أيضاً لحماية أنفسهم، بل واستخدموهذه الدياميس كمكان للقيام بعبادتهم تحت الأرض بعد إن مُنعوا من القيام بها فوق الأرض ،وقد انتشرت هذه الدياميس عندما كان الرومان يطاردون المسيحيين أينما كانوا[٣]، وأول الدياميس التي حفرت كانت في مدينه روما في بداية فترة الاضطهاد. ومن الدياميس التي كانت ذات أهمية تلك التى كانت فى مدينة نابلي وجزيرة صقلية

---

[١] اسحق عبيد ،المرجع السابق.ص٤٩

[٢] أبوبكر يحيى النووي.ت ٦٧٦.هجري،رياض الصالحين.ط١.دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠١.ص٦٥

[٣] محمد على عيسى، مدينة صبراتة، الدار العربية للكتاب، مصلحة الأثار ١٩٧٨،ص٨٤

والإسكندرية وسوسه ،وصبراتة بليبيا[١] . وتُعتبر فترة الاضطهاد هذه أشد عنفاً على المسيحيين ،لأنها دامت عشر سنوات دون توقف[٢] ، أما الأعمال التي قام بها المسيحيون لحماية الكتاب المقدس أما بإخفاء الكتاب في مكان لاتصل إليه أيدي الجنود الرومان، إما بإعطاء الجنود الرومان أي شيء في الكنيسة دون الكتاب المقدس .

وقد انتهت فترة الإضطهاد في الغرب سنة٣٠٦م ،حيث لم يقم قسطنطيوس بتطبيقه ،أما في الشرق فقد استمرت عمليات الإضطهاد حتى سنة ٣١٣م ،وهى السنة التي صدر فيها مرسوم ميلان فى الثامن من شهر فبراير[٣]، والذى جاء فيه " ...**يمنح المسيحيين وسائر الناس ...حرية الاختيار فى اتباع عقيدة المسيحيين أو فى اعتناق الديانة التى يرتضاها قلبه...حتى يتفضل علينا الرب بجميل نعمائه**"[٤] ،وبموجبه تم الاعتراف بحرية العباده بالنسبة للمسيحيين ، وأعفائهم من تقديم الضرائب والتزماتهم تجاه الدولة، ومنح الأساقفة سلطات قانونية ، وقد طبق هذا التسامح فى شرق وغرب الإمبراطورية[٥]. ومن الأدلة التى تثبث هذه المنح التى أعطت للمسيحيين ذلك الكتاب الذى أرسله قسطنطين إلى ولاته حيث قال" ...**أن الذين يقدمون خدماتهم، بالقداسة، وبمراعاة هذا القانون، متبعين هذه الديانة [المسيحية] الإلهية، يجب أن ينالوا تعويضاً عن أتعابهم**"[٦] .

---

[١] محمد على عيسى، معالم من الآثار المسيحية المبكرة في ليبيا.ص١٠٥

[٢] اوروسيوس، تاريخ العالم ط١.ت عبد الرحمن بدوى.المؤسسة العربية للدراسات والنشر.الاسكندريه ١٩٨٢.ص٤٥٥

[٣] وليام لانجر. المرجع السابق.ص٢٦٠ ؛ حسين مؤنس، الأمبراطورية البيزنطية،ص٩

[٤] رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ،عين للدراسات والبحوث الأنسانية والأجتماعية ، الأسكندرية١٩٩٧،ص٣٩ .

[٥] السيد أحمد الناصرى ، تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى،ص٥٨١ ؛محمد مرسى ، المرجع السابق،ص٥٥

[٦] يوسابيوس القيصرى، المصدر السابق، ص٤٤٩

هذه أهم الإصلاحات التى قام بها دقلديانوس فى محاولة منه لمنع الإمبراطورية من الأنزلاق نحو التدهور والانهيار النهائى، ولكن هل هذه الإصلاحات التى أرساها داخل الدولة استفادت منها الإمبراطورية، واستمرت بعد اعتزاله الحكم أم أنها كانت لفترة محدودة خلال فترة حكمه، وانتهت بانتهائه. ولذا سوف نتتبع أثر هذه الإصلاحات على المجتمع الرومانى والنتائج التى أدت إليها هذه الإصلاحات .

الفصـــل الثالـــث

أثر إصلاحات دقلديانوس على المجتمع الرومانى

المبحث الاول:- اثر إصلاحات دقلديانوس الادارية والعسكرية على المجتمع الرومانى.

أ- الإصلاحات الإدارية.

ب- الإصلاحات العسكرية.

المبحث الثاني:- أثر إصلاحات دقلديانوس الاقتصادية الاجتماعية **على المجتمع الرومانى.**

أ- الإصلاحات الاقتصادية.

ب- الإصلاحات الاجتماعية.

المبحث الثالث:-أثر إضطهاد دقلديانوس على الحياة الدينية **فى المجتمع الرومانى .**

يجدر بنا قبل أن نتطرق إلى ما وصلت إليه الإمبراطورية الرومانية بعد الإصلاحات المتعددة والمتنوعة التى قام بها دقلديانوس أن نذكر أن الإمبراطورية من خلال هذه الإصلاحات تمثل أقرب محاوله لإقامة دولة عالمية تحكمها قوانين ومباديء واحدة، حيث لم توجد تفرقة واضحه بين الأجناس في ظل هذه الإمبراطورية- إلا فيما يتعلق بالحكم- على الرغم من كثرة الحروب والمنازعات. وذلك بسبب سيطرة دقلديانوس على كافة الشئون داخل الدولة سواء كانت سياسية أو اقتصادية .

أن المتتبع للإصلاحات التى قام بها دقلديانوس لايسعه إلا أن يقف مندهشاً أمام مدى أتساع تفكير هذا الإمبراطور السياسي، حيث نجده قد وضع حداً لكافة المشاكل التى عانت منها الإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادى كأرتفاع الضرائب وقلة الموارد الزراعية وسيطرة الارستقراطية على اقتصاد الدولة، خاصة مشكلة ولاية العهد. غير أن الإصلاحات التى قام بها دقلديانوس لم يكتب لها النجاح بملاحظة النتائج التى ترتبت عليها، حيث لم تستمر إمبراطوريته التى أنشأها طويلاً فلم تأتِ سنة ٣١١م حتى ظهر أربعة أباطرة في وقت واحد [١]. كما أن التقسيمات التى أحدثها داخل الإمبراطورية، وزيادة عدد الولايات أدى إلى القضاء على استقلال هذه الولايات خاصة قيادة الجيوش، وتعرضت البلاد لعدة هجمات على طول الحدود، مما جعل الأباطرة ينتقلون من مكان إلى أخر رداً لهجمات الجماعات التى كانت تطمح الى الإستقرار داخل الدولة، مثل المجموعات الأوروبية التى نجحت فى ذلك عندما عقدت معاهده مع الإمبراطورية تسمح لها بالاستقرار داخلها ،أو القبائل التى أرادت طرد الاستعمار الرومانى من أراضيها مثل القبائل العربية فى الشمال الأفريقى التى ناضلت

---

[١] جوزيف نسيم،المرجع السابق،ص٤٣

من أجل نيل حريتها واستقلالها. كما قلت الموارد الاقتصادية بسبب ارتفاع الضرائب التى عجز السكان عن دفعها وخاصة طبقة الفلاحين لقلة الموارد الزراعية، وكذلك سيطرة الطبقة الارستقراطية على موارد الدولة الاقتصادية، ومما زاد فى فداحة تكاليف الإدارة وتفاقم الضرائب، زيادة عدد الوزراء زيادة لم تكن معهوده من قبل[١] .وعلى الرغم من أن دقلديانوس نجح في القضاء على الفوضى التى استمرت خمسون سنة، وأقر السلطان للدولة ،وأعاد الاستقرار الى الصناعة، وأذل فارس ،وهزم القبائل الأوروبية، إلا أنه لم يستطع مواكبة التطورات التاريخية التى حدثت بعد ذلك مثل ولاية العهد، حيث عاد الصراع حول العرش من جديد بعد اعتزاله الحكم، ونتيجة لفشل نظامه هذا يرى البعض أن أرتقاء دقلديانوس العرش كان نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسطى[٢] . ولكن بعض من الذ ين عاصروه والذين جأوا من بعده لقبوه (**أبا العصر الذهبي**)، ولايمكن تسمية عصره بالذهبى وقد فشل نظامه الذى أنشأه داخل الدولة في حين أن العصر الذهبى هو الذى تتقدم فيه الدولة وتنعم بالأستقرار والرخاء، بالأضافة إلى سيادة القانون، وازدهار فى مقومات الحياة والاقتصادية، وغيرها من الأمور التى لاتنسجم حياة المواطن مع الدولة إلا بوجودها [٣] .

من هنا رأى الباحث أن يدرس أثر هذه الإصلاحات على المجتمع الروماني ،وهل زادت من تحسن أحوال المجتمع، أم أنها زادت من سوء الأحوال؟ بداية بالإدارية والعسكرية،مروراً بالإقتصادية والإحتماعية وتنتهى بالدينية .

---

[١] ادورد جيبون،المرجع السابق، ص٢١٦

[٢] جيمس هنرى برستد ،المرجع السابق.ص٦٤٠

[٣] ول ديورنت .المرجع السابق، ص٣٦٩

أولاً–أثر إصلاحات دقلديانوس الإداريه والعسكرية على المجتمع الرومانى .

أ- الاصلاحات الإدارية.

يرى البعض أن الإصلاحات التي قام بها دقلديانوس هي نقطة البداية للتدهور والسقوط الذى أصاب الإمبراطورية الرومانية فيما بعد ،حيث أن هذه الإصلاحات جأت بعكس ماهو متوقع منها ، إذ انها مهدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب سنة ٤٧٦ م عندما هاجمتها القبائل القوطية واستطاعت الاستيلاء على عاصمتها القديمة روما [١]، بسبب ضعف الجيش وعدم شعوره بالولاء نحو الإمبراطورية مما أفقده روح الحزم والشدة التى امتاز بها فى السابق، لأحتوائه على عناصر من القبائل الجرمانية والقوطية التى سمح لها دقلديانوس بالانخراط فى سلك الجيش الرومانى. ويرى البعض أن استقالة دقلديانوس تعتبر بداية العودة إلى الصراع من أجل الحكم ، حتى خضع العالم الرومانى بأسره إلى شخص واحد تمثل في قسطنطين الكبير [٢] .

وعندما تولى دقلديانوس الحكم عرف أن نظام الحكم الفردى لايستطيع تسيير دفة أمور الدولة، ولذا اختار مبدأ عرف بمبدأ الشراكة، وذلك بأن أشرك معه ثلاثة في الحكم لمساعدته فى حماية الإمبراطورية من هجمات الشعوب المحيطة بها. وعلى الرغم من أن هذا التقسيم حافظ على اقامة إمبراطورية موحده تحكمها حكومة مركزية تمثلت فى دقلديانوس وشركائه، إلا إنه عندما قسم الإمبراطورية الى أربعة أقسام لم يدر بخلده أنه وضع أسس وقواعد للحكم خلقت تدهور في الإدارة وعرقلت المصالح والأعمال، نتيجة للزيادة فى تكاليف الإدارة وارتفاع الأجور والمرتبات[٣]، وكذلك إيجاد

[١] حسن الشيخ .المرجع السابق،ص١٢٤

[٢] دى هاينز ، دليل تاريخ وأثار منطقة طرابلس ،ت عديله حسن ،دار الفرجانى ،طرابلس ،القاهرة،لندن ،د ت ص٦٧

[٣] السيد أحمد الناصرى ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ،ص٦٨١

أربعة عواصم للإمبراطورية ، وهى سراميوم وبلغراد وميلان ونيقوميديا ، وأنه بإيجاده هذه العواصم قد اتجه الى سياسة التقسيم الإداري للإمبراطورية، حيث ترتب على هذا التقسيم

انتقال العاصمة من الغرب الى الشرق وسلب من روما منصبها القديم والقيادى في الإمبراطورية مما ساعد على انهيارها فيما بعد، وذلك بعد اعتزال دقلديانوس للحكم لم تعد سوى مدينة رومانية مثلها مثل المدن الشرقية والغربية فى الإمبراطورية[1]. وقد أدى هذا التقسيم إلى زيادة السرقة والنهب ،واستخدام القسوة من قبل موظفى الإداره داخل الإمبراطورية [2]، لعدم وجود قوة للحكومة تمنعهم من القيام بهذه الأعمال، كما كان نفوذهم وسلطانهم داخل الدولة السبب فى قيامهم بهذه الأعمال.

ونتيجه لإصلاحات دقلديانوس الإداريه السيئة تم تقسيم الإمبراطورية فيما بعد إلى شرقية وغربية، وذلك في زمن الإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٩٥م(شكل٦)، ومن تم أصبحت أساس الإدارة البيزنطية بعد ذلك ،ولكن هذا التقسيم أدى الى حدوث النزاعات بين مختلف الإدارات الحكومية[3]، حول من يتولى أعلى الوظائف الحكومية داخل الإمبراطورية. وكذلك ظهرت الفروق الاقتصادية والثقافية بين القسمين، حيث كان الشرق يمتاز عن الغرب بوجود مراكز حضارية عريقة فى القدم ذات طابع صناعى وتجارى وزراعى مثل الاسكندرية ودمشق ، بالأضافة إلى ظهور مدن أخرى فى الشرق مثل داكيا (أراضى الدانوب حالياً)[4] ، الأمر الذى جعلها تساهم فى ازدهار الشرق بالمعادن والأخشاب، أما الغرب فامتاز بوجود المواد الخام التى استفاد منها

---

[1] السيد احمد الناصرى، المرجع نفسه، ص٥٧١

[2] رستو فتزف،المرجع السابق،ص٦٢٩

[3] السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص٢٨

[4] تشارلز روت ، المرجع السابق،ص١٤٥

الشرق فى ازدهاره [1]، أما من الناحية الثقافية فتميز الشرق بوجود المدارس ومن أشهرها مدرسة القانون فى بيروت، كما أن دقلديانوس كان قد استدعى المعلمين إلى مدينة نيقوميديا[2]، بالأضافة إلى أن الأباطرة بعد ذلك قد ساهموا فى ازدهار الشرق عندما

شجعوا الناس على الأستقرار به، مثل الإمبراطور قسطنطين عندما بنى عاصمته القسطنطنية. وفى الواقع فإن دقلديانوس لم يكن يقصد خلق تقسيم إدارى وإنما قصد من هذا التقسيم هو جعل الإدارة أكثر مركزية بأن جعل جميع أمور الدولة تحت سيطرته[٣]، وعلى الرغم من فشل بعض أنظمته الإدارية إلا أن بيزنطة وعاصمتها القسطنطينية قد اتخدت بعض هذه الأنظمة، واستخدمتها فى شئون الحكم لديها خلال القرون التالية حتى القرن السادس الميلادى مثل تركز شئون الحكم فى يد الأباطرة، وكذلك قيادة الجيوش[٤]. ورغم أن جميع الإدارات خضعت إلى إشراف الإمبراطور، وأصبح هو على رأس سلم الوظائف الحكومية إلا أن الكره تفاقم بين المدن والقرى ، وزاد عما كان علية في أزمة القرن الثالث بسبب حصول أهل المدن على الأموال وانتقال البعض منهم من الطبقة المتوسطة إلى الطبقة الأرستقراطية نتيجة لإشتغالهم بالتجارة بتشجيع من الدولة ، أما أهل القرى فقد اشتغلوا بالزراعة التى تدهورت لهروب الفلاحين بعد أن عجزوا عن سداد الضرائب بالأضافة إلى غارات الشعوب المجاورة[٥]، كما نتج عنها النزاع بين جميع موظفى الإداره الحكومية داخل

[١] سانت موس، المرجع السابق ،ص١٦

[٢] حسين مؤنس، محمود يوسف زايد الإمبراطورية البيزنطية ، ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة د ت،ص٧

[٣] عبد القادر احمد اليوسف،الإمبراطورية البيزنطية ،المكتبة العصرية ،بيرروت ١٩٨٢،ص٣٣

[٤] مصطفى العبادى.المرجع السابق،ص٢٤٤

[٥] رستو فتزف،المرجع السابق،ص٦٢٩.

حدود الإمبراطورية الرومانية[١]. ومن ناحية أخرى، وعلى الرغم من محاولته منع النزاع حول العرش، وتولى العرش بدون حدوث حروب وذلك باختيار (أغسطيين)، وينوب عنهما قيصرين، و يتولى القيصرين الحكم بعد اعتزال الاوغسطيين أو وفاتهما، ولكن بعد اعتزال دقلديانوس عادت الحروب والمنازعات حول العرش من جديد، حيث لم تستمر

إمبراطوريته التى أعاد تنظيمها بما أدخله عليها من إصلاحات في شتى النواحى طويلاً .
حتى ظهر على ساحة الاحداث سنة ٣١١م أربعة أباطرة هم فاليريوس ليسنيوس Licinius Valarius وماكسيمين Maximin، وقسطنطين وماكسنتيوس Maxentius ، ولكن الصراع أنحصر بين قسطنطين وليسينيوس بعد مقتل ماكسنتيوس أثناء القتال ضد قسطنطين عند نهر التيبر، وقتل ماكسيمين بعد هزيمته على يد قوات ليسينوس(٢)، وعلى الرغم من روابط المصاهرة التى تمت بين كل من قسطنطين وليسنيوس إلا أن الصراع استمر بينهما حتى استطاع قسطنطين الأكبر التغلب على خصمه ليسينوس Licinius سنة ٣٢٤ فى معركتى أدرنهAdrianople وكريسبوليس Chrysopolisوالاستئثار بالحكم(٣)، وقد قرر قسطنطين بأن يكون المنصب الإمبراطوري وراثياً في الأسره الحاكمة لأن النظام الذى طبقة دقلديانوس لم يؤدِ إلى النتيجة المرجوة منه وهو المحافظة على وحدة الإمبراطورية سليمة كاملة، وقد أختفت بعض الوظائف الإدارية التى كانت ذات أهمية، مثل وظيفة البرايتور وأصبحت وظيفته تقتصر في الأشراف على الحفلات العامة

---

(١) السيد الباز العرينى، الدوله البيزنطية،ص٢٨

(٢) السيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٥٧٣ص٥٧٤

(٣) محمود سعيد عمران ، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٦

التى تقيمها الحكومة بعد أن كان الناس يرجعون الى البرايتور في أمور القضاء، لأنه سُمح للبريفيكتوس Praofectus صاحب هذه الوظيفة بالفصل فى بعض الأمور القضائية ، وبالفعل نجد الكثير من أمتهن القضاء ووصل فيه إلى حد الشهرة ليس بمؤهلاته القانونية وإنما بخبرته التشريعية مثل بابينيانوس وأولبيانوس(١). ولكن فى شئون الحكم خلال القرن الثالث ،وأصبح يتولى القضاء موظفين يعينهم دقلديانوس منع ذلك لتدخلهم الإمبراطور بنفسه(٢)،

ولكن اصلاحاته الإداريه وزيادة عدد الأقاليم لم يحبذه الاباطرة بعد ذلك، وحبذوا العودة إلى النظام الروماني الذي سبق عهد دقلديانوس ،حيث ثم جمع الأقاليم الصغيرة وجعل منها ولايات كبيره وخاصة في الجزء الشرقي من الامبراطورية [3]، وذلك لأن سكان الاقاليم الحدودية كانوا يثيرون القلاقل بكثرة الانتقال، فرأى الأباطرة أن تجمع هذه الأقاليم حتى لايضطر البعض منها إلى الإفقار من السكان، وربما جمعوا هذه الأقاليم حتى يخفضوا من قيمة الإنفاق عليها. ومن العيوب التى ظهرت على إصلاحات دقلديانوس تتمثل فى أن التقسيمات التى وضعها قضت على استقلال الولايات وهو أحد مساوئ الامبراطورية الرومانية، حيث لم تستطع حتى الدفاع من نفسها لقلة عدد الجيوش بها، وعدم أسناد قيادة الجيش إلى الولاة، وبذلك وقعت البلاد فريسة حروب عديدة على طول الحدود[4]. ومما يؤخذ على نظام دقلديانوس الإدارى،أنه لم يشرك الرومان معه فى الحكم بل جعل شركاءه في الحكم من بنى جلدته (السلالة الليرية) .

---

[1] تشارلز روث، المرجع السابق، ص٤٣

[2] عمر ممدوح، المرجع السابق، ص٩١

[3] السيدالباز العرينى . الإمبراطوريه البيزنطيه ص٨٥

[4] احمد انيشة، التاريخ السياسى للمدن الثلاث، ص١٠٤

أما مايتعلق بالعاصمة فقد انتقل مركز الثقل تدريجياً من الغرب إلى الشرق، وذلك عندما انتقل مكان إقامة الإمبراطور دقلديانوس إلى نيقوميديا بدلاً من روما، وما نتج عن ذلك من تحول الكثير من الإدارات صحبة انتقال الإمبراطور، وتم تطبيق القانون بشكل أكثر من دى قبل، واستحدث إدارات جديدة يستلزمها هذا التحول، وأصبحت روما مقر القادة العسكريين الذين كانت لهم أطماع فى العرش، ويبدو أن سبب انتقال دقلديانوس إلى الشرق أنه كان مصدراً للقلاقل وخاصة من ناحية الفرس، ولهذا أراد أن يكون قريباً من مركز الخطر الفارسى، والقبائل الجرمانية الأوروبية ، وقد سار قسطنطين فيما بعد

على نهج دقلديانوس فأنشأ عاصمة جديدة للدولة فى الشرق وهى القسطنطينية، وقد شرع فى تتشييدها يوم٨ نوفمبرسنة٣٢٤م، وفى يوم١١من الشهر الخامس عام ٣٣٠م جرى حفل أفتتاح العاصمة الجديدة، والتى يعتقد البعض أن قسطنطين قام بأنشا عاصمته الجديدة لتكون مدينة مسيحية خالصة، ويتخلص من الوثنية القديمة فى روما، وذلك لكثرة ماشيده قسطنطين من كنائس بالقسطنطينية[١]. وهكذا أخذت العاصمة الجديدة فى نمو تقدم، حتى زاد عدد سكانها زيادة لم توجد فى روما من قبل، بسبب اقبال الناس للأستيطان بها، كما أن قسطنطين قد شجع سكان المدن الأخرى على الاستقرار بها، وقد جرى تخطيطها على نفس النمط الذى أنشئت عليه مدينة روما القديمة، وأصبح لسكانها مثل ماكان لسكان روما، فكان لهم الحق فى الحصول على الخبز والنبيد ومشاهدة الملاهى مجاناً[٢]. وقد نتج عن هذا الانتقال بالعاصمة من الغرب الى الشرق زوال روما فى الغرب بعد عدة اجيال[٣].

---

[١] جوزيف نسيم .المرجع السابق ص٣٩ ؛ حسين مؤنس ، المرجع السايق، ص٨

[٢] السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية،ص٣٠ص٣١

[٣] غريمال.المرجع السابق،ص٢

ب- الإصلاحات العسكرية.

من الناحية العسكرية كون دقلديانوس جيشاً قوياً مهمته الدفاع عن الامبراطورية ،كما كون جيشاً سهل الحركة يستطيع التنقل من مكان إلى أخر وكان من مهمة الجيوش حماية الاباطرة ورد الاخطار الخارجية، وعلى الرغم من محاولة دقلديانوس المحافظة على وحدة الإمبراطورية، ومنع هجمات الشعوب الرافضة للحكم الروماني إلا أنها استمرت فى مهاجمتها، ونتيجة لشدة هذه الغارات، وحفاظاً على سلامة الجيوش نجد دقلديانوس قد تنازل عن بعض المقاطعات لحماية الجنود من هذه الهجمات، وقام

بتقليص حجم ومساحة الولايات كما حصل فى موريتانيا الطنجية عندما ألحقها بولاية أسبانيا، ونتيجة لهذا اتبعت الأمبراطورية فى سياستها منحنى أخر فبعد أن كانت هجومية تحولت إلى دفاعية عن الأراضى التى كانت قد سيطرت عليها ورد الهجمات التى تتعرض لها من حين الى أخر من القوط والجرمان، وإخماد الثورات العربية فى الشمال الأفريقى [1] .

اتخد دقلديانوس مجموعة من الأجراءات للتخلص من سيطرة القادة العسكريين منها إبعاد النبلاء وأعضاء مجلس الشيوخ عن الجيش خوفاً من جمع الجنود حولهم وتهديد أمن واستقرار الدولة، وأسندت قيادة الجيوش التى جردتها إلى جنودٍ من طبقة الفرسان وعلى رأسهم (الدوكس)، وبذلك استطاع أن يقضى على نفود حكام الأقاليم الذين كانت تسند إليهم قيادة الجيوش فى الفترات السابقة. وعلى الرغم من أن دقلديانوس قام بالقضاء على الحرس البرايتورى، إلا أن قادته أصبحوا فى زمن قسطنطين يشغلون منصب نائب الإمبراطور فى أحدى هذه الولايات، وأصبحت أحكامهم القضائية– لأشتغاله بالقضاء فى بعض الأحيان– نهائية ولاتقبل الطعن ولو

[1] احمد صفر، المرجع السابق، ص٣٧٤

كان من الإمبراطور نفسه[1]، وقد فعل قسطنطين مثل مافعل دقلديانوس استمد قوته من الجيش ، بل وكان يؤمن ويؤيد نظام الحكم العسكرى الذى حكم به دقلديانوس[2]، وذلك عندما منع الولاة فى الولايات تولى الشئون العسكرية، وإنما يتولها قائد عسكري[3]. وقد أمن دقلديانوس جانب الجند بعد أن أجزل لهم العطاء وأصبح قسماً كبيراً منهم داخل العاصمة نيقوميديا ، وبذلك عجز الأباطرة بعد ذلك عن مراقبة الغرب مثل مراقبة الشرق، لوجود أكثر القوات فى العاصمة الجديدة. وهكذا وبدون أن يدرى أويرغب دقلديانوس فى ذلك انقسمت الإمبراطورية الى شرقية وغربية[4] .

إن زيادة عدد الفرق والقوات قد لعب دوراً فى تحقيق الانتصارات فى بعض المناطق حيث استطاع دقلديانوس استرجاع مقاطعة بريطانيا عندما انتزعها كاراوسيوس الذى كان قد عُين قائداً للأسطول الرومانى فى بريطانيا لصد قبائل السكسون والفرنجة، فانتهز فرصة انشغال الإمبراطور فى الشرق لمحاربة الفرس[٥]، فاستقل بهذه الولاية سنة ٢٩٢م فأرسلت قوات رومانية بقيادة القائد قسطنطيوس فنجح في النزول داخل أراضي بريطانيا والقضاء على كاراسيوس، وقد رحبت به الولاية واستمرت تنعم بالرخاء طوال عهد دقلديانوس[٦]. كما كان دخول الجرمان للجيش–حيث سمح دقلديانوس لهم بالأنخراط فى الجيوش الرومانية ولكن تحت القيادة

---

[١] السيد أحمد الناصرى، التاريخ السياسى للإمبراطورية الرومانية، ص٥٩٧

[٢] السيد أحمد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص٩

[٣] محمد مرسى ، المرجع السابق، ص٦٤

[٤] جيمس برستد.المرجع السابق،ص٦٣٨

[٥] تاريخ العالم ،مج ٣ .ص١١٢

[٦] تشارلز روث، المرجع السابق، ص٥٤

الرومانية– وفتح الطريق أمام الفرسان لتولى أعلى المراتب فى صفوف الجيش التى كان لشجاعتهم وحنكتهم القتالية السبب فى ذلك، ولهم دور فى توفير الأمن ولو كان بشكل نسبي لم تنعم به فى الفترات السابقة [١].

ويعتبر الخطر الفارسى من أهم الأخطار التى واجهتها الإمبراطورية، حيث قامت بينهما العديد من الحروب التى استمرت سجالاً حتى القرن السابع الميلادى حيث قضى العرب المسلمون على الدوله الساسانية[٢]. وقد استطاع دقلديانوس هزيمة الفرس فى مرات عديدة واسترجاع بلاد مابين النهرين بل وأرغم الفرس على التنازل عن بعض المناطق، واستطاع الأستيلاء على طيسفون العاصمة الفارسية سنة ٢٩٧م [٣]، وتم عقد اتفاقية بين الطرفين، تمكن أن يملي عليهم فيها التنازل عن بعض الأراضى فى بلاد الرافدين وأرمينيا

وجورجيا، وكذلك رسم الحدود بين الدولتين، واستمر السلم بعد هذه الاتفاقية لمدة أربعين سنة وقد كان هذا الانتصار الذى حققه الرومان فريداً لم يسبق لهم أن حققوه في الشرق من قبل [٤]، وقد جاءت بنود هذه الاتفاقية كمايلي .

١- التنازل عن خمس مقاطعات غرب نهر دجلة لروما .

٢- نهر دجلة يكون الحد الفاصل بين الرومان والفرس .

٣- التنازل عن بعض الأراضي لارمينيا.

٤- منطقة جورجيا تكون محمية رومانية[٥] .

وقد وقع الاتفاقية نرسى من قبل الفرس، وسيقوريوس السكرتير الإمبراطورى ممثلً

---

[١] محمد مرسى ، المرجع السابق،ص٤٤

[٢] السيد الباز العرينى ،الدوله البيزنطيه،ص٣٠

[٣] أسد رستم،المرجع السابق،ص٥٥

[٤] اندريه ايمار ،المرجع السابق،ص٥٤٢

[٥] موسوعة تاريخ العالم ،مج٣،ص١١٣

عن الرومان[١]. وعلى الرغم من أن دقلديانوس استطاع استرجاع مقاطعة بلاد النهرين وعقد مع الفرس اتفاقية إلا أن الأباطرة من بعد دقلديانوس تنازلوا للفرس عن مقاطعة بلاد النهرين، وقُتل بعض الأباطرة أثناء الحروب مع الفرس، وكان وراء ذلك الانحلال السريع الذى أصيبت به الإمبراطورية وضعف بعض الأباطرة وجيوشهم، وكذلك هزيمة الإمبراطور فالنز أمام القوط الشرقيين والغربيين معاً الأمر الذى أدى إلى القضاء على معظم الجيش الرومانى فى تلك الفترة، ونتج عن هذا فشل الاستحكامات العسكرية التى أقامها دقلديانوس فى الجبهة الفارسية[٢]. وقد عاود الفرس هجومهم على الإمبراطورية عندما اعتلى العرش الفارسى شابور بن هرمز الذى غزا بلاد أرمينيا، وهذا يدلنا إلى أى

مدى وصل ضعف الإمبراطورية بعد اعتزال دقلديانوس، واستعادة الفرس لقوتهم، وانتهاز فرصة ضعف الجيوش الرومانية وهزيمتها أمام الشعوب الأوروبية [٣] .

ولكن هل تنظيمات دقلديانوس العسكرية نجحت مع الشعوب الأخرى مثل القبائل العربية والأوروبية ؟ فالمتتبع للأحداث بعد أعتزال دقلديانوس للعرش يجد أن إصلاحاته العسكرية لم تنجح فى صد هذه القبائل على الرغم من كثرة عدد الجيش وخاصة القبائل العربية، التى استمرت في زحفها على الامبراطورية الرومانية حتى في عهد الامبراطور دقلديانوس[٤]، ولم يعانِ الرومان فى أي مستعمرة من مستعمراتهم مثل ماعانوه فى بلاد المغرب نتيجة لشدة الثورات التى قام بها العرب[٥].

(١) اسد رستم ،المرجع السابق،ص٥٥

(٢) عبد الفتاح عاشور ،المرجع السابق،ص٢٧

(٣) ادوارد جيبون ، المرجع السابق، ص٣٨٩

(٤) حسن البكرى، المرجع السابق، ١٥٨

(٥) محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير ج١، دار الفكر، بيروت ١٩٦٤، ص٣٩٧

حيث إن الهدوء والسلام الذى ساد منطقة شمال أفريقيا لم يستمر سوى فترة قصيرة في عهد دقلديانوس ومن بعد اعتزاله الحكم، حيث عانت أفريقيا من مشكلة الصراع على العرش الذى حدث بين ليسنيوس وقسطنطين. والجيش الرومانى فقد مرونته وحزمه منذ عهد دقلديانوس في جميع مناطق شمال أفريقيا فلم يبق للكتائب والفيالق الرومانية ماكانت تتمتع به من حزم وشدة في إخماد الثورات. ولهذا أجبروا ملاك الأراضي في شمال أفريقيا على تزويد القوات الرومانية بالجنود، وإذا لم يستطيعوا فعليهم دفع قدر معين من المال كتعويض عن الجنود المطلوبين[١]، وقد انتهز سكان أفريقيا فترة الاضطرابات التى حدثت بعد اعتزال دقلديانوس، وحاولوا رفع الحاكم الأفريقى دوميتيوس الأسكندر على العرش[٢]. كما شهدت أفريقيا العديد من الثورات، وقد كانت هذه الثورات شديدة الخطورة حتى في

زمن دقلديانوس، وقد انتشرت هذه الثورات في شمال أفريقيا ، ومما يؤكد قيام العرب بهذه الثورات هو انقطاع التجارة الرومانية مع فزان، وذلك بسبب استقرار القبائل فى مناطق الوديان بين لبدة الكبرى والجنوب[٣]، وهذا مايؤكده البعض عندما تحدثوا عن تحركات بشرية في تلك الفترة أدت إلى انقطاع التجارة وهددت إمداد روما بالقمح[٤] .ومن أشهر الثورات التى قامت في شمال أفريقيا سنة ٢٩٧ والتى قام بها الأخوان فرموس وجلدون أبناء الملك نوبال ملك قبائل الجبال[٥]، ثم ثورة القبائل التي أستمرت عشر سنوات من ٢٨٩ / ٢٩٨م وكاد الثوار أن يحتلوا مدينة بجاية ، ونتيجة لشدة هذه الثورات نجد أن ماكسيميان قد

[١] احمد انديشة ،التارخ السياسى والأقتصادى للمدن الثلاث، ص٢٣٥

[٢] شارل جوليان،المرجع السابق،ص٢٧٨

[٣] احمد انديشة ، التاريخ السياسى للمدن الثلاث، ص١٠٦

[٤] نفس المرجع، ص١٠٥

[٥] محمد على دبوز، المرجع السابق، ص٢٩٨

حضر شخصياً إلى أفريقيا سنة ٢٩٧ م، لإخماد هذه الثورة والقيام بحملة ضد قبائل الحلف الخماسى*[١]. وقد تجول بقواتة من موريتانيا الى قرطاجة[٢]. ومما يلفت الانتباه أن هذه الثورات قد انتشرت فى معظم الشمال الأفريقى ، وقد تعرضت نوميديا بصفة خاصة إلى اختطاف الرعايا المسيحيين حيث يذكر أن أسقف نوميديا قدم شكوى لبحث عمليات الاختطاف واسترجاع المسيحيين المخطوفين ، ودفع فدية مقدارها ألف سستريس، ويمكن أن تكون عملية اختطاف الرعايا المسيحيين قد تمت بدعم من المسئولين عن حكم الولاية لأن الأمبراطورية لم تكن قد اعترفت بالمسيحية كدين رسمى بعد ، وكانت تقوم بعملية الاضطهاد ضدهم [٣]. بالأضافة إلى هذه القبائل هناك قبائل لم يستطع الرومان أخضاعها وكانت تستوطن الجبال حيث هاجمت معاقل الرومان مما جعل روما تدفع

بجائزة للقائد اورليوس الذي اتجه الى شمال أفريقيا للقضاء عليهم وأشتبك مع الثوار فى العديد من المعارك، وفى النهاية استطاع القضاء على ثورة هذه القبائل. ويعتقد البعض أن لهذه الثورات أثر فى تقسيم دقلديانوس للإمبراطورية وذلك حتى يستطيع كل إمبراطور حماية المناطق التابعة لحكمه وبذلك يستطيع التخفيف من حدة هذه الثورات على الإمبراطورية [٤] .

* هى خمس قبائل عربية فى الشمال الأفريقى تحالفت ضد الوجود الرومانى وتقيم بين بجاية شرقاً ودلس غرباً ،وجبال جرجورة جنوباً والبحر المتوسط شمالاً، كما تحالفت مع القبائل الموجودة فى جبل بلعباس تحت قيادة (فاراكسن) . ينظر ، أحمد صفر ، المرجع السابق، ص٣٧٣

[١] رومنتقن ، المرجع السابق، ص٢٧

[٢] أحمد صفر ،المرجع السابق، ص٣٧٤

[٣] موسى معمر زايد ، المرجع السابق، ص١٣٥

[٤] محمد على دبوز ، المرجع السابق، ص٢٩٨

ولكن ماهى الأسباب التى كانت وراء فشل هذه الثورات ؟

قبل الأجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر أهم الأسباب التى شجعت على قيام هذه الثورات وخاصة فى الشمال الافريقى وهى أن الحاميات العسكرية للرومان كانت تقيم فى معسكرات داخل المدن الساحلية ، وعند قيام الثورة تذهب هذه الحاميات لأخمادها ومن تم تعود إلى مراكزها فى المدن الساحلية ، وأثناء عودتها تقوم قبيلة أخرى بالثورة وهكذا استمرت الحاميات العسكرية الرومانية بين الذهاب إلى إخضاع هذه القبائل والعودة إلى معسكراتها[١] .

إن أسباب فشل جميع ثورات العرب فى شمال افريقيا تمثلت فى سببين رئيسيين الأول كان بفعل الرومان عندما نجحوا فى استمالة بعض العناصر المحلية حيث نجحوا فى

زرع الفرقة بين العرب، ثم عنصر الخيانة الذى ظهر عند بعض القبائل العربية ، والثاني تمثل فى أن المغرب العربى القديم لم يقم كله بثورة واحده فيفرق ويقضى على الكتائب الرومانية واحدة تلو الأخرى ، ثم لم يتخد الزعماء العرب جبهة واحدة تنظم ثورتهم وتقودها ، ولو اتحد العرب فى شمال افريقيا وثار المغرب العربى القديم كله لاستطاع أن يستأصل الرومان ويتحرر منهم ، وهكذا استمر الوضع في المغرب القديم بين قيام الثورات وقمعها حتى نزل الوندال بأرض المغرب، ثم عاد الرومان من جديد بما يعرف باسم البيزنطيين، إلى أن جاء العرب وفتحوا المنطقة سنة ٦٤٢م/٢٠هـ ، وهكذا تم تحرير المنطقة وطرد البيزنطيين نهائياً [٢] .

أما مصر فعلى الرغم من إقامة قبيلة من النوبيين على الحدود المصرية الجنوبية لحماية الوجود الروماني من أي خطر ، إلا أن الخطر ظهر من داخل مصر

(١) جمعة السيفاو قرصع ،((الخطوط الدفاعية الرومانية بمنطقة طرابلس)) ، أثار العرب ، العدد الثالث١٩٩١،ص٣١

(٢) محمد على دبوز ، المرجع السابق، ص٢٩٨

حيث قامت ثورة بإعلان أحد القواد الرومان ويدعى دومتيانوسDomitianus نفسه إمبراطوراً رومانياً سنة٢٩٧م، وقد عرف فى الإسكندرية باسم أخيليوسAchillens ، وتمثل هذه الثورة خطراً حقيقياً على دقلديانوس من ناحيتين الأولى: أنها تهدف الى إيجاد أكثر من إمبراطور في آن واحد، وهذا تحدى سافر لإرادة دقلديانوس ،والثانية: تعني عدم إيصال القمح إلى روما لأن مصر كانت تنتج كميات كبيرة منه. ونتيجة لخطورة الموقف حضر دقلديانوس شخصياً إلى الإسكندرية لقمع الثورة، ونتيجة للأحوال الاقتصادية السيئة في مدينة الإسكندرية أمر دقلديانوس أن يوزع القمح على الناس مجاناً، وتكريماً له أقام أهل الاسكندرية نصباً تذكارياً مازال موجوداً في الاسكندرية ويعرف باسم عمود السواري[١] .

أما القبائل الأوروبية فقد زاد ضغط قبائل القوط على الحدود الشمالية على نهر الراين ،مما جعل الخطر يزداد عنفاً[٢]. كما غلب على الجيش طابع الشعوب الأوروبية وخاصة الجرمان ،حيث أصبح عددهم كبير في الجيش الروماني ،بل وأرتقى البعض منهم وأصبحوا قادة، وأصبح للفرسان دور كبير في الجيش الروماني[٣]. وعلى الرغم من أن الشعوب المحيطة بالإمبراطورية استمرت فى مهاجمتها إلا أنها لم تكن هى السبب فى الفوضى التى حلت بالإمبراطورية أثناء وبعد اضطرابات القرن الثالث كما يرى بعض الباحثين، وإنما كان لها دور فى الكشف عن مواطن الضعف الذى أصاب الإمبراطورية من النواحى الداخلية، وخاصة العسكرية التى اغتنمتها هذه

---

[١] مصطفى العبادى، المرجع السابق .ص٢٤٥ص٢٤٦ ... حسن صبحى المرجع السابق،ص٤٨١

[٢] بارو ،المرجع السابق، ص١٩٧

[٣] السيد الباز العرينى ،الدولة البيزنطية ،ص٢٩

الشعوب التى استمرت فى زحفها على الإمبراطورية[١]، وأن هجمات هذه الشعوب لم تتوقف–على الرغم من التحصينات والأعمال التي قام بها دقلديانوس تجاه هذه القبائل – فقد استمرت فى مهاجمة الامبراطورية واشتدت هجماتها على طول الحدود ولم تفلح جهود الأباطرة بعد دقلديانوس فى صد خطر هذه الشعوب، بل استطاعت هذه الشعوب القضاء على بعض الجيوش الرومانية وقتل بعض الأباطرة مثل الإمبراطور فالنز الذي هُزم أمام القوط وقُتل فى معركة أدرنة سنة ٣٧٨م على الرغم من أنه هو الذى سمح للقوط بعبور الحدود والاستيطان داخل أراضى الإمبراطورية سنة ٣٧٦م ، الأمر الذى يدل على التدهور والضعف الذى أصاب جسم الإمبراطورية مما جعلها لاتستطيع حتى صد الهجمات التى أصيبت بها [٢]. ومما زاد في تدفق القبائل الأوروبية وخاصة القوط أن الإمبراطور ثيودوسيوس عقد معهم اتفاقية بحيث ينزل القوط الغربيون فى بانونيا والقوط الشرقيون

ينزلون فى الأطراف الشمالية من تراقيا، وتمَ إعفائهم من الضرائب، وأجزل لهم العطاء مقابل الخدمة العسكرية، وبذلك دخل عدد منهم فى صفوف الجيش الروماني، وأصبح كل نقص في الجيوش الرومانية يعوضه القوط، وتدريجياً تحول غزو الشعوب الأوروبية المبني على الحروب إلى غزو سلمي فى أراضي الدولة وأصبحت هذه العناصر المصدر الأساسي لتكوين الجيش الروماني [٣].

ويعتبر تجنيد الجيوش من خارج الإمبراطورية من أهم العيوب فى نظم دقلديانوس العسكرية حيث أصبح الجندى لاتربطه بالإمبراطورية أى عاطفة، وإنما كان همه الحصول على المرتب والأراضى التى منحت له ، وهو ما أدى الى فقدان الجيش لقوته وحزمه منذ عهد دقلديانوس .

---

[١] سانت موس، المرجع السابق، ص٢٠

[٢] محمد ترحينى، معالم التاريخ الأوروبى الوسيط، دار الهادى، بيروت ١٩٩٢ ،ص ١٧

[٣] السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية، ص٣٩

المبحث الثانى–أثر إصلاحات دقلديانوس الإقتصادية والإجتماعية على المجتمع الرومانى.

أ- الإصلاحات الاقتصادية.

على الرغم من محاولات دقلديانوس الجادة في إصلاح اقتصاد الامبراطورية الذى وصل إلى درجة الانهيار في القرن الثالث، إلا أن بعض الباحثين يعتبر دقلديانوس مسئولاً عن الانهيار الاقتصادي للأمبراطورية حيث جعل الصناعات والحرف التجارية تحت الإشراف الحكومى المباشر فأصبح الحرفيون وأصحاب المهن والنقابات أجهزة لخدمة الدولة [١]، كما أوجد نظام اقتصادى ثابت بسيطرة الدولة على جميع الموارد الاقتصادية، بالأضافة إلى أن الدولة لم تحاول تحسين المشاريع الزراعية والتجارية والصناعية وتنميتها، ورغم أنه قام بسن القوانين التى من شأنها النهوض بالاقتصادولكنها

لم تطبق بعناية وجدية، حيث أدت إلى تأخر حدوث الاضطرابات الزراعية لفترة طويلة[٢]، وكذلك محاولته التى لم يكتب لها النجاح وهى تحديد الأسعار حتى لايتلاعب التجار بأسعار السلع والمواد الغدائية، كما أن تثبيت العملة لم يستمر بعد اعتزاله العرش، –حيث قام قسطنطين فيما بعد بإلغاء العملة التى أصدرها دقلديانوس– [٣]، وعلى الرغم من أنه خفف من أعباء الدولة الاقتصادية وذلك عندما منح جنود الحدود أراضى زراعية لزراعتها وإجبار الأبناء على أرث وظائف الأباء فأصبحت هذه الأرض مصدراً لدخل هؤلاء الجنود، الأمر الذى أدى الى التقليل من الرواتب التى تدفعها الدولة لهؤلاء الجنود وأبنائهم وهذا ماساعد على انتعاش الدولة الاقتصادى، ولكن هذا الانتعاش كان بسيطاً، وجعل تدهور الإمبراطورية

[١] السيد احمد الناصرى ،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٦٨١

[٢] رستوفتزف، المرجع السابق، ص٦٣٥

[٣] محمد مرسى، المرجع السابق، ص٦٧

بطيئاً[١]. وعلى الرغم من الجهود التى بذلها دقلديانوس في اصلاح الاقتصاد المتدهور فأن نتائجه لم تؤدِ الى نهضة اقتصادية ،ولم يعد الرخاء مثل ما كان عليه في عهد أغسطس، بل أصاب الحياة الإقتصادية تدهور لم تصب به من قبل [٢]. فتحديد الأسعار نتج عنه إراقة المزيد من الدماء بسبب تطبيق عقوبة الأعدام عند مخالفة قانون الأسعار، وهذا ادى إلى إختفاء السلع من الأسواق وارتفعت أسعارها، ونظراً للمكانة التى كان يتميز بها هؤلاء التجار داخل الإمبراطورية لم تتخذ ضدهم أى إجراءت فانونية [٣]، وذلك عندما أجبروا على العمل بقانون الأسعار، حتى أن الدولة صاحبة هذا القانون أُضطرت إلى صرف النظرعن تطبيقه، وذلك عندما طلبت من تجار الذهب المصريين أن يبيعوه بثمن يساوي اضعافه عشر مرات[٤]. وعلى الرغم من أن هذا القانون قد ألغي

فيما بعد في زمن قسطنطين، إلا أنه يعتبر وثيقة مهمة عن الأسعار في تلك الفترة . كما أن محاولته في إعادة العملة إلى سابق عهدها بآت بالفشل، لعجز الدولة عن تعويض النقص فى المعادن لهجرة الأيدى العاملة فى المناجم، فاضطرت إلى تعويض هذا النفص بتحفيض نسبة الذهب والفضة فى العملة، ولهذا رفض الناس التعامل بها وعادوا الى النظام البدائى المتمثل فى المقايضة[٥] .

وبعد انقضاء عهد دقلديانوس لم يتحسن النشاط الاقتصادى والزراعى في الأمبراطورية الرومانية وذلك بسبب هجرة السكان من الأراضى الزراعية، حيث

---

[١] اندرية ايمار ،المرجع السابق،ص٥٩٧

[٢] رستو فتزف،المرجع السابق،ص٦٢٩

[٣] اندرية ايمار .المرجع السابق .ص٥٩٧

[٤] اندرية ايمار ،المرجع نفسه،ص٥٩٧

[٥] السيد أحمد الناصرى، التاريخ السياسى والأقتصادى للامبراطورية الرومانية، ص٦٦٨

افقرت بعض المدن من سكانها وتدهورت الزراعة، ومما زاد فى تدهور المحاصيل الزراعية الجفاف حيث ذُكرأن العالم مابين عامى ٢٠٠/٤٠٠م قد أصيب بموجة جفاف نتج عنها مجاعات ، الأمر الذى دفع السكان إلى الهجرة من مكان إلى أخر بحثاً عن الطعام [١]. كما هاجرت الطبقات المتوسطة من روما إلى العاصمة الجديدة فيما بعد وهى القسطنطنية، ونتيجة لذلك انتشر الفقر داخل ايطاليا والعاصمة القديمة روما بسبب الانحطاط فى التجارة وقلة الموارد الزراعية لهروب الفلاحين والأيدى العاملة لفداحة الضرائب التى فرضت عليهم، وكذلك القسوة التى استخدمت أثناء جبايتها من الفلاحين، وقد أتجهوا إلى المدن بحثاُ عن حياة أفضل أو التجؤا إلى أصحاب الإقطاعيات الكبيرة والاشتغال بأراضيهم فى حين يتكفلون هم بحمايتهم من موظفى جباية الضرائب، والبعض منهم اتجه إلى الشرق بفضل توفر فرص العيش أكثر من الغرب وتشجيع الأباطرة

الانتقال إلى الشرق، وخاصة بعد انتقال العاصمة من روما إلى نيقوميديا، وهكذا بدأ الشرق يتجه نحو الرخاء والترف يوماً بعد يوم ، والغرب يتجه نحو الآنحطاط شيئاً فشيئاً[٢] .كما أن هذا النظام زاد الأحوال الأقتصادية سوءاً، وبما أنه ساعد على تقدير الضريبة التى ستدفعها كل مدينة، وعلى إعداد الميزانية السنوية من خلال تقدير الضرائب[٣]، إلا أنه ألزم المسئولين على جبايتها وذلك لتعويض النقص الناتج عن تأخر الفلاحين لعجزهم عن السداد أو لهروبهم، وارتفاع قيمتها أدى إلى هروب الطبقة الميسورة الحال، والتخلص من المناصب الشرفية الحكوميه في مختلف أجزاء الإمبراطورية ، كما أدى إلى القضاء على

[١] المرجع نفسه، ص٦٦٤

[٢] حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص٨

[٣] اندرية ايمار ، المرجع السابق.ص٦٥٩

الطبقة الوسطى التى جاهدت كثيراً من أجل الوصول إلى طبقة رجال السناتو[١]، ثم انضمت إلى الطبقات الدنيا، ورفضت اختيارها للوظائف الحكومية وخاصة جباية الضرائب[٢]، الأمر الذى أدى إلى فرار هذه الطبقة للتخلص من هذه الوظيفة[٣]، مما دفع الدولة إلى استخدام الجيش فى جبايتها، فاستخدم الجنود سلطاتهم وقوتهم التى وصلت إلى حد القسوة فى تحصيلها، ومما يدل على استخدام الجيش للقسوة فى تحصيلها من الذين عجزوا عن دفعها ذلك النص الذى تركه لنا أحد الفلاحين فى وادى تمبريس فى أسيأ الصغرى حيث قال " **إن الضباط والموظفين الماليين الذين يمرون بهذه المنطقة، دائماً مايتنكبون الطريق، ويغيرون علينا، فينتزعوننا من أعمالنا، ويستولون على الثيران التى تجر محاريثنا، ويطالبوننا بمطالب جبرية غير مشروعة**"[٤]، ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن الجيش وموظفى الضرائب قد استغلوا سلطاتهم فى استخدام القسوة والعنف فى جبايتها، بل وربما قاموا بفرض ضرائب إضافية

لم تكن معلومة لدى الدولة وأودعوها فى حساباتهم الخاصة، ولم ترسل مع الضرائب الأخرى إلى خزينة الإمبراطورية، كما أن دقلديانوس لم يحاول تخفيف عبء الضرائب عن الطبقات الكادحة مما جعلها مصدراً للثورة والسخط ضد حكمه، حتى أن البعض من الفلاحين فضلوا حياة العبودية لدى أصحاب الاقطاعيات الكبيرة على الحرية على اعتبار أنها توفر لهم الحد الأدنى من الحياة لعجزهم عن

(١) سانت موس ، المرجع السابق٦٠

(٢) ول ديورنت،المرجع السابق،ص٣٦٦

(٣) سانت موس ، المرجع السابق، ص٥٩

(٤) تشارلز روث، المرجع السابق، ص٩٦

سداد الضرائب لفداحتها[١]. ومما زاد في التدهور الأقتصادي للأمبراطورية دخولها في العديد من الحروب ، الأمر الذى أدى الى الزيادة فى فرض الضرائب لتسديد نفقات الحرب [٢]. أما بالنسبه للملاك والأثرياء فأستغلوا نظام الضرائب فكانوا يوزعونها على الاراضى العائدة إليهم كما يشأون دون تسديد حصيلتها إلى الدولة وهذا النظام ساعد على ظهور طبقة قنان الأرض dom Serf[٣] .

وعندما ازداد عدد الولايات ازداد عدد الموظفين والعمال الذين يقومون بالأعمال المختلفة ،حيث كان جميع الموظفين يتقاضون رواتب من الدولة، ولذا ازداد عدد الضرائب التى أرهقت كاهل المواطن الرومانى، كما زيد فى مقدارها لتوفير الأمن للإمبراطور بدفعه رواتب باهضة للجيش ، وقد استمر هذا الأمر حتى عهد قسطنطين الذى قام بزيادتها لتوفير الرواتب والمنح للموظفين ، بل واستخدم الخدمة الاجبارية والتى تمثل نظام السخرة [٤]، وهكذا بدلاً من انقاص الضرائب المفروضة زيد في فرضها، بل وجبايتها قهراً وخاصةُ ضريبتى الرأس والأرض[٥] ، وبفضل اهتمام دقلديانوس بها تحولت

الدولة إلى جهاز إدارى من الجيش لجمع هذه الضرائب[٦]. كما ترتبت على هذه الضرائب تدمير الطبقة المتوسطة والمجالس البلدية، بسبب قلة الحاصلات الزراعية والموارد المفروض عليها الضرائب ، بالأضافة إلى إجبار المشتغلين على جبايتها بتعويض النقص فيها من أموالهم الخاصة، الأمر الذى أدى

[١] هنرى بيرين ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، (الحياة الأقتصادية والأجتماعية)، ت عطية القوصى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٦، ص٦٧

[٢] السيد أحمد الناصرى تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٦٦٧

[٣] السيد أحمد الناصرى ،المرجع نفسه ،ص٦٧٢

[٤] محمد مرسى ، المرجع السابق، ص٦٧

[٥] أدورد جيبون،المرجع السابق،ص٣٠١

[٦] بارو، المرجع السابق، ص١٧٨

إلى فرار هذه الطبقات [١]. وما زاد في كثرة الضرائب هو وجود أربعة حكام، وأربعة عواصم وكل عاصمة بموظفيها وجيوشها، وهذا الأمر أصبح وبالاً على المواطن الرومانى ،الأمر الذى أدى الى القضاء على الطبقة المتوسطة الحال وخاصة الفلاحين بسبب فداحة تلك الضرائب. ومن هنا أصبح الانسان الرومانى يئن تحت أعبائها المرتفعه التى وضعتها الحكومة ، وقد أحس بنفسه على أنه لم يخلق فى هذه الحياة إلا لخدمة الدولة. كما جعل الناس لايفكرون إلا فيما يسد رمقهم، وابتعدوا عن الفنون والابتكار التى اتصف بها القدماء [٢]. وعندما تولى قسطنطين الحكم أصدر قراراً بجعل الوظيفة وراثية وإجبارية، وهذا يعنى أن مصير الطبقة الوسطى هو الفقر لامحالة، وتحول صغار الاحرار إلى أقنان بفعل الضرائب الباهضة، ومنعهم من الانتقال من وظيفة الى أخرى، بل وامتدت الوراثة إلى الجيش، حتى الخبازون انظموا فى طوائف خاصة بهم، الأمر الذى جعل الناس ينظرون الى هذه الأعمال نظرة مليئة بالكراهية لهذا النظام، بل كرهوا الحياة فى ظل الإمبراطورية بعد أن قضت على طموحاتهم وآمالهم [٣] ، وهكذا ظهرت

طوائف الصناع والتجار والموظفين ، وقد مهد هذا العمل الى ظهور نظام الأقطاع الذى عرفته أوروبا في العصور الوسطى [٤] ،كما هرب المستأجرون للأراضي عندما وجدوا أن إنتاج الأرض لايكفي لتسديد ماعليهم من ضرائب فلجأوا إما إلى الهرب أو إلى تغيير محال أعمالهم وإقامتهم، ولهذا أصدرت الدولة قراراً يربط الفلاح بالأرض، وجعل وظيفة الفلاحة وراثية حتى يستمروا في تسديد الضرائب للدولة، وأصبح الملاك

(١) سانت موس، المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) جيمس هنرى برستد .المرجع السابق .ص٦٤٠

(٣) محمد مرسى ، المرجع السابق، ص٦٨

(٤) صبيح مسكونى، المرجع السابق،ص٣١

والاثرياء يسيطرون على الأرض ومن فيها(الفلاح المستعمر من قبل المالك) وهكذا أصبح أكثرية الشعب الرومانى طبقة من الرقيق[١] ،وقد أرتبط الفلاح بالأرض ارتباطاً شرعياً نتيجة لقانون أصدرته الدولة لمنع هجر السكان للأرض، ولمنع فرار الأيدى العاملة. ولكى تمنع الدولة هروب هؤلاء الفلاحين من أراضيهم فرضت عليهم قيوداً إجبارية ، حيث أصدرت العديد من الإجراءات مثل فرض إيجار على حيازة الأرض البور التى انتقلت الى مالكها عن طريق الارث ، وقد عرفت هذه الأرض بأرض الطعمة (وهى الأرض التى يتعهد مالكها على أن يزرعها بأنواع من الزيتون والكروم والرمان والعنب)[٢]، ولهذا تدهورت حالة الفلاحين الذين تحولوا إلى شبه رقيق، وعرفوا باسم كولونى Coloni ، وتعنى الأجراء الذين يدفعون نسبة من إنتاج الأرض كإيجار لها، ومن يخرج من أرضه يتعرض للعقاب، أو تقوم الدولة بوضع يدها على أراضى الفلاحين الذين يهجرون أراضيهم ،وترتب على ذلك أن أصبحت نسبة كبيرة من الأراضى ملكاً للدولة[٣]، كما حُرم على مالكي الأراضي بيعها بدون الفلاحين الموجودين عليها، حتى لاتزيد نسبة البطالة فى الإمبراطورية، أو الهروب خارج حدود الدولة[٤].ونتيجة لهروب الفلاحين

أيضاً نجد الدولة قد فرضت على مالكى الاقطاعيات والمزارع الكبرى أن يضيفوا إلى أملاكهم أراضى غير مزروعة، حيث كشفت أوراق البردى فى مصر المشاكل التى صاحبت تطبيق هذا النظام لتهرب اصحاب الأقطاعيات الكبرى من دفع هذه الضرائب[٥]،

[١] اندريه ايمار ،المرجع السابق،ص٥٨٧

[٢] سانت موس ، المرجع السابق، ص٥٥

[٣] بارو ، المرجع السابق،ص١٨٠

[٤] مصطفى كمال عبد العليم ،المرجع السابق،ص١٠٠

[٥] سانت موس ، المرجع السابق،ص٥٥

إن الوضع الذى عاش فيه الفلاحون كان فى منتهى الارباك والفوضى والقهر، إذ ارتبط الفلاحون الأحرار بالأرض وأصبحوا جزءاً منها وصاروا يباعون إلى المالكين الجدد وتنتقل ملكيتهم من مالك إلى أخر، وهذا مادفع الفلاحين للقيام بعدة ثورات فى كافة أرجاء الإمبراطورية، بل تعدى الأمر الثورات بأن قدموا يد العون للشعوب التى هاجمت الإمبراطورية، وثار الأرقاء فى بعض المناطق ضد أسيادهم، ومن أشهر ثورات الفلاحين تلك التى قام بها فلاحى الشمال الأفريقى، وقد اشتدت تلك الثورة بعدما ظهر المذهب الدوناتى، كما ظهرت فرقة الجلادين*داخل الأمبراطورية فى شمال ايطاليا لقطع الطرق ونهب القوافل التجارية، ويعتقد البعض أن الأعمال التى قامت بها هذه الفرقة هى التى مهدت السبيل أمام الغزو الوندالى لشبة الجزيرة الأيبيرية ثم الشمال الأفريقى[١] .

وكذلك تدهورت الصناعة ،وقل عدد المستهلكين ،وانتهت الأسواق، واختفت السلع باستثناء بعض السلع الضرورية والاستغناء عن الكمالية ، ولأن الدولة عندما حددت الأسعار فقد جلبت الخراب لأصحاب المصانع الصغيرة، كما اختفت المصانع الكبيرة شيئاً فشيئاً ، ونتيجة لحاجة الدولة لهذه المصانع من أجل الجيش والموظفين ،ورجال

البلاط تحولت إلى مصانع خاصه بالدولة، بعد أن كان البعض منها ملكاً خاصاً للأفراد، حيث كانت أسلحة الجيش تنتجها هذه المصانع[٢]. وقد وجهت الأزمة التى مرت بها الإمبراطوريه في القرن الثالث ضربة قوية إلى اقتصاد الدولة ،

---

* هى طائفة دينية ظهرت فى شمال ايطاليا وسميت بهذا الاسم لان اتباعها كانوا يؤمنون بتعرية اجسادهم وتعذيبها بالسياط، عن ذلك ينظر، سانت موس، ميلاد العصور الوسطى ، ص٥٧ ومابعدها.

[١] المرجع نفسه، ص٥٧

[٢] رستو فتزف،المرجع السابق،ص٦٣٠ ؛ سانت موس ، المرجع السابق، ص٥٨

فلم تنجح إصلاحات دقلديانوس في ايقاف تدهور الاقتصاد، بل أصبح السلب المنظم تقوم به الدولة نفسها، وذلك عندما عينت موظفين أستغلوا مراكزهم داخل الدولة، واعتبار مصالحهم فوق كل عتبار، فغشوا الدولة وأسأوا معاملة الأهالى، ولهذا كون موظفي الدولة ثرواتهم عن طريق الرشوة والفساد المنظم [١]. وفُرِضت قيود على التجارة، وذلك عند الاشتغال بها يجب أن تكون تحت سيطرة الدولة التى حددت أرباح المشتغلين بها، كما أنه عندما ظهرت النقابات التجارية لم يسمح إلا لإبناء الرومان الانخراط فيها .

فشلت إصلاحات دقلديانوس من الناحية الاقتصادية، وكذلك فشل المجهود الذى بذله قسطنطين لإستكمال مابدأه دقلديانوس لإنه اتبع نفس الخط فوقع فى نفس الخطأ، وهو عدم مطاردة أصحاب الاقطاعيات الكبيرة ومعاقبة مالكيها، خاصة وأن أصحابها رفضوا الإدلاء بأى معلومات عن ممتلكاتهم، بل وقاموا بتسليح أتباعهم لمطاردة محصلى الضرائب، ولم تفرض عليهم الدولة أى ضرائب بقدر يسير، بل جل الضرائب وضعت على الطبقات الصغيرة مثل الفلاحين،والطبقات الوسطى التى أصابها الفقر، وهاجرت من مكان إلى أخر هروباً من فداحة هذه الضرائب وهذا ماجعل دقلديانوس وقسطنطين يفشلان فى حل الأزمة الأقتصادية حلاً نهائياً[٢]. بل إن الطبقة الارستقراطية استغلت تدهور الحالة الاقتصادية ووضعت يدها على الأراضى أو اشترت البعض منها بسبب

هجرة الفلاحين بعدما عرفوا أنه لافائدة من الزراعة لفداحة الضرائب ، أوقلة الأيدى العاملة فى الأراضى، ويرجح بعض المؤرخين أن

(١) رستوفتزف،المرجع نفسه،ص٦٣٤ص٦٣٥

(٢) محمد مرسى ، المرجع السابق، ص٦٨ ؛سانت موس ،المرجع السابق،ص٥٩

السبب فى هذه الأمور جميعاً التى بسببها تدهورت الأحوال الأقتصادية كانت نتيجة للنظام الذى وضعه دقلديانوس ،وقام قسطنطين بإتباعه بل ودعمه فى بعض الأحيان ايضاً (١) .

ب- أثر الإصلاحات الإجتماعية.

من الناحية الإجتماعية لم يكن أصحاب المهن الحرة والتجار أسعد حالاً من الفلاحين ،حيث قيدتهم الدولة بأعمالهم التى جعلتها وراثية ،والتدهور الأجتماعي للفلاحين الذين التجؤوا إلى الهروب الجماعى بسبب الضرائب المرتفعه التى فرضت عليهم، كما قاموا بتسليم أراضيهم إلى الاقطاعيين والطبقة الارستقراطية مقابل أن تدفع هذه الطبقة الضرائب المفروضة على الفلاحين، ولكنها لم تدفع الضرائب بسبب مركزها الاجتماعي المرموق الذى تحصلت عليه فى الدولة فاستغلته لصالحها، فغشت الدولة وأسأت معاملة السكان (٢).ونتيجة لثقل الضرائب وهروب الفلاحين منها تحولت الكثير من الأراضى الزراعية الى بور، وتحول الفلاحون إلى قطاع طرق وأخذوا يهاجمون الطرق التجارية (٣).

وقد تميزت أحوال المجتمع خلال هذه الفترة بطبقة أقنان الأرض لخضوع الفلاح والأرض لأصحاب الأقطاعيات الكبيرة، وهذا النظام (أقنان الأرض) يعتبر من أهم مميزات التاريخ الأوروبى فى العصور الوسطى (٤)، وقد تحول أصحاب المهن إلى نقابات بسبب الاصلاحات التى سنها دقلديانوس، وذلك عندما أجبر الأبناء أن يرثوا وظائف

الآبــاء، فكــون الحرفيــون مــن حــدادين وخبــازين، وأصــحاب الحــرف الصــغيرة

---

[١] السيد الناصرى، التاريخ السياسى للإمبراطورية الرومانية، ص٦٠١

[٢] السيد احمد الناصرى ،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٦٦٦

[٣] رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٦

[٤] السيد الناصرى، التاريخ السياسى للأمبراطورية الرومانية ،ص٥٩٩

نقابات خاصة بهم عرفت بالنقابات الحرفية، وقد لجأ أصحاب الهيئات الحرفية إلى الهروب من مهنهم الحرفية، إما بدخول الجيش أو التحول إلى أقنان للأرض يعملون لدى أصحاب الاقطاعيات الكبرى، لعجزهم عن دفع الضرائب التى فرضتها الدولة عليهم [١]. ونتيجة للهروب الجماعى نقص عدد السكان، كما أن الدولة لم تهتم بالطبقات الدنيا ولم تنظر إليها نظرة احترام وتقدير، ولم تهتم بمصالحها، سوى الاقتصادية والاجتماعية والصحية، حيث انتشر وباء الطاعون فى عهد دقلديانوس الذى قضى على أعداد كثيرة من سكان الإمبراطورية، بالأضافة إلى هجمات الشعوب الأوروبية على الإمبراطورية التى كان لها دور فى انخفاض نسبة السكان وخاصة فى المناطق الحدودية[٢]، وتعتبر بلاد اليونان وأيطاليا بالأضافة الى بلاد الغال من أهم المناطق التى تعرضت للنقص فى عدد السكان، كما أن عدد السكان لم يكن متجانساً فى الإمبراطورية ، فالقسم الشرقى امتاز بكثافة عالية حيث شجع الأباطرة الناس على الاستقرار فى الشرق، ومن هؤلاء الأباطرة قسطنطين الذى شجع على الاستيطان فى الشرق، وخاصة بعدما أنشأ عاصمته الجديدة مدينة القسطنطنية، كما أنه لم توجد فى الغرب مدن تعادل المدن الشرقية المكتظة بالسكان مثل مدن أسيأ الصغرى وسوريا ومصر باستثناء مدينتى روما وقرطاجة. وعلى الرغم من صغر حجم مساحة مصر بالنسبة لإمبراطورية مترامية الأطراف إلا أن عدد سكانها يتجاوز بكثير عدد سكان الإمبراطورية فى مناطق أخرى[٣].

كما لم تقم الدولة بتوزيع العقارات بالتساوى وخاصة أراضى الحدود التى منحتها فى البداية للجنود المرابطين على الحدود، ________________

(١) سانت موس ، المرجع السابق، ص٢١

(٢) محمود سعيد عمران، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، ص٥٠

(٣) اندرية ايمار، المرجع السابق ،ص٥٨٨

ولم تمنحهم جميعهم الأراضى، حيث منحتها للقادة وكبار الضباط فى حين حرمت صغار الضباط وباقى أفراد الجيش منها، وعندما أجبر دقلديانوس على أرث الوظائف، أصبح مالكيها من أصحاب الاقطاعيات، لأنهم اهتموا بالأرض ولم يعد الرومان يشتغلون فى الجيش، وخاصة عندما سُمح للقبائل الأوروبية الانخراط فى سلك الجندية الرومانية، الأمر الذى أدى الى ظهور طبقة جديدة من ملاك الأراضى، مما أدى إلى الخراب والقضاء على أعضاء مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان والطبقة الارستقراطية التى كان لها نفوذ داخل الدولة قبل هذه الإصلاحات، والذين حرموا من القيادة فى الجيش فلم يشملهم قانون الأراضى هذا، والطبقات المتوسطة الحال التى كان أصحابها عادةً يشغلون منصب جباة الضرائب– الذين تخلوا عن عمل الجباية لأنه كان لزاماً عليهم تعويض النقص فى هذه الضرائب من أموالهم الخاصة– الذين تحولوا من خلال إصلاحات دقلديانوس وبإجبار منه الى طبقة وراثية حتى لاتستطيع الهروب من وظائفها[١].

ونتيجة لإجراءات دقلديانوس الاقتصادية والاجتماعية نجد أن المجتمع الروماني قد انقسم الى طبقتين متميزتين، طبقة متوسطة وتضم بعض أعضاء مجلس الشيوخ، ورجال الجيش، وطبقة ارستقراطية وتمثلت فى أصحاب الاقطاعيات الكبيرة ، الأمر الذى نتج عنه صراع بين سكان الريف البسطاء تؤيدهم الطبقات المتوسطة وبعض أعضاء السناتو ومجموعة من رجال الجيش، وبين الطبقة الارستقراطية صاحبة الاقطاعيات الكبيرة التى

سكنت فى المدن، وعاشت على ماتنتجه أراضيها دون الاشراف المباشر عليها تؤازرها الحكومة وكبار الموظفين داخل الدولة الذين تحصلوا

---

(١) احمد محمد انديشة ، الحياة الأجتماعية فى المرافىء الليبية وظهيرها فى ظل السيطرة الرومانية،ص٢٧٦

على الرواتب التى كان يدفعها الفلاحون والطبقات المتوسطة الحال من خلال الضرائب التى فرضت عليها[١]، والتى لم ينظر إليها بعين العطف بل نظروا إليها على أنها مخلوقات سيئه لم تخلق إلا لخدمة الساده، وهكذا نجد طبقة زاد ثراؤها يوماً بعد يوم وطبقة اقتربت من الفقر خطوة بعد خطوة[٢].

وهكذا فأن إصلاحات دقلديانوس قد أدت إلى تدهور المجتمع الروماني من الناحية الاقتصادية ، وزاد الحالة الإجتماعية سوءاً الضرائب الاستبدادية نتيجة للزيادة الهائلة في عدد الجنود والضباط[٣] .

[1] السيد أحمد الناصرى، التاريخ السياسى والأقتصادى للأمبراطورية الرومانية،ص٦٧٤ص٦٧٥

[2] رستو فتزف، المرجع السابق،ص٦٣٦ ص٦٣٧

[3] دى هاينز، ، المرجع السابق ،ص٦٨

البمبحث الثالث–إثر إضطهاد دقلديانوس على الحياة الدينية فى المجتمع الرومانى.

كان دقلديانوس أثناء إصلاحاته الدينية يهدف إلى إعلاء مكانة الإمبراطور، في الوقت الذي كان فيه عدد المسيحيين في تزايد[1]. إن الاضطهاد الذى قام به دقلديانوس أدى الى نشوء المعارضة مع تدهور اقتصادي واجتماعي. ويرى بعض الباحثين أن الاضطهاد كان أحد أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية .كما أن الوثنيين والمسيحيين كلاً منهم يضع اللوم على الآخر ،فالوثنيون يرون أن ذلك كان بسبب غضب الألهة الوثنية القديمة التى واكبت نمو روما وتطورها فنقمت على الرومان بسبب اعتناق العديد منهم الديانة المسيحية ، أما المسيحيون فيرون أن الاضطرابات التى أصابت الإمبراطورية كانت بسبب الخطايا التى ارتكبها الرومان قبل اعتناق المسيحية [2].

والاضطهاد الديني الذي بدأه دقلديانوس أستمر حتى بعد اعتزاله الحكم ، بل واستمر بعنف خاصة في الولايات التابعة لجاليريوس وهى الليريكوم وتراقيا وآسيا الصغرى، وكان جاليريوس هذا يصدر أحكامه بشدة ووحشية وعنف ضد المسيحيين فكانوا يلاقون التشوية والتمثيل، بل قام بقتل لنساء والأطفال والشيوخ الذين رفضوا تقديم القرابين للآلهة الوثنية، وقد قام ببناء كنيسة وثنية على نفس النمط الكنسي والكهنوتي لدى المسيحيين، وهو الذى أقنع قبل ذلك الإمبراطور دقلديانوس بضرورة استئصال المسيحيين[3] .وعلى الرغم من أن جاليريوس هو الذي دعى إلى أضطهاد المسيحيين إلا أنه قام بأصدار مرسوم يمنع فيه اضطهاد المسيحيبين ، وقرر التسامح

[1] جوزيف نسيم ،المرجع السابق،ص٤٣

(٢) حسن الشيخ ،المرجع السابق،ص١٢٢

(٣) السيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٥٧٩

الديني سنة٣١١م لأن الأضطهاد أدى الى تعطيل إيرادات الدولة الزراعية والصناعية، وتدهور الحالة الاجتماعية وتفشت الأوبئة والأمراض بين السكان وانتشرت المجاعات[١]. ونتيجة لتزايد الشعوب الأوروبية على الحدود وحفاظاً على سلامة الإمبراطورية قرر الإعتراف بالدين الجديد، وربما كان وراء هذا القرار ابنته أنستاسيا وأمه هلينا اللتان كانتا مسيحيتين[٢]، أو من اقتناعه بأن أعمال العنف والاستبداد والطغيان لايمكن أن تؤدى إلى إبادة شعب أو القضاء على المعتقدات الدينية لطائفة معينة[٣]. فسمح للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية وفتح كنائسهم في جميع أرجاء الإمبراطورية، حيث قال: " **من بين المهام الخطيرة التى تشغل أذهاننا ، من أجل مصلحة الأمبراطورية ...وأعادة بنائها، وفقاً للقوانين القديمة والنظام العام...وإنا لشديدو الرغبة...فى أن نهدى ...أولئك المسيحيين ...أن المراسيم التى أصدرناها عرضت الكثير من المسيحيين للخطر ...ولذلك نرخص لهم فى إعلان آرائهم الخاصة فى حرية تامة ، وفى عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف شريطة أن يظهروا دوماً الاحترام اللائق للقوانين والحكومة...**" [٤]. من خلال هذا الأعلان يتضح لنا أن السبب فى عملية الاضطهاد لم يكن بسبب اختلاف العقيدة بين الدولة ورعاياها من المسيحيين، وإنما كان سياسياً لأن وجود المسيحيين واتباع أوامرأخرى غير تلك التى يصدرها الإباطرة المتمثلة فى الكنيسة تختلف عن الفكر السياسى لديهم ، وهو وحدة الإمبراطورية ومكانة الإمبراطور فوق كل اعتبار، ولهذا رفضوا وجود قوة أخرى داخل الدولة لاتتبع أوامرهم ، بل اعتبرت الكنيسة دولة داخل دولة، ولذا يجب اخضاعها مثلما خضعت

---

(١) مراد كامل ،حضارة مصر فى العصر القبطى، مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة د ت ،ص٣٢ص٣٣

(٢) جوزيف نسيم ،المرجع السابق ،ص٤٤

(٣) ادوارد جيبون ،المرجع السابق، ص٣٣٥

(٤) ادوارد جيبون، المرجع نفسه، ص٣٣٦ ؛ أسد رستم ،المرجع السابق،ص٥٤

المؤسسات الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والقيام بمناهضتها ومحاربتها ولذا حرص دقلديانوس وشركائه على القضاء على المسيحية وأتباعها(١).

أما ماكسيمينوس- الذى سيطر على الولايات الشرقية بعد موت جاليريوس- فعلى الرغم من أنه لم يصدر مرسوماً عاماً مثل جاليريوس إلا أن رئيس حرسه وجه كتاباً الى الولاة والحكام حثهم فيه عن رفق الأباطرة، وطلب منهم غض الطرف عن الاجتماعات السرية للمسيحيين (٢) . وقد أكمل هذا التسامح قسطنطين عندما قام بتوجيه كل رعاية وعطف للمسيحيين والمسيحية وسمح للكنيسة بتلقى بعض الهبات من الأموال .كما أنه سمح بتشييد العديد من الكنائس داخل عاصمته القسطنطينية، وفى غيرها من مدن الإمبراطورية (٣) ، ثم أصدر فى سنة ٣١٣م قرار ميلان الشهير الذى أعلن فيه تسامحه مع الديانة المسيحية (٤). ولكن هذا التسامح لم يستمر طوال عصر الإمبراطورية البيزنطية ، ففى حين نجد هناك بعض الأباطرة قد أعتنق المسيحية وأيدها ومنهم الإمبراطور قسطنطين، نجد البعض قد أيد الوثنية مثل الإمبراطور جوليان٣٦١م الذى عرف بجوليان المرتد، وعلى الرغم من ذلك هناك من الأباطرة من اتخذ موقفاً وسطاً لا أعتنق المسيحية ولا أيد الوثنية، ومن أشهرهم الإمبراطور ثيودوسيوس الذى أصدر فى سنة ٣٧٨م قراراً حرم فيه المعابد الوثنية، وقوانين تقرر بأن ألهة المسيحية ليس لها وجود (٥) . ولكن الاضطهاد الديني الذي قام به دقلديانوس

---

(١) رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الأنسانية، الأسكندرية ١٩٩٤ ... محمد مرسى، المرجع السابق،ص٢٦

(٢) ادوارد جيبون، المرجع السابق ،ص٣٣٧

(٣) السيد أحمد الناصرى ،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى،ص٥٧٩ ص ٥٨٠

(٤) محمد على عيسى ، معالم من الأثار من المسيحيه المبكرة في ليبيا ،ص١٠٧

(٥) بارو ،المرجع السابق،ص١٩٢

ضد المسيحية ومعتنقيها قد جاء بعكس ماكان متوقعاً وهو القضاء على المسيحيين . بل إن الاضطهاد شد من عزائم معتنقى الديانة الجديدة ومن تم أخذوا يجتمعون في بيت أحدهم وينقادون لمعلم ويتبعون تعليماته، وقد سيطر عليهم جو من المحبة والتسامح ، واختفى التمييز الطبقى والجنسي بينهم[١]. كما أنه فشل فشلاً تاماً في القضاء على المسيحيين داخل الولايات، بل إن الاضطهاد بعث روح الشجاعة والصبر والإيمان لدى المسيحيين ، فالتعذيب والقتل الذى واجه به شهداء المسيحية مصيرهم أصبح مثار فخر وإعجاب الكثيرين الذين اقبلوا على أعتناق الدين الجديد، وهكذا أصبحت المسيحية قوية بسبب الزيادة فى عدد أتباعها[٢]، فلم تأتِ سنة ٣٠٠ م إلا وكان هناك عدد كبير من الرومان يدينون بالمسيحية ، وذلك لأن غالبية السكان وكثيراً من الموظفين، وحتى موظفي القصر الإمبراطوري كانوا من المسيحيين[٣]. كما أن هذا الاضطهاد يعتبر أكبر انتصار للمسيحية ضد أعدائها لأن دماء شهداء المسيحية كما يرى تيرتوليان هى البذور التى نبتت منها المسيحية[٤]. وعندما اعتزل دقلديانوس الحكم رأى أن آماله في القضاء على المسيحية تنتهى بالفشل كما فشل نظامه الرباعى .

إن الاضطهاد ومن ثم التسامح الدينى أدى إلى أزدهار الفنون وخاصة فن النحث الذى امتاز بنقش التوابيت الرخامية والمنحوتات البارزة، وخاصة بين عامى ٣١٣ / ٥٢٧م وكانت معظم هذه النقوش موضوعات تمثل المصلين والشعائر الدينية وموضوعات تناولت معجزات السيد المسيح[٥] . كما أن الاضطهاد كان سبباً في

---

(١) لبيب عبد الساتر ،الحضارات .ط٩ .دار المشرق . بيروت ١٩٨٦.ص٢٠٢

(٢) عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق، ص٣٥

(٣) ويلز .المرجع السابق،ص١٨١

(٤) محمد عيسى ، معالم من الاثار من لمسيحيه المبكرة في ليبيا ،ص١٠٦

(٥) محمد عيسى ، المرجع نفسه، ص١٠٧

ظهور الحركة الدوناتية Donatism، التى كان يتزعمها دوناتوس، حيث أقبل أهل الشمال الأفريقى على اعتناق الدوناتية ، وظهرت هذه الحركة بعد موجة الاضطهاد التى قام بها دقلديانوس، وانتشرت فى نهاية القرن الثالث الميلادي وأشتد خطرها مع بداية القرن الرابع الميلادى [١] ، وذلك لأخذ موقف من الخونة الذين سلموا الكتاب المقدس للسلطات الرومانية ورفضهم المطلق قبولهم فى الكنيسة، ففى سنة ٣٠٣م أصدر دقلديلنوس مرسوماً يقضى باضطهاد المسيحيين، وهدم الكنائس وإحراق الكتاب المقدس، ويبدو أن هذا الاضطهاد كان قاسياً فى الشمال الأفريقى، فاضطر أساقفة نوميديا الادعان للمطالب الرومانية وسلموا مابحوزتهم من نسخ الكتاب المقدس، كما قام الأسقف فندانوسFundanus فى آبيتينا(قرية صغيرة فى تونس) بتسليم نسخ الكتاب المقدس، وعندما اجتمع أهل آبيتينا أصدروا قرارهم الذى أدانو فيه رجال الدين وأطلقوا عليهم اسم الخونة لتسليمهم الكتاب المقدس للسلطات الرومانية، وبعد موت أسقف نوميديا فاليريوس valerius – الذى سلم هو أيضاً نسخ الكتاب المقدس للرومان– سنة ٣٠٤م، تم اختيار منصوريوس أسقفاً للكنيسة النوميدية ، ولكن الشبهات بدأت تحوم حول منصوريوس بأنه سلك مسلك فاليريوس فى تسليم نسخ الكتاب المقدس، وقد أشار أثناء التحقيق معه بأنه سلم الرومان كتب لاتتعلق بالديانة المسيحية، والتى أطلق عليها كتب الهرطقة، ولذلك فهو برئ من تلك التهمة، وبعد وفاة منصوريوس، انحصر الصراع حول الأسقفية بين دوناتوس الذى بدأ يظهر على

---

[١] أحمد محد انديشة ،الحياة الاجتماعية فى المرائى الليبية الغربية وظهيرها فى ظل السيطره الرومانية، ص٢٧٥

مسرح الصراع الكنسى، وبين كاكليان وعندما استولى قسطنطين على شئون الحكم أصدر قراراً بأحقية كاكليان فى تولى شئون الكنيسة فى نوميديا، وعندما رفض أهل الشمال الأفريقى المعتنقين للمذهب الدوناتى هذا القرار تم إرسال أساقفة من بلاد الغال لحسم النزاع فجاء الحكم مرةً أخرى فى غير صالح دوناتوس، الأمر الذى دفع الدوناتيين إلى توحيد صفوفهم والوقوف فى وجه السلطات الرومانية، وفى نهاية المطاف عندما عجز قطسنطين فى القضاء على هذه الحركة نجده يصدر قراراً بالعفو عن المضطهدين، وترك أمرهم حسب قوله إلى الله [1]، كما سمح للمنفيين بالعودة إلى أوطانهم .

ومن هنا يمكن حصر أسباب قيام هذه الحركة، فى النزاع الذى ظهر بين رجال الدين حول موقف الكنيسة من المسيحيين الذين سلموا نسخ الكتاب المقدس للسلطات الرومانية لإحراقه ، فكانت الكنيسة لاتمانع فى عودتهم الى رحابها طالما أنهم أعلنوا الندم والتوبة. ولكن فكرة التسامح التى ظهرت من الكنيسة لم تلقِ ترحيباً من الدوناتيين لأنهم اعتبروا هؤلاء المسيحين ضعافاً فى شخصيتهم لذا يجب إعادة تعميدهم حتى يتم قبولهم فى المجتمع المسيحي مرةً اخرى[2]، فى حين يرى اخرون أنها ظهرت بسبب التنافس حول رئاسة الكنيسة القرطاجية بين دونانس وكاكليان زمن الأمبراطور دقلديانوس[3]. ورغم أن هذه الحركة تمثل انشقاقاً دينياً أصلاً، إلا أنها تحدياً صارخاً للنفوذ الرومانى في شمال أفريقيا، وقد بدأت بعد موجة

---

[1] خليفة بن ناصر، الدوناتية، البحوث التاريخية ،السنة الخامسة ،العدد الاول.مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس ١٩٩٣، ص١٤

[2] أحمد محمد انديشة ، الحياة الاجتماعية فى المرافئى الليبية وظهيرها فى ظل السيطره الرومانية ،ص٢٧٥ص٢٧٦ ؛ مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ،ص١٠٠

[3] أحمد محمد انديشة ، الحياة الاجتماعية فى المرافئى الليبية وظهيرها فى ظل السيطره الرومانية ، ص٢٧٦

الاضطهاد التى تعرضت لها المسيحية. وقد بدأت الدوناتية تأخذ شكلاً عنيفاً ضد السلطات الرومانية عندما قامت تلك السلطات بنفي زعيمها دوناتس إلى بلاد الغال (فرنسا) ومات هناك [٣] . وإلى جانب الحركة الدوناتية ظهرت حركة أخرى عرفت بأسم الكيركومكيليون Circumcelliones (الدوارين) ، وعلى الرغم من أن أسباب ظهور هذه الحركة لم تكن معروفة على وجة التحديد، إلا أنه من المرجح أن يكون لحالة الفقر والبؤس التى كان يعيشها السكان فى شمال أفريقيا تحت السيطرة الرومانية دوراً فى ظهور هذه الحركة، وهم جماعة من المزارعين الذين كانوا يجوبون مناطق شمال أفريقيا، وعملوا على السلب والنهب من مستودعات الحبوب للاقطاعيين الرومان والأثرياء من المسيحيين والوثنيين على السواء [٤]، كما أخذوا يشنون الحملات ضد الوجود الروماني .وعلى الرغم من أن الدوناتيين والدوارين كان هدفهم واحد وهو طرد المستعمر الرومانى، إلا أنه لم يكن بينهم أي إتصال فى بداية الأمر، ولكن في النهاية وقف أساقفة الدوناتية موقف العداء من هذه الحركة حيث طلبوا من القائد الروماني في أفريقيا إعادة الأمن إليها فاستجاب لهم وقضى على مجموعة كاملة من جيش الدوارين ومنع الدوناتيين وضع قبور الضحايا الدوارين في الكنائس ، ولكن الشعب كان على العكس حيث أكرم الثوار وأصبح ميدان المعركة أرض مقدسة حيث تضم شهداء الثورة ، كما أصبحت أضرحة الشهداء مكان مقدس ، ويعتبر ضريح الشهيد مارقلوس Marculus من أشهر هذه الأضرحة[٣]، ونتيجة لهذا نشأ صراع

---

[١] محمد سليمات ايوب ، جرمه فى عصر ازدهارها من ١٠٠الى٤٥٠م، ليبيا فى التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازى١٩٦٨ ،ص١٧٣

[٢] أحمد محمد انديشة ،الحياة الاجتماعية فى المرافئى الليبية وظهيرها فى ظل السيطره الرومانية، ص٢٧٧

؛ مصطفى عبد العليم، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، ص١٠٠ص١٠١

[٣] شارل أندرية جوليان ،المرجع السابق، ص٢٩٧ص٢٩٩

طويل بين الكاثوليك والدوناتيين، وهو الصراع الذي شغل الكنيسة في أفريقيا خلال القرن الرابع الميلادي[1]. وفى النهاية كل الاضطهادات التى قام بها الإمبراطور دقلديانوس والأباطرة من بعده ضد المسيحيين جأت بعكس ماهو متوقع منها خاصة بعد تزايد خطر الشعوب الأوروبية على حدود الإمبراطورية مما جعل الأباطرة يتجهون إلى معالجة الهجمات على الحدود، حتى أن الإمبراطور جاليريوس الذي أشتهر بعدائه للمسيحية طالب بالمحافظة على سلامة ووحدة الامبراطورية، ولو تطلب الأمر الاعتراف بالمسيحية [2].وقد أكمل هذا التسامح الإمبراطور قسطنطين عندما أصدر مرسومه الشهير باسم مرسوم ميلان، الذى بموجبه أصبحت المسيحية تعبد فى كافة أرجاء الدولة، تم أصبحت بعد عدة سنوات الدين الرسمى للإمبراطورية الرومانية .

---

[1] للمزيد من المعلومات عن هدة الحركة ينظر ... خليفة بن ناصر ،المرجع السابق، ص٧ ومابعدها.

[2] جوزيف نسيم ،المرجع السابق ،ص٤٤

الخـاتمــة

تناولت هذه الدراسة إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس داخل الإمبراطورية الرومانية بداية بالسياسية مروراً بالاقتصادية والاجتماعية وانتهت بالدينية وأثرها على الدولة ، وقد تعرضت إلى الفترة التى سبقت عهد دقلديانوس والتى عرفت بزمن الفوضى التى شهدها القرن الثالث الميلادى ، حيث إن الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثالث الميلادى ظهرت عليها بوادر الضعف واضحة، فاضطربت الأحوال الداخلية، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية .

وقد توصلت الدراسة إلى أن عدم وجود وريث شرعى يتولى العرش أدخل الدولة فى اضطرابات سياسية، وأدى إلى عدم الاستقرار، وشجع الجيش على الخوض فى هذه الاضطرابات بأن أصبح يعين من أراد ويعزل من أراد من قادة الجيش، كما استخدم الجيش سطوته فى قمع الأهالى خاصة الدين عجزوا عن دفع الضرائب التى تعسف الأباطرة فى فرضها من أجل دفع مرتبات الجيش، خاصة بعد أن توقفت الفتوحات ونقص ورود الغنائم للعاصمة الرومانية روما، وكانت معظم هذه الضرائب على الأراضى الزراعية فهربت الأيدى العاملة فى الزراعة، وهجرت الطبقة المتوسطة من الفلاحين أراضيها، واختل نظام النقد وأصبح التعامل بالمقايضة ، وهكذا نجد فى القرن الثالث أن الإمبراطور بدلاً من أن يحكم بواسطة الجيش أصبح الجيش يحكم بواسطة الإمبراطور.

كما تشجعت بعض الأقاليم محاولة الاستقلال عن الدولة الرومانية، وقيام بعض الثورات والحركات الانفصالية داخل جسم الدولة، كما أن هذه الأمور شجعت الشعوب المحيطة بالإمبراطورية بالإغارة على الأراضى الحدودية فى بداية الأمر حتى نجحت بعد ذلك فى الأستيطان داخل الدولة وبموافقة بعض الأباطرة أحياناً .

وعندما تولى دقلديانوس الحكم قام بعدة إصلاحات محاولة منه فى وقف تدهور الإمبراطورية واتجاهها نحو الهاوية، وعلى الرغم من أن هذه الإصلاحات لم تنجح فى وقف انهيار الإمبراطورية، إلا أنها خففت من سرعة هذا الأنهيار، حيث استطاعت أحدى الشعوب المحيطة بالإمبراطورية أن تستولى على العاصمة الرومانية العتيقة(روما)، ومنذ ذلك الوقت ظهر فى الغرب ماعرف بالإمبراطورية الرومانية الغربية، وقد تبين أن نقل العاصمة من الغرب إلى الشرق فى زمن دقلديانوس أدى إلى تدهور مركز روما فى الغرب، وازدهار العاصمة الجديدة التى اتخدها دقلديانوس مقراً لحكمه، كما أن الآباطرة بعد ذلك شجعوا على الاستقرار فى الشرق، وخاصة بعدما أنشأ قسطنطين مدينة القسطنطينية، ولذا نجد الأباطرة قد عجزوا عن حماية الغرب وعاصمته روما .

كما فشل نظام دقلديانوس فى المحافظة على كيفية تولى الحكم فعادت الحروب والمنازعات على الرغم من أن دقلديانوس قد أوجد نظام تابت بتولى الحكم عندما عين أغسطس ليساعده فى حكم الغرب وينوب عنهما قيصران يتولان الحكم بعد وفاتهما .

وتبين لنا أن دقلديانوس قام مثل أباطرة القرن الثالث عندما وضع حكمه فى يد الجيش، فعلى الرغم من أنه حاول الحد من نفود الضباط والقادة فى الجيش، بأن منع السناتو والطبقة الأرستقراطية من تولى قيادة الجيوش، إلا أن اصلاحاته الاقتصادية جأت جميعها الى جانب الجيش ، فقانون الأسعار كان من أجل الجيش حيث ذكر الجيش من خلال هذا القانون ولم يذكر أى فئة أخرى من طبقات المجتمع،
والضرائب فرضت من أجل توفير المرتبات والمنح للجيش وقادته، والأراضى منحت للجنود ولم تمنح إلى أى فئة أخرى .

وقد أجبرت الضرائب السكان على هجر أراضيهم أو مقر سكناهم الأمر الذى نتج عنه تدهور أحوال المجتمع أكثر من التدهور الذى مرت به خلال القرن الثالث، كما أدى هذا الى نقص عدد من الطبقة الآرستقراطية المتوسطة وتحولت إلى شبه عبيد الأرض، وزاد الأمر سوءً عندما أجبر الأبناء على أرث وظائف الأباء .

وفى المجال الدينى لم يضطهد دقلديانوس المسيحيين بسبب اختلاف ديانتهم عن الديانة التى يدين بها الأباطرة، وإنما كان بسبب فكر دقلديانوس السياسى الذى يهدف إلى احترام مكانة الإمبراطور ، وذلك عن طريق العبادة الإمبراطورية، ولذا رفض فكرة وجود عبادة أخرى لاتقوم بعبادة وتقديس الأباطرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى رفض خروج مجموعة من طبقات المجتمع الرومانى عن تنفيذ أوامره، بعدما أحكم سيطرته على كافة شئون الدولة، وأصبحت كل الطبقات تدين له بالولاء . وهكذا بدلاً من القضاء على الديانة المسيحية ومعتنقيها نجد أنها قد ازدادت قوة وكثر معتنقيها، حتى أن جاليريوس أقر بحرية الديانة للمسيحيين، وقد توجت المسيحية هذا الانتصار بأن أصبحت الدين الرسمى للدولة بعد أن أصدر قسطنطين مرسومه الشهير بميلان سنة٣١٣م .

وعندما اعتزل دقلديانوس الحكم كان لقيصره جاليريوس أكبر الأثر فى ظهور الاضطرابات السياسية من جديد، ربما لأطماعه فى تولى العرش بعد اعتزال دقلديانوس، وهو مايفسر عودته واشتراكه فى المنازعات حول العرش .

ومن خلال هذا العرض لهذه الإصلاحات نجد أن محاولات دقلديانوس فى إصلاح أحوال الإمبراطورية قد فشلت فى بعض الجوانب، مثل مشكلة ولاية العهد، وإعادة النقد إلى وضعه الطبيعى ومنع تزييف العملة، والقضاء على الثورات والحركات الانفصالية داخل جسم الدولة، كما أنه فشل فى إقرار الأمن داخل الدولة، وزاد من فداحة الضرائب بدلاً من الحد منها، وهاجر السكان من مكان الى أخر بحثاً عن حياة أفضل، وأصبح

للجيش نفوذه مثل ماكان عليه خلال القرن الثالث، كما أن الدولة لم تطور الزراعة والصناعة من أجل حياة السكان وإنما اقتصرت الصناعات والموارد الزراعية على مايهم الدولة فقط .

وعلى الرغم من أن إصلاحات دقلديانوس أوجدت إمبراطورية واحدة مترابطة تحكمها قوانين ومبادئ، وحكومة مركزية، إلا أنها كانت لفترة زمنية قصيرة ومحدودة تمثلت فى فترة تولى دقلديانوس الحكم، وقد انتهت بانتهاء حكمه، وعادت المشاكل والحروب إلى ماكانت عليه خلال القرن الثالث الميلادى، ثم أصبحت هذه الاضطرابات من الأسباب التى أدت الى سقوط الإمبراطورية الرومانية نهائياً فى أيدى القبائل الأوروبية سنة٤٧٦م .

١- القرأن الكريم .

٢- الكتاب المقدس، العهد الجديد، دار الكتاب المقدس، القاهرة ٢٠٠٥ .

٣- أبـوبكر يحيـى النـووى ، ت٦٧٦هجرى،ريـاض الصـالحين ط١،دار ابـن حـزم للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠٠١.

٤- بى الفتح محمد عبد الكريم الشهرتانى ، الملل والنحل ج١ ، تحقيق محمد فريد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة د ت .

٢-المـصادر الأجنبية القديمة .

1- يوسـابيوس القيصـرى، تـاريخ الكنيسـة،ط٣، ت القمـص مـرقس داود، مكتبـة المحبة، القاهرة١٩٩٨

٢- بطليمـوس، الجغرافيـا مـج١، ت فـؤاد سـزكين، معهـد تـاريخ العلـوم العربيـة والأسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٩٨٧.

3- STRABO,GEOGRAHY(L.C.L)

4- Ammianus marcelinus. History(L.C.L) translated by: John C.rolf.London.1972.

ثانياً:- المـراجع العربيــة والمترجمــة.

١- المراجع العربية

١-ابوزهرة، محمد ، محاضرات في النصرانية ط٣، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦١ .

٢-الأثرم، رجب عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ط٢، جامعة قاريونس، بنغازي، ,١٩٩٨

٣-أنديشـة، أحمد ، عبد الحكيم الكعبى، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، مصراتة٢٠٠٥.

٤–أنديشة، أحمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ط٣، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة ١٩٩٣ .

٥–أيوب، محمد سليمان، حمله كورنيليوس بالبوس على فزان سنة١٩ق م،ليبيا في التاريخ ،المؤتمر التاريخي الأول ،الجامعة الليبية كلية الاداب١٩٦٨.

٦-____________، جرمه في عصر أزدهارها من ١٠٠الى ٤٥٠م، ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية، بنغازي ,١٩٦٨

٧–باقر طه، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج٢ ط٢، بغداد ١٩٧٣

٨–البرغوثى، عبد اللطيف محمود،التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامى ،دار صادر بيروت ١٩٧١.

٩–بكرى، حسن صبحي، الإغريق والرومان والشرق الاغريقى الروماني، دار عالم الكتاب للنشر ،الرياض١٩٨٥.

١٠–جبران، نعمان محمود ،روضه سحيم حمد ،دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ،مؤسسه حماد للخدمات الجامعيه ،الأردن ,١٩٩٨

١١–جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة ،بيروت ١٩٧٩.

١٢-دبوز، محمد على ، تاريخ المغرب الكبير ج١، دار الفكر، بيروت ١٩٦٤.

١٣–زخور، فرج توفيق،قصة الأقباط ط١، لبنان ١٩٩٣.

١٤–زيادة ، نقولا ،شاميات، دراسات فى الحضارة والتاريخ ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن١٩٨٩

١٥–حسن، خالد ، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦.

١٦–حسونة، خليل إبراهيم، الماسونية قديماً وحديثاً ط١، مكتب الأعلام والبحوث والنشر، طرابلس ١٩٩٤.

١٧-حميد، فوزي محمد، عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة ط٢، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ,١٩٩٩

١٨-طعيمه، صابر،الأسفار المقدسة قبل الإسلام ط١ ،عالم الكتاب ،بيروت١٩٨٥.

١٩-طلاس، العماد مصطفى، زنوبيا ملكة تدمر ط٢ ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق١٩٨٩ .

٢٠-الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة١٩٩١.

٢١-اليافى، سامي، الحضارة الانسانيه بين الشرق والغرب في عشرة قرون، مطابع العالم العربي ،القاهرة د ت .

٢٢-يحيى ،لطفي عبد الوهاب،العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ط٢.دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٩ .

٢٣-اليوسف، عبد القادر احمد ، الإمبراطورية البيزنطية ،المكتبة العصرية ،بيروت ١٩٨٤,

٢٤-كامل ، مراد ،حضارة مصر في العصر القبطي، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة د ت .

٢٥-مؤنس، حسين ، محمود يوسف زايد، الإمبراطورية البيزنطية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة د ت .

٢٦- محفل، محمد ، محمد الزين ، بحث في تاريخ الرومان ط١٢ ج٢ ،جامعة دمشق٢٠٠٤-٢٠٠٥ .

٢٧- محمد، حسين على، قاموس المذاهب والأديان ط١، دار الجبل، بيروت ١٩٩٨ .

٢٨- مسكوني، صبيح، القانون الروماني ط٢، المكتبة القانونية، بغداد١٩٧١ .

٢٩- المشرف، محمد محي الدين، أفريقيا الشمالية في العصر القديم ط٢، شركة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٧.

٣٠- معروف ، ناجى ، أصالة الحضارة العربية ط٣، دار الثقافة، بيروت,١٩٧٥

٣١- ممدوح، عمر،الموجز فى القانون الرومانى .ج١.دار الثقافة الاسكندرية ,١٩٥٣

٣٢- المهتار، طلال عامر ،التاريخ العسكرى،دار إقراء، بيروت لبنان ١٩٩٥.

٣٣- مهران، محمد بيومى ، دراسات فى تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠ .

٣٤- الميلى ، مبارك محمد ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ,١٩٧٦

٣٥- نارسيس، عدنان ،بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى ط٢،دار الفكر المعاصر ، بيروت ,١٩٩٠

٣٦- الناصرى، السيد احمد ، تاريخ الأمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩٨.

٣٧-____________ الروم والمشرق العربى ،مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣

٣٨- الناضورى، رشيد، المغرب الكبير ، العصور القديمة ج١، دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٨١.

٣٩- نسيم، جوزيف، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤-١٤٥٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت .

٤٠- نمير، إبراهيم ، زكى على ، أحمد نجيب، مصر في العصور القديمة ط١، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٩١

٤١- النوال، صلاح مصطفى ، سوسيولوجيات الحضارات القديمة، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٢

٤٢- سليمان، عامر ،احمد مالك الفتيان ،محاضرات فى التاريخ القديم .مركز البحوث الاثارية والحضارية، الموصل د ت.

٤٣- السيد ،محمود ، التاريخ اليونانى والرومانى ،مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة٢٠٠٠.

٤٤- عاشور، سعيد عبد الفتاح ، تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى،دار النهضة العربية ، بيروت د ت .

٤٥- العبادى ، مصطفى ، الإمبراطورية الرومانية، النظام الامبراطورى ومصر الرومانية، دار النهضة العربية،بيروت,١٩٨١

٤٦- عبد الحميد، رأفت ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والأجتماعية، الأسكندرية١٩٩٧.

٤٧- ____________، الإمبراطورية البيزنطية(العقيدة والسياسة)ج١،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة٢٠٠٠ .

٤٨- عبد الساتر، لبيب،الحضارات ط٩ ، دار المشرق ، بيروت ,١٩٨٦

٤٩-عبد العليم ، مصطفى كمال،دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،المطبعة الاهليه بنغازى١٩٦٦.

٥٠- عبد الواحد، على،الأسفار المقدسة ط٢، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهره٢٠٠١ .

٥١- عبيد، أسحق، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربر، دار المعارف بمصر.

٥٢- العرينى، السيد الباز ،الدوله البيزنطية ط١،دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٨٢.

٥٣-______________، تاريخ أوروبا العصور الوسطي ، دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ١٩٦٨.

٥٤- على، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٢، ط٣، دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٨٠.

٥٥- على، عبد اللطيف احمد ،مصادر التاريخ الروماني ،دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٠.

٥٦- عمران ، محمود سعيد ، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ٢٠٠٤.

٥٧- __________، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ .

٥٨- عيسى، محمد على ، مدينة صبراتة، الدار العربية للكتاب، مصلحة الأثار,١٩٧٨

٥٩- فرح ، نعيم ، التاريخ القديم وما قبلة، مطبعة ابن حيان، دمشق ،,١٩٨١

٦٠ - صفر، أحمد ، مدنية المغرب العربي في التاريخ ج١،بوسلامه ،تونس١٩٥٩،ص٣٨٢

٦١- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ج١، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة ١٩٩٠.

٦٢- ربيع، حسنين محمد ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٣.

٦٣- الربيعى، أسماعيل نورى ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، دار شموع الثقافة للنشر والتوزيع، ب م،٢٠٠١ .

٦٤- رستم، أسد، الروم وصلاتهم بالعرب ج١، ط١، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٥ .

٦٥- شلبي، أحمد، المسيحية ط١، دار النهضة المصرية، الاسكندريه ١٩٩٠.
٦٦- الشيخ، حسن، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية١٩٩٣
٦٧- الشيخ، محمد مرسى ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، مكتبة الجمهورية، الإسكندرية ,١٩٩٨
٦٨- ترحينى ، محمد ، معالم التاريخ الأوروبى الوسيط، دار الهادى، بيروت ١٩٩٢
٦٩- توفيق، عمر كمال ،تاريخ الدولة البيزنطية ،الهيئة المصرية للكتاب ،الإسكندرية ١٩٧٧,
٧٠- الثعالبي، عبد العزيز ،مقالات في التاريخ القديم ط١، دار الغرب الاسلامى ،بيروت١٩٨٦.
٧١- خلف، بشار، دراسات فى حضارة المشرق العربى القديم، مركز الأنماء الحضارى، حلب ٢٠٠٣ .
٧٢- خميس،ابراهيم، حسن عبد الوهاب، سهيلا نعنيع، معالم التاريخ الأوروبى الوسيط، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية,٢٠٠٤
٧٣- غانم غالب، القوانين والنظم عبر التاريخ، دار المنشورات الحقوقية، بيروت١٩٩١
٧٤- الغورى، إبراهيم حلمى ، أطلس تاريخ الشرق القديم، دار المشرق العربى، بيروت، د ت .

٢:- المراجع المترجمة.

١- ادجار، ج،، محمد شفيق غربال، كتاب التاريخ القديم ،ط٤.مطبعة المعارف الحديثة، القاهرة د ت .
٢- انج و.ر. ،تاريخ العالم،((الأديان المتنافسة))مج٤ ،مؤسسة النهضة المصرية، الاسكندريه، د ت .

٣- ____________ تاريخ العالم، (انتصار المسيحية)مج٤، مكتبة النهضة المصرية د.ت .
٤- أوروسيوس، تاريخ العالم ط١، ت عبد الرحمن بدوى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاسكندريه ١٩٨٢.
٥- ايمار، أندريه، جانين أبويه، تاريخ الحضارات العام ،روما وإمبراطوريتها م٢، ت يوسف داغر ،فريد داغر، منشورات عويدات ، بيروت، باريس،د ت .
٦- بارو، ر،هـ،، الرومان ،ت عبد الرزاق يسرى م سهير القلماوى ،دار النهضة المصرية ١٩٦٨.
٧- برستد، جيمس هنرى ، العصور القديمة، ت داود قربان، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣
٨- بل، أيدرس، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ط٢، ت عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٨ .
٩- بيرين ، هنرى ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت عطية القوصى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٦
١٠- جودشايلد، دراسات ليبية، ت عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازورى، مركز جهاد الليبيين، طرابلس .
١١- جوليان، شارل أندريه ،تاريخ أفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الاسلامى، ت محمد مزالى ،البشير بن سلامه ،الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٥.
١٢- جيبون، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطهاط٢ج١،ت محمد أبو درة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة١٩٩٧.

١٣- ددلى، دونالد، حضارة روما، ت جميل الدهبى، فاروق فريد، م صقر خفاجة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت .

١٤- ديورنت، ول ،قصة الحضارة :الحضارة الرومانية،ت محمد بدران ج٣م٣الجزء ,١١

١٥- هارتمان، ل.م،. ، ج، باراكلاف الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطي ط٣ ،ت جوزيف نسيم ،دار النهضة العربية، بيروت ,١٩٨١

١٦- هامرتون، السير ،تاريخ العالم ((الامبراطورية في دور الانحلال ٢١١-٣٣٠)).ج٤ ت محمد غنيم ،مكتبة النهضة المصرية ، د ت .

١٧- هاينز، دي ، دليل تاريخ وأثار منطقة طرابلس، ت عديله حسن، دار الفرجانى، طرابلس، القاهرة، لندن، د ت .

١٨- هسى، ج، م،، العالم البيزنطي ،ت رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الانسانيه والاجتماعية ،القاهرة ١٩٩٧.

١٩- هيولاست ،تاريخ العالم ((العالم في نظر مواطن روماني)) ج٣،.ت محمد غنيم، مكتبة النهضة المصرية د ت.

٢٠- ولز، ش.ج.،معالم تاريخ الانسانيه،مج٢.ت العزيز توفيق،الهيئة المصرية للكتاب، د ت .

٢١- ويلارد، جيمس، الصحراء الكبرى، ط١مكتبه الفرجانى، طرابلس ١٩٦٧ .

٢٢- حتى، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٣ ط٣ ت جورج حداد ، عبد الكريم رافق،دار الثقافة ،بيروت,١٩٥٧

٢٣- كانتور ، نورمان ،العصور الوسطي الباكرة من القرن الثالث إلى القرن التاسع الميلادي ،ت قاسم عبدة قاسم ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،القاهرة د ت .

٢٤- كريستنس، أرثر ، ايران فى عهد الساسانيين ،ت يحيى الخشاب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الاسكندرية ١٩٩٨ .

٢٥- لانجر وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج ١، ت محمد مصطفى زيادة، مؤسسة النهضة المصرية، د ت .

٢٦- لوت، هنرى ،لوحات تاسيلى ،قصه لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ت أنيس زكى ،مكتبة الفرجانى ،طرابلس ,١٩٦٧

٢٧- موس، سانت ، ميلاد العصور الوسطى ،ت عبد العزيز توفيق جاويد ،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ١٩٩٨ .

٢٨- ملر، أندرو، مختصر تاريخ الكنيسة ط٤، شركة الطباعة المصرية، الأسكندرية٢٠٠٣.

٢٩- نورمان، بينز، الامبراطوريه البيزنطية، ت حسين مؤنس، محمود زايد، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية د ت .

٣٠- ستيفنسون، تاريخ العالم ((النشاط التجاري في العالم الروماني)) مج٤، مؤسسة النهضة المصرية، الاسكندريه، د ت .

٣١- فولر، ج، ن،، تأثير التسلح في تاريخ الحضارات ،ت لويس الحاج، بيروت، د ت.

٣٢ -رايت، جون ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ت عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازورى،دار الفرجانى، طرابلس١٩٧٢ .

3٣- رستو فتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الأجتماعى والأقتصادى ج٢، ت زكى على، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت .

٣٤- روث، تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، ت رمزي عبدة جرجس، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٩ .

٣٥- رومنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالى، ت عبد الحفيظ الميار، كلية التربية، جامعة الفاتح ، طرابلس ١٩٩٤.
٣٦- شابيرو ، ماكس ورود هند ريسكس، معجم الأساطير ،دار علاء الدين ، دمشق ١٩٩٩.
٣٧- غريمال، بيار ، جاك بيار ميوت ، مارسيل باكر ،رانيه رانيال ، موسوعة تاريخ أوروبا (أوروبا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر) مج١، منشورات عويدات ،باريس ١٩٩٤ .

ثالثاً:-المراجع الأجنبيــة .

(1)Abdu lhafid fadil elmayer.Tripolitania and the Roman Empire (B.C47-A.D235)markaz jihad allibyin. tripoli 1997.
(2)A.H.M,Jones ,Frontier defence In Byzantine Libya (Libya in History)hiostrical conference 1968.
(3) haunes E.L.the antiguites of Tripoliania,4th Edition 1981.
(4)Collection Latomus((Rome et les berberes)) revue d,etudes latines,Bruxelles1937.
(5)Craham webster, The Roman lmperial Army,London 1979.
(6)Trousset.p,Signifiation D,uneFrontiere,Nomades et sedentaires Dans La Zone du Limes D,afrigue, RFS111,1979.
(7) Mattingly Harold , Roman coins from the earliest times to the fall of the western Empire, london1965.

(8) Cary,M. And, Scullard,HH. Ahistory of Rome down to thereign of constantine. Thirded . published by the Macmillan press Ltd. London1975
(9) Paul petit,histoire generale de ,l, Empriie Romain ((diocletien et resta urathon e letat))284-305.paris 1974.

رابعاً:-الرسائـــــل العلميـــــة .

١- اندیشة،احمد ،الحياة الأجتماعية فى المرافئ الليبية الغربية وظهيرها فى ظل السيطرة الرومانية ،رسالة دكتوره لم تنشر ،جامعة عين شمس ن القاهرة ٢٠٠٠.
٢- زايد، موسى معمر ،النظم الدفاعية فى ولاية شمال افريقيا الرومانية ١٩٢-٤٣٠م رسالة ماجستير لم تنشر ٢٠٠٤.
٣- الحرارى، جمعة ،الحياة الأجتماعية والمعتقدات الدينية فى ولاية افريقيا البروقنصلية ٣١ ق م- ٢٨٤م ، رسالة ماجستير لم تنشر ،٢٠٠٤.

خامساً:-الدوريـــــات.

١. الجرارى، محمد الطاهر، موقف القبائل الليبية من الحكم الرومانى خلال القرن الثالث الميلادى، البحوث التاريخية ، العدد الثانى، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٩٨.
٢.بن ناصر، خليفة ،الدوناتية ،البحوث التاريخية ،السنة الخامسة ،العدد الأول مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية نطرابلس ١٩٩٣.
٣- الميار، عبد الحفظ ،ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية،أثار العرب،١٩٩٣.
٤- عيسى، محمد على ،معالم من الأثارالمسيحية المبكرة فى ليبيا منذ القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الميلادى ،أثار العرب ،العدد السادس ١٩٩٣.
٥- ______________ ،تبليط شوارع مدينة لبدة وثورة تاكفاريناس ،أثار العرب ،كلية الفنون والأعلام ،طرابلس ١٩٩٢.

٦- ____________أماكن اللهو والترف فى المدن الثلاث (لبدة، اويا، صبراتة) اثناء الاستعمار الرومانى، اثار العرب، العدد التاسع والعاشر، مشروع المدينة القديمة بالتعاون مع مصلحة الأثار، طرابلس١٩٩٧ .

٧-عبد العليم، مصطفى كمال ،الوطنية الليبية والحكم الأجنبى فى العصر اليونانى والرومانى ،ليبيا القديمة ،إشراف منظمة اليونيسكو،باريس ١٩٨٤.

٨- قرصع، جمعة ، الخطوط الدفاعية الرومانية بمنطقة طرابلس،أثار العرب،العدد الثالث ١٩٩١.

٩- ى،م، رينولدس،،نقش حصن مسوس،ت سالم الاسود، ليبيا القديمة،المجلد الثامن ،مطابع بنغازى،١٩٧١.

١٠- شلوف، عبد السلام ،نقوش من قورينا تتحدث عن المقاومة الوطنية الليبية للاستعمار الرومانى ،البحوث التاريخية ،السنة الثامنة ،العدد الثانى ،مركز جهاد الليبيين ،طرابلس ١٩٨٦.

الملاحق

كل (١)

غارات الشعوب الأوروبية على الإمبراطورية الرومانية ،إبراهيم حلمى الغورى، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربى، بيروت، د ت، ص٤٢

شكل(٢)

دولة تدمر فى أقصى أتساعها، نقلاً عن ابراهيم حلمى،المرجع السابق، ص٣٠

شكل (٣)

أباطرة الحكم الرباعى، نقلاً عن أندرية ايمار، روما وحضارتها، ص٦٩٤

شكل(٤)

عملة تحمل صورة الإمبراطور دقلديانوس

نقلاً عن

Cary,M. And, Scullard,HH. Ahistory of Rome down to the reign of constantine. Thirded . published by the Macmillan press Ltd. London1975, p517.

`

شكل (٥)

قصر دقلديانوس فى مدينة سبالاتو(يوغسلافيا) نقلاً عن ،اندرية ايمار، المرجع السابق، ص٦٩٤

شكل (٦)

الإمبراطورية الرومانية وأنقسامها الى شرقية وغربية فى زمن تيودوسيوس سنة ٣٩٥م،

ابراهيم حلمى، المرجع السابق، ص٤٠

قائمـــة المـــصادر والمــراجع

أولاً- المـصادر

١- المـصادر العربيـــة .